

شرح الحكم العطائية

تأليف الشيخ المحدث الحافظ

محمد حياة السندي المدني

(ت ١١٦٣هـ)

تحقيق

نزار حمادي



مؤسسة المعارف للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

دار مكتبة المعارف

الطبعة الاولى
1431هـ - 2010م
ISBN 978-9953-436-65-4

الإدارة العامة : كورنيش المزرعة – بناية إسكندراني – ط2
هاتف وفاكس :00961-1-653852/00961-1-653857
المكتبة والمستودعات : شارع حمد بناية رحمة
هاتف وفاكس : 00961-1-640878
هاتف جوال : 227724-892210-205669 (-3-00961)
ص . ب 11/1761 – بيروت – لبنان
E-mail: maaref@cyberia.net.lb
WWW.al-maaref.com

شَرْحُ الحِكَمِ العَطَائِيَّةِ

تأليف الشيخ المحدّث الحافظ

محمد حياة السّندي المدني

(ت١١٦٣هـ)

تحقيق

نزار حمادي

الناشر

مؤسسة المعارف للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي عَمَّ العوالِمَ حِكْمَةً وحُكْماً، ووَسِع كل شيء رحمة وعِلْماً، فهو الحَكِيم الحَكَم، الذي لا معقِّب لما به قَضَى وحَكَم، والصلاةُ والسلام على سيدنا ونبينا ومولانا محمد مبدي جواهر العلوم ونفائس الحِكَم والواسطة في كل الخيرات الواصلة إلينا والنِّعم، وعلى آله وأصحابه الذين نالوا باتباعه غاية الفخر والكرم.

وبعد؛ فإن الدين الإسلامي الذي شرف الله تعالى به المصطفين من عباده مجموع ثلاثة أركان وهي: الإيمان، والإسلام، والإحسان. وقد نص على ذلك نبينا المصطفى ﷺ في حديث جبريل عليه السلام حيث قال ﷺ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ».

فكما يُطلَب العبدُ بالتصديق بالله ورسوله والإذعان لما جاء به ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن الله تعالى وهو المسمى بالإيمان، ويُطلَب بالأعمال المتعبد بها سواء كانت قولية أو فعلية أو مركبة منهما وهو المسمى بالإسلام، كذلك يطلب أيضاً بالآداب اللائقة بالعبد بين يدي مولاه جل جلاله وهي أخلاقه ﷺ التي كان يتخلق بها مع الخالق سبحانه ومع مخلوقاته، وهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾، وهذا الركن هو المسمى بالإحسان.

والعلم المتكفِّل ببيان المعتقدات ـ التي هي دعائم ركن الإيمان ـ هو علم أصول الدين الذي يعرف بأنه العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية، والعلمُ المتكفل ببيان الفروع العملية ـ وهي أعمدة ركن الإسلام ـ هو علم الفقه الذي يعرف بأنه العلمُ بالأحكام الشرعية العملية ـ من العبادات والعادات والمعاملات ـ المكتسَب من أدلته التفصيلية، والعلمُ المتكفل ببيان الآداب

والأخلاق المرضية التي تمثل أسس ركن الإحسان هو علم التصوّف الذي يتوصل به إلى معرفة الأخلاق المذمومة ليُتطهَّر منها، والأخلاق المحمودة ليُتخَلَّق بها، فلا غنى للمكلَّف عن العلوم الثلاثة، ولا يكمل دين العبد إلا بالجري على مقتضاها.

وقد صنف أئمة الإسلام رضوان الله عليهم في كل هذه العلوم، فأجادوا وأحسنوا غاية الإحسان، لا سيما علم التصوف السُّنِّي، فمن أعظم ما صُنِّفَ فيه كتاب «الحكم العطائية» في الآداب والحقائق التصوفية للشيخ الإمام فريد دهره ووحيد عصره تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه، فهو كتاب رائق العبارات، فائق الإشارات، موافق للعقائد السُّنِّية، جارٍ على نهج الكتاب والسُّنَّةِ والسَّنِيَّة، قد احتوى من الآداب على لبابهما، ومن المعاملات القلبية على مقاصدهما، فجاء كتاباً تقوى به أنوار الإيمان واليقين، وتعرف به آداب العبودية اللائقة بين يدي رب العالمين.

ولعظم شأنه وجلالة أمره توالت عليه الشروح والإيضاحات، فكتب أئمة أهل السنة والجماعة في استخراج درره المطولات والمختصرات، ومن الأخيرة شرح الشيخ المحدّث الحافظ الورع التقي الزاهد محمد حياة السندي المدني الذي «أفنى عمره في خدمة الكلام المصطفوي» أسكنه الله تعالى أعلى فراديس الجنان، فقد سهّل به صعيب عباراته، وحل به رموز إشاراته، فقرّب بذلك معاني الحِكَم إلى جميع الأذهان، وذلل قطوفها فصارت دانية لكل من يريد السلوك إلى الملك الديّان، فالله نسأل أن ينفع به كل من يريد الاستقامة على سنن المهتدين، وأن يروي به القلوب المتعطشة إلى معاني الإخلاص واليقين.

كتبه
نزار حمادي

ترجمة موجزة للشيخ العارف بالله ابن عطاء الله السكندري

عرّف به الشيخ أحمد زروق في شرحه الخامس عشر على الحكم فقال: «هو الشيخ الفقيه الإمام العالم العامل تاج الدين وترجمان العارفين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامي نسباً المالكي مذهباً الإسكندري داراً القرافي مزاراً الصوفي حقيقة الشاذلي طريقة، أعجوبة زمانه، ونخبة عصره وأوانه. كان مفتياً في المذهبين، وإماماً في الفنين، بل هو الذي قال القائل في مثله:

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينُك يا زمان فكفر

وقال ابن فرحون في الديباج: «هو الإمام المتكلم الشاذلي. كان جامعاً لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه وغير ذلك وله تآليف مفيدة منها التنوير في إسقاط التدبير والحكم.

كان رحمه الله تعالى متكلماً على طريقة أهل التصوف، واعظاً انتفع به خلق كثير وسلكوا طريقه. وكان شاذلي الطريقة ينتمي للشيخ أبي الحسن الشاذلي، وأخذ طريقه عن أبي العباسي المرسي رحمه الله عن الشيخ أبي الحسن رحمه الله. وكان أعجوبة زمانه في كلام التصوف وله نظم حسن في الوعظ»[1].

قال الذهبي: «كانت له جلالة عظيمة، ووقع في النفوس، ومشاركة في

---

(١) «الديباج المذهب» (ص١٣١).

الفضائل، وكان يتكلم بالجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروّح النفوس».

من مؤلفاته:

- التنوير في إسقاط التدبير.
- لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن.
- مفتاح الفلاح في كيفية الذكر والخلوة وغير ذلك.
- تاج العروس.
- الحِكَم.

وفاته:

قال الشيخ جمال الدين ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة في وفيات سنة ٧٠٩هـ: «وفيها توفي الشيخ القدرة العارف بالله تعالى تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري المالكي الصوفي الواعظ المذكّر المسلِّك، بالقاهرة في جمادى الآخرة، ودفن بالقرافية، وقبره معروف بها يقصد للزيارة. وكان رجلاً صالحاً عالماً يتكلم على كرسي ويحضر ميعاده خلق كثير، وكان لوعظه تأثير في القلوب، وكان له معرفة تامة بكلام أهل الحقائق وأرباب الطريق، وكان له نظم حسن على طريق القوم، وكانت جنازته مشهودة حفلة إلى الغاية»[1].



(١) (٨/ ٢٢٥) دار الكتب العلمية تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين.

ترجمة موجزة للشيخ
محمد حياة السِّندي[1]

هو «العلامة المحدِّث الفهامة، حامل لواء السنة بمدينة سيد الإنس والجنة»[2]: محمد حياة بن إبراهيم السِّندي الأصل.

«كان من العلماء الربانيين، وعظماء المحدثين، قَرَن العلم بالعمل، وزان الحسن بالحلل. شدّ حزامه على درس الحديث النبوي، وأفنى عمره في خدمة الكلام المصطفوي، وكان يعظ الناس قبل صلاة الصبح بالمسجد الشريف، وانتفع به خلق كثير من العرب والعجم، وأقبل عليه أهل الحرمين ومصر والشام والروم والهند بالاعتقاد والانقياد»[3].

«وكان ورعاً متجرداً منعزلاً عن الخلق إلا في وقت قراءة الدروس، مثابراً على أداء الجماعات في الصف الأول من المسجد النبوي»[4].

«عاش عيشة مرضية، ولقي الله سبحانه يوم الأربعاء السادس والعشرين من صفر سنة ١١٦٣هـ ودفن بالبقيع»[5].

أخذ العلم عن الشيخ الإمام العالم العامل العلامة المحقق المدقق

---

(١) للتوسع في ترجمته ينظر: «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» محمد خليل بن علي المرادي (٤/ ٣٤٦) دار ابن حزم؛ «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» للحسين للحسيني (ص٨١٥) فهرس الفهارس للكتاني (١/ ٣٥٧).

(٢) قاله المرادي في «سلك الدرر» (٤/ ٣٤).

(٣) قاله القنوجي في «أبجد العلوم» (٣/ ١٦٩).

(٤) قاله في «سلك الدرر» (٤/ ٣٤).

(٥) قاله القنوجي في «أبجد العلوم» (٣/ ١٦٩).

النحرير الفهامة أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي[1] الأصل والمولد، الحنفي نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة (١١٣٨هـ) وهو صاحب الحواشي الستة على الكتب الستة والحاشية على مسند الإمام أحمد وغيرها.
«وجلس الشيخ محمد حياة مجلس شيخه أبي الحسن المذكور بعد وفاته أربعاً وعشرين سنة»[2].

وقد أخذ صاحب الترجمة علم الحديث وأمهات كتب السنة رواية ودراية عن الشيخ عبد الله بن سالم المكي بأسانيده المتصلة إلى أصحابها، وأجازه في جميعها، وقد ذكرها العلامة محمد حياة السندي في رسالة على النحو التالي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والجامع الكبير للترمذي، والسنن الصغرى للنسائي، وسنن ابن ماجه، ومسند الدارمي، وسنن الدارقطني، ومسند الإمام أبي حنيفة، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام الشافعي، ومسند الإمام أحمد، ومسند الطيالسي، ومعجم الصغير للطبراني، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، وسنن البيهقي ودلائل النبوة له أيضاً، وشرح معاني الآثار للطحاوي، والأربعين النووية، والمصابيح للبغوي، والجامع الكبير والصغير للجلال السيوطي، والحديث المسلسل[3].

ترك الشيخ محمد حياة السندي جملة من الكتب والرسائل النافعة، ذكر بعضها صاحب «سلك الدرر» كشرح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، وشرح الأربعين النووية، وشرح الحكم الحدادية التي صنفها الشيخ عبد الله بن علوي حداد، ثم قال المرادي: «وله رسائل أخر لطيفة وتحقيقات عجيبة منيفة»[4].

---

(١) انظر ترجمته في: «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» محمد خليل بن علي المرادي (٤/٦٦) دار ابن حزم، ط٣، ١٤٠٨هـ.
(٢) انظر: «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» (ص٨١٥).
(٣) والرسالة تقع ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بتونس رقم (٨٤٨٤).
(٤) «سلك الدرر» (٤/ ٣٤).

من وصاياه النفيسة ومواعظه البليغة:

«ينبغي للإنسان أن يتعلم أوّلاً ما يصحح به اعتقاده، ثم يتعلم ما يقدر به على تحصيل ما يحبه الله تعالى من الأعمال والأحوال، واجتناب ما يكرهه من الأفعال، ثم يجتهد في إتيان المأمورات وترك المنهيات خالصاً لوجه رب المخلوقات، ويبالغ في التوبة والاستغفار من جميع الخطيئات، ويرى نفسه أحقر الموجودات، ويعلم أن مولاه مطلع عليه في جميع الحالات، ويذكر الموت وما يلاقي عنده من السكرات، والقبر وما فيه من الصعوبات وليتزوَّدْ له أحسن الحسنات، ويذكر النشور من القبور وما يلاقي بعده من الأهوال المنكرات، ولا ينسى الحساب وإعطاء الكتاب، ورجحان الحسنات والسيئات، ولا يغفل عن النار التي فيها أشد العقوبات، وليتخذ جُنَّة من أعمال الخير تقيه حرها وشرها بفضل خال المصنوعات، وليتشوق إلى الجَنَّة التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ففيها فليتنافس المتنافسون، ولمثلها فليعمل العاملون، وإليها فليشتاق المشتاقون. اللهم نجنا من نقمتك، وأدخلنا جنتك برحمتك، وصل وسلم على أشرف خلقك.

كتبه محمد حياة السندي المدني عفى الله عنه تعالى»[1].

نموذج من خط الشيخ محمد حياة السندي:

من حسن الحظ عثرنا بفضل الله تعالى على أنموذج من خط الشيخ محمد حياة السندي بعد الرسالة التي تضمنت أسانيده في كتب الحديث النبوي الواقعة، وتوجد تلك الرسالة ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية برقم (٨٤٨٤)، ومكتوب الشيخ السندي هو إجازة لأحد تلاميذه ممن حضر عنده قراءة قطعة من صحيح البخاري، كتبها سنة وفاته رحمه الله تعالى.

---

(١) (ورقة ١١٦/) ضمن مخطوط رقم (٨٤٨٤) بدار الكتب الوطنية تونس.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا لائقا بعلو جلاله وعلو كماله في جماله وافضاله

وافضل الصلوات وازكى التسليمات على سيدنا محمد وصحبه وآله

اما بعد فقد حضر عندي في قراءة البخاري من اوله الى آخر

كتاب الجنائز فاجزته مع كله وبما في هذه الاوراق اسانيدها

وبغيره بالشرط المعلوم عند اهل العلوم هداه مولاه لما

يوجب رضاه ودوام عما اراده وارجو منه ان لا ينساني من

دعواته كتبه محمد حيوا السندي المدني في المدينة المنورة سنة الف ومائة وثلث وستين

نموذج من خط الشيخ محمد حياة السندي

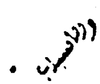
المخطوط المعتمد:

اعتمدت بتوفيق من الله تعالى في تحقيق شرح الحكم العطائية على مخطوط دار الكتاب الوطنية رقم (١٥٢٩٤) وهو عبارة عن مجموع يحتوي على الشرح المذكور كقطعة أولى، تقع بين الورقة الأولى والورقة ٥٠، أما القطعة الثانية فهي شرح الحكم الحدادية للشيخ محمد حياة السندي أيضاً، نرجو أن يكون محل عنايتنا مستقبلاً.

وميزة هذه النسخة أنها من خط أحد تلاميذ الشيخ محمد حياة السندي وممن كانوا يحضرون مجالس علمه، بل ونال الإجازة منه كما ذكر، وهذا الناسخ الشيخ يسمى عبد السلام ابن الحاج علي كما ذكر أيضاً في آخر النسخة، وهي متقونة لحد بعيد، ولذا كانت كافية في تحقيق هذا الكتاب النافع. وفيما يلي نماذج من المخطوط المعتمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[الحمد لله] الذي أنطق أولياءه بالحكم، وأجرى على ألسنتهم جوامع الكلم،
والصلاة والسلام على حبيبه الذي جاء بأعلى الآداب والشيم، وعلى آله وصحبه وأمته
خير الأمم. أما بعد فهذا شرح وجيز على حكم العارف تاج الدين أحمد بن محمد
ابن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري الشاذلي قدس الله سره الذي
كلماته تدل على كماله وأقواله تدل على أحواله وبيانه يجلي عن عيانه قال
بسم الله الرحمن الرحيم افتتح بالبسملة عن الحمدلة إذ هي حمد معنى
من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل أي من علامة
اعتماد العامل على عمله الصالح الذي يرجو به الثواب نقصان رجائه في جود
الله وامتنانه الذي ليس له أساس وإفضاله وإكرامه بمحلله بالعلل بل هي
عطايا على غير بعض الفضل عند صدور الزلل منه إذ لو كان رجاؤه في
فضله لمقتضى ذاته لما اختل عند وجود الزلل منه وفي الغفران الاعتماد شوب
من الإشراك المنافي لكمال التوحيد عند أهل التفريد والكريم يرجى جوده
لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله وبعد الإباء الطمع في إحسانه بمقتضى
فضله عند حصول الطاعة والخوف من عقابه بمقتضى عدله عند الابتلاء
بالمعصية ونظر العارف الرباني إلى عمله إرادتك التجريد عن العلائق
التي لا تنكر شرعا مع إقامة الله الحكيم في أمور كلها إياك في الأسباب
التي لا تخالف شرعه من الشهوة الخفية الكامنة في نفسك الأمارة التي
تشتغل سوى ما أقامها فيه باريها الحكيم من الأسباب التي أباح مباشرتها
لعباده وجعل في ربط المسببات بها حكما لا تحصى وفوائد لا تستقصى
وإرادة غير ما فعله الحكيم شهوة خفية من النفس المجبولة على المخالفة
تريد الفرار من قيد الأسباب التي هي في الحقيقة موجبات لزيادة الاحترام
عند أهل الإيمان ولا اشتهار بتركها وكفى بالمرء شرا أن يشار إليه بالأصابع



الصفحة الأولى من المخطوط

والأخبار من [illegible] في [illegible] أدركنا [illegible] عنه الذاتي [illegible]
الغائبة لأنها أعجز من ذلك فاحتجابك عن غيرك لعظيم عزك وغاية
كبريائك حتى لا يقدر أحد على إدراكك فالعقول فيك حائرة والأولياء
فيك حائرة ولا يمكن للبصائر أن تكون حولك دائرة بل [illegible]
[illegible] في كبريائه [illegible] عظمته [illegible] وإن كانت لا تدركها
والأغيار الذين قيد لهم الآثار بالأكدار فكيف تخفى على أحد وأنت الظاهر
الذي ليس شيء فوقه في الظهور وإنما الإدراك من ليس له النور لأن
النور لا يرى إلا بنور أم كيف تغيب حتى تحتاج إلى طلب و[illegible]
على خلقك [illegible] بل أنت الذي [illegible] تعلمهم وتتصرف فيهم كيف
شئت فسبحانك ما أجل سلطانك فارض عنا وصل وسلم على حبيبك
الذي به [illegible] رزقتنا واجعلنا ممن فاز به فوزا عظيما يقول
الفقير محمد حياة السندي ثم المدني عفا الله الكريم عنه أمليت
هذا الشرح على قلبي من خزينة خيالي في مدينة سيد الأنام
عليه أفضل الصلاة وأسنى السلام سنة ألف ومائة وخمسة وأربعين
فقد [illegible] من الآباء مع عدم انتظامي في سلك أهل العلوم والنهى
ولذا لا يخلو شرحي عن الاختلال والإخلال والإسهاب وعدم [illegible] لحق
كلام الأئمة الأعلام فما كان من صواب فتلك المنة علي [illegible] وما
كان من خطأ وسهو وغلط وتحريف وسوء فهم فمن نفسي فاعف عني يا الله
إنك أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين وصل اللهم على حبيبه محمد كما يحب ويرضى
وآله وأصحابه وأمته وعلينا معهم أجمعين والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا إلى
يوم الدين كمل الشرح المبارك على يد العبد الضعيف إلى ربه القدير عمر [illegible]
ابن الحاج علي غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وقد قرأت على
مؤلف هذا الشرح بالمدينة المنورة أول كتاب [redacted]
وأجازني بخطه على ظاهر [illegible] [redacted]
[redacted] رحمه الله ونفعني به والمسلمين
وقرأته عليه أوائل محرم سنة [illegible]
وكتبت هذا أوائل محرم سنة [illegible]
والحمد لله رب العالمين

الصفحة الأخيرة من المخطوط

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي أنطق أولياءه بالحكم، وأجرى على ألسنتهم جوامع الكلم، والصلاة والسلام على حبيبه الذي حباه أعلا الآلاء والنعم، وآله وصحبه وأمته خير الأمم.

أما بعد، فهذا شرح وجيز على حكم العارف تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري الشاذلي، قدّس الله سره، الذي كلماته تدل على كماله، وأقواله تدل على أحواله، وبيانُه يكفي عن عيانه.



قال: **(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)**

اكتفى بالبسملة عن الحمدلة؛ إذ هي حَمْدٌ معنًى.

(مِنْ عَلامَةِ الاعْتِمادِ عَلى العَمَلِ: نُقْصانُ الرَّجاءِ عِنْدَ وُجودِ الزَّلَلِ)

أي: من علامة اعتماد العامل على عمله الصالح الذي يرجى به الثواب نقصانُ رجاءه في جود الله ـ الذي ليس إنعامه وأفضاله وإكرامه بمعللة بالعلل، بل هي عطاياه على عبيده بمحض الفضل ـ عند صدور الإثم منه، إذ لو كان رجاؤه في فضله لمقتضى ذاته تعالى لما اختل عند وجود الزلل منه.

وفي هذا الاعتماد شوب من الإشراك المنافي لكمال التوحيد عند أهل التفريد. والكريم يُرجَى جُودُه لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله.

وهذا لا ينافي الطمعَ في إحسانه بمقتضى فضله عند حصول الطاعة، والخوفَ من عقابه بمقتضى عدله عند الابتلاء بالمعصية.

ونظرُ العارف إلى ربه، لا إلى عمله.



(إراداتُكَ التَّجْرِيدَ) عن العلائق التي لا تُكرَه شرعاً **(مَعَ إقامَةِ اللهِ)** الحكيم في أموره كلها **(إيّاكَ في الأَسْبابِ)** التي لا تخالِفُ شَرْعَه **(مِنَ الشَّهْوَةِ الخَفِيَّةِ)** الكامنة في نفسك الأمّارة التي تشتهي سوى ما أقامها فيه بارئها الحكيم من الأسباب التي أباح مباشرتها لعباده وجعَل في ربط المسببات بها حكماً لا تحصى وفوائد لا تستقصى، وإرادة غير ما فعله الحكيم شهوة خفية من النفس المجبولة على المخالَفة، تريد الفرار من قيد الأسباب التي هي في الحقيقة موجبات لزيادة العرفان عند أهل الإيقان والاشتهار بتركها، وكفى بالمرء شرّاً أن يشار إليه بالأصابع. والأسباب عند أولي الألباب سلم الترقي إلى قرب ربِّ الأرباب، وإنما حُجِبَ المحجوبون بها لنظرهم إلى ظواهرها غافلين عن حقائقها.

(وإرادَتُكَ الأَسْبابَ) التي توجب الإعراض عن ربِّ الأرباب لكثير من الناس **(مَعَ إقامَةِ اللهِ إيّاكَ فِي التَّجْرِيدِ)** عنها لتتفرغ لعبادته ومراقبته ومشاهدته، وتكون من ملازمي حضرته **(انْحِطاطٌ عَنِ الهِمَّةِ العَلِيَّةِ)** إذ أُولُوا الهِمَم العالية يريدون دوام الحضور مع من يعلم ما في الصدور، وقلّ ما يحصل ذلك لأرباب الأسباب، ويرضون بما أقامهم فيه مولاهم، ويرون أنّ ذلك هو الأولى لهم، والعبدُ يرضى بما يتصرفه فيه سيِّدُه.

وهذا لا ينافي استعمال الأسباب التي أباحها الله وأحبها.

والحاصل أنّ العبد ينبغي له أن يرضى بما أقامه الله فيه من الأسباب والتجريد، ويسعى في المسابقة إليه، ولا يتمنى غير ما لديه.



(سَوابِقُ الهِمَمِ) أي: الهمم السابقة التي تقع بها خوارِقُ العادات **(لَا تَخْرِقُ أَسْوارَ الأَقْدارِ)** لأنّ أسوار أقدار الله أجلُّ من أن تنخرق بها، بل إنما تقع خوارق العادات بها إذا ساعدتها.

فإذا كان هذا حال سوابقها فكيف حال أراذلها؟!

فلا ينبغي للعبد أن يريد غير ما أراده مولاه، بل يرضى بما أولاه.



(**أَرِحْ نَفْسَكَ**) المشفوقة (**مِنَ**) أنواع عذاب (**التَّدْبيرِ**) فيما ضَمِن لك مولاك، الإراحة منه جنّةٌ عاجلة، والانهماك فيه نارٌ عاجلة.

(**فَما قامَ بِهِ غَيرُكَ**) نيابةً (**عَنْكَ**) هو اللهُ الذي تكفل بأرزاق عباده (**لا تَقُمْ بهِ لِنَفْسِكَ**) إذ قيام القادر يغني عن قيامك، بل قيامُكَ عبَثٌ وسوءُ أدب معه، واتهام له فيما تكفل، فتأمل ولا تتعجل.



(**اجْتِهادُكَ**) بقلبك وقالبك (**فيما ضَمِنَ لَكَ**) من أمور معاشك (**وَتَقصيرُكَ فيما طَلَبَ مِنْكَ**) من زادك لمعادك وسعيك في مرضاة مالِكِ إرشادك والتجنب عن مساخط من يهينك بإبعادك (**دَليلٌ**) واضح وبرهان ظاهر (**عَلى انْطِماسِ البَصيرَةِ**) التي هي للقلب كالبصر للعين (**مِنْكَ**) إذ لو كانت بصيرتك متنوِّرة لاجتهدت فيما طَلَبَ منك من مرضاته، ولم تقصّر في التبعّد من مواضع سخاطته، وتوكلت فيما ضَمِنَ لك من رزقك عليه، وفوَّضت أمرك كلّه إليه، فتبصّر ولا تتقصر.



(**لا يَكُنْ تأَخُّرُ أَمَدِ**) غاية (**العَطاءِ مَعَ الإلْحاحِ في الدُّعاءِ**) الذي قال الكريم فيه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] (**مُوْجِباً لإياسِكَ**) عن إسعاف مرادك وإنجاح حاجتك مع فقرك وفاقتك، (**فَهُوَ ضَمِنَ لَكَ الإجابَةَ**) التي قال فيها: ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦] (**فيما يَخْتارُ لَكَ**) فإنه العليم الحكيم، يعلم ما لا تعلم، فتارة يكون اختياره في إعطاء عين المدعو في الدنيا، وتارة في ادخار الثواب ليوم المآب، وتارة في دفع الشر مثل المدعو في النفع أو أزيد(١)، (**لا فيما تَخْتارُ لِنَفْسِكَ**) فإنك جهول عجول، كثيراً ما يكون حَتْفُك في إنجاح حاجتك في الدنيا.

---

(١) وقال رسول الله ﷺ: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتاهُ اللهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ» أخرجه الترمذي في الدعوات، باب في انتظار الفرج.

(وَ) ضمن الإجابة لك (**فِي الوَقْتِ الَّذي يُرِيدُ**) بحكمته الباهرة (**لا فِي الوَقْتِ الَّذي تُرِيدُ**) والأمور على ما يريد، لا على ما تريد، فإذا أَخَّرَ حاجتك فلا تُسِئِ الظنَّ به، بل لُمْ نفسَك العَجُول الجَهُول، وابْكِ على نقصانِك في إيقانك.



(**لا يُشَكِّكَنَّكَ فِي**) صِدْقِ (**الوَعْدِ**) الذي وعَدَهُ مَنْ لا يُخلِفُ الميعاد (**عَدَمُ وُقوعِ المَوْعودِ بِهِ وإِنْ تَعَيَّنَ**) في زعمك الضعيف (**زَمَنُهُ**) أي: زمنُ وقوعه؛ (**لِئَلّا يَكونَ ذلِكَ**) التشكك فيه (**قَدْحاً في بَصيرَتِكَ، وإخْماداً لِنُوْرِ سَريرَتِكَ**) لأنّ الشك في صدق وَعْدِ من لا يُخلِفُ الميعادَ يُوهِم تكذيبَه فيه، وفِعْلُ ما يُوهِمُ تكذيبَه مُوجِبٌ لإطفاء النور الإيماني الكائن في القلب الذي وقع منه هذا الشك.

ثم منشأ هذا الشك ضَعْفُ الإيقان في الإيمان، وعَدَمُ العرفان بشروط ما وَعَدَ به الرحمٰن، فهو يُنجِزُ وَعْدَهُ في الزمن الذي شاءَ له، لا في الآن الذي تَخالُه.



(**إذا فَتَحَ**) الفتّاح الذي يفتح للسالكين وجوهَ العرفان حتى يصير الغَيْبُ عندهم كالعيان (**لَكَ وِجْهَةً**) طريقةً (**مِنَ التَّعَرُّفِ**) إليه بأن أوضح لك دلالة مخلوقاته على كمالاته، وكشف لك أسرار مكنوناته، وأبرز لديك حقائق مخبياته (**فَلا تُبالِ**) بوسوسة رئيس أهل الضلال بأنك إن لم تقابِلْهُ بكثرة أحسن الأعمال لا يمنّ عليك بإتمام الإفضال، (**وإنْ قَلَّ معها**) أي: مع تلك الوِجْهَة من التعرف (**عَمَلُكَ**) الصالِح في شكرها؛ (**فإنَّهُ**) تعالى (**ما فَتَحَها لَكَ إلا وَهُوَ يُريدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ إِلَيْكَ**) يصير معروفاً لديك كأنك تشاهد ذاته مع صفاته عياناً، وتزداد به إيماناً، وتتضاعف به إيقاناً، بمجردُ جُودِهِ وفَضْلِه، لا لأنّ عمَلَك عِلَّة لذلك، أو يقابل شكر ما هنالك؛ لأنّ عطايا الوهاب أعلى من أن تنوط بالعِلَل، وأجَلُّ من أن تكافئ بالعمل، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨] أي: فضلاً من أن تؤدُّوا شُكرَها.

❖ ❖ ❖

(**أَلَمْ تَعْلَمْ**) أيها المسكين (**أَنَّ التَّعَرُّفَ**) إليك (**هُوَ مُوْرِدُهُ عَلَيْكَ**) بمجرد فَضْلِه وكَرَمِه على قَدْرِ كماله وعظمته، (**والأَعْمالَ أَنْتَ مُهديها إلَيهِ**) لتنال ما لديه؟!.

(**فَأينَ ما تُهْديهَ إلَيهَ**) من الأعمال الصادرة منك بإرادَتِه وقُدرَتِه على قَدْرِ حالك، مع أنه هو الذي أخرجك من العَدم، وغمسك في أبْحُرِ النِّعم، ووَقَاك من النِّقَم، ووفَّقَك لهذه الأعمال (**مِمَّا هُوَ مُورِدُهُ عَلَيْكَ**) من التعرُفِ إليك بِمَحْضِ رأفته ورَحْمته على قَدْرِ عظمته؟!. أي: لا مقاربة بين الأمرين، كما لا مشابهة بين العبيد والملك المجيد، بل بينهما بَوْنٌ بعيد.

لو كانت المكوّنات كلها في أعلى مراتب العبادة دهراً أدهر لم تساو عبادتها في مقابلة ما هو مانٌّ به عليها جناحَ بعوضة، فاقْبِضْ عنانك عن هذا الخيال، وتقرّب إليه بما تقدر عليه من الأعمال، مع عدّك نفسك من أهل التقصير والإخلال.



(**تَنَوَّعَتْ أَجْناسَ الأَعْمالِ**) التي يُقرَعُ بها بابُ التقرُّبِ إلى ذي الجلال والجمال، من بدنِيٍّ مَحْضٍ، ومالِيٍّ صرْفٍ، ومركب منهما؛ (**لَتَنَوُّعِ**) أي: لتحصيل أنواع (**وارِداتِ الأَحْوالِ**)؛ إذ في كل عَمَلٍ وارِدٌ خاصٌّ، وترقٍّ على حِدَة.

أو تنوعت أجناسها لتنوع وارداتها، فيشتغل صاحبُ الأحوال في كل حالٍ بما يناسبه، إذ الذي يليق بحال القَبْضِ غير الذي يليق بحال البَسْطِ، والذي يليق عند التجلي بالجلال غير الذي يليق عند التجلّي بالجمال، كما هو معلوم عند أرباب الكمال: الأسرار أطوار.



(**الأَعْمالُ**) الصالحة الصادرة من الأعضاء (**صُوَرٌ**) كصُوَر (**قَائِمة**) لا أرواح فيها، (**وَأَرْواحُها**) التي تحيى بها وتصير قابلة لترقِّي عامِليها بها إلى الحضرة العليّة (**وُجودُ سِرِّ الإخْلاصِ فِيها**) فمن أخلصها عن شوائب الشركة

ونزّهها عن النظر إلى الخلقة فقد أحياها، وتسبَّبت له لنيل ما هو موعود عليها.

ومن خلطها بالأغراض وابتلي فيها بالرياء الذي هو أشد الأمراض صارت وَبالاً عليه، وهو كالحمار يحمل أسفاراً وإن قطع لتحصيلها أسفاراً، ولم يزدد بها إلا إصراراً، وأيُّ شيء ما سوى الجبار حتى يُجعَل له قسط في عبادة القهار؟! وإنما يبتلى به المحجوبون بالآثار عن الفاعل المختار.



(ادْفِنْ) أيها السالك أحسن المسالك **(وُجودَكَ في أَرْضِ الخُمولِ)** أي: اجعل نفسك كأنها ليست بشيء يُعْبَئ به، واقطع شوكة شهوتها لشهرتها بسكين السكون، وأدِرْ عنان ركونها إلى المُجون إلى الاشتغال بأعلى الشؤون، وسجل عليها بأنها متصفة بكل نقصان، وأقم اعوجاجها بسَوْطِ الهوان، ولا تمكِّنها من دعوى الكمال والعرفان قبل الأوان، واجتهد في تخليتها عن قذرها وكدرها، وخَفْ من مَكرِها وغَدْرِها، وبالِغْ في تحلِيَتِها بما يزيد في رِفْعَة قدرها.

(فَما نَبَتَ مَمّا لَمْ يُدْفَنْ) بَذْره أو غَرْسه **(لا يَتِمُّ نِتاجُهُ)** ولا يُرجَى ثمره لأنه ينهلك قبل ذلك. فمن طمع في الاشتهار والإرشاد قبل أن يتأهّل لذلك بالخمول وإحكام الفروع والأصول لا يتم أمْرُه، ولا يُرجَى نَفْعُه، بل ينْهَلِكُ في المهالك قبل أن يَصِلَ إلى ما هَنالك.



(مَا نَفَعَ القَلْبَ) المحجوب عن الغفَّار بالأغيار **(شَيْءٌ مِثْلُ عُزْلَةٍ)** عن خلطة الخلقة **(يدخل بِها)** في **(مَيْدان فِكْرَةٍ)** يُزِيلُ بها غَيْرِيَّة الأغيار، ويُجْرِي أفراس عَزْمِه في مضمار الأسرار، ليفوز بالأنوار، ويجلي مرآة قلبه عن أكدار الآثار.



(كَيْفَ يُشْرِقُ) كيف يصير ذا نُورٍ **(قَلْبٌ؛ صُوَرُ الأَكْوانِ مُنْطَبِعَةٌ في**

مِرْآتِه) بوَصْفِ الغيرية، والقلب المحجوب بانطباعها فيه بوصف الغيرية لا يتأهَّل للإشراق بالأنوار الربانية والأسرار الصمدانية والحقائق الإلٰهية؛ إذ هما ضدان لا يجتمعان.

فمن أراد تأهله لذلك فليزل ما سوى الله عن قلبه، وليطهره عن دنسه، وليوجهه إلى مطلبه، وما جعل الله لرجل من قلبين، وليتبتل إليه تبتيلاً، وكفى به وكيلاً، حتى يذهب غيرية الغير عن قلبه، ويصير دليلَه إلى ربه، ومُوجِبَ ازدياده إلى قربه.

(أَمْ كَيْفَ يَرْتَحِلُ إِلَى اللهِ) الذي لا يصل إليه إلا الطاهرون عن أقذار الأوزار وأدناس الشهوات **(وَهُوَ مُكَبَّلٌ)** مقيّد **(بِشَهَوَاتِهِ)** إذ المقيّد بها لا يتأتى له الارتحال إلى ذي العزة والجلال.

فمن أراد الوصول إليه والفوز بما لديه فليخلِّصْ نَفْسَهُ عن أكبالها، وليُخْرِجْها عن قَلْبِه ولا يلتفت إليها، وليهجرها هجران الصادقين في هجرها لضررها، وأيّ ضرر أعلى من كونها مانعة من السلوك إلى ملك الملوك؟! وهو ليس بسهل حتى يرومه البطّالون المفلسون، وإنما هو بذل الأرواح والأبدان في رضى الرحمٰن، ولذا لا يفوز به إلا الصادقون.

(أَمْ كَيْفَ يَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَ) في **(حَضْرَةَ اللهِ)** الذي لا يتأهل لدخول حضرته السَّاهون اللّاهُون، وإنما يتأهل له المتيقِّظون الصالحون، **(وَهُوَ لَمْ يَتَطَهَّرْ)** بماء التذكّر والتيقّظ **(مِنْ جَنَابةِ غَفَلاتِهِ؟!)** فكما لا يطمع من عليه الجنابة الظاهرية في دخول نحو الصلاة لعدم أهليته لذلك، كذلك ينبغي أن لا يطمع في دخول حضرة الحق من عليه جنابة الغفلات لعدم تأهله لذلك، فمن طمع في الدخول قبل تطهره طرد من الباب، وجُوزِيَ بالبعاد، ولا يفوز بالوصول إلا من تعلق بذيل التذكر والذكر المقبول.

(أَمْ كَيْفَ يَرْجو أَنْ يَفْهَمَ دَقَائِقَ الأَسْرارِ) الربانية التي لا تفهمها إلا القلوب النقيّة من دَرَن السيئات **(وَهُوَ لَمْ يَتُبْ)** توبة نصوحاً **(مِنْ هَفَواتِهِ؟!)** فإن رَيْنَها الذي يتركب على قلوب أربابها يحجب عن فهم دقائق الأسرار وتجلي النوار، فمن أراد فهمها فليصفّ سريرته عن سواد سيئاته، وليطهِّر قلبه

عن أقذار زلاته، إذ لم تُفهَم ما لم تُصْقَل مرآة القلوب عن أرجاس الذنوب، وتُوَجَّهَ إلى علام الغيوب.

❖ ❖ ❖

(الكونُ) وهو ما سوى الله تعالى **(كلُّهُ ظُلْمَةٌ)** يُظلِمُ قَلْبَ من يتعلق بظاهره، ويَحجُبُ عن ظهور الأنوار فيه، ويُكدِّرُ مرآته بأنواع الأوساخ، ويَحُولُ بينه وبين أن يتجلى له حقائق الأسرار.

(وإنَّما أَنارَهُ) جعله مُنوَّراً **(ظُهورُ الحقِّ)** أي: ظهور آثارِ صفاته **(فيهِ)** إذ ما من ذرَّةٍ إلا وهي تدلّ على أن بارئها جليل الذات عظيم الصفات عليّ الأفعال ذو الجمال والجلال.

وليس المراد من ظهوره فيه حلولَه فيه واتحادَه به كما يظن ذلك أكفر الكفرة، تعالى الله من أن يحل في الحادث أو يتحد به. وإنما المراد من ظهوره فيه جَعْلُه دليلاً عليه.

(فَمَنْ رَأى الكَوْنَ وَلَمْ يَشْهَدْهُ) تعالى **(فيهِ)** كما أشير إلى ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] **(أَوْ عِنْدَهُ)** كما أشير إليه بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وبقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] **(أو قَبْلَهُ)** كما أشير إليه بقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ [الحديد: ٣] **(أَوْ بَعْدَه)** كما أشير إليه بقوله: ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

وشُهودُه فيه أن يشاهده مع رئية الكون لكمال فَهْمِه بدلالته على خالِقِه. وشهوده عنده ـ أن يشاهده عقب رؤية الكون ـ نوعُ قصورٍ في فَهْمِه بدلالته على بارئه. وشهوده قبله أن يشاهده قبل رؤية الكون لأنّ وجود الفاعل قبل رُؤيَة المفعول، وهذا شهود العارفين الذين يعرفون الأثر بالمؤثِّر. وشهوده بعده أن يشاهده بعد رؤية الكون لقصور فهمه بدلالته على موجِده، وهذا شهود غالب المستدلين بالأثر على المؤثِّر.

(فَقَدْ أَعْوَزَهُ) فاته **(وُجودُ الأَنْوارِ)** الكامنة في الكون **(وَحُجِبَتْ عَنْهُ شُموسُ المَعارِفِ)** الألٰهية الموضوعة في الكون **(بِسُحُبِ الآثارِ)** الظاهرة الحاجبة

عن شموس المعارف الكائنة في بواطنها، كحجب سحب السماء شمسها.

وفيه إيماءٌ إلى أنّ المعارف الإلٰهية الموضوعة في صفحات الكون في ظهورها كالشموس، لكن لا يشاهدها الناظر إلى آثار الأغيار الجاهل عما تحتها من الأسرار. وأمّا العارفون فيشاهدون الأسرار في الآثار، ويزدادون بشهودها في النوار، حتى لا يمنعهم شهودها عن شهود خالِقها، بل يرونها أنموذجاً عن مالِكها كأنها هو، وليست حقيقةً إيّاه، تعالى الله عن ذلك وحاشاه، فافهم سرّ هذه القضية إن كنت أهلها.



(**مِمّا يَدُلُّكَ عَلَى وُجُودِ قَهْرِهِ**) ما سواه (**سُبْحانَهُ أَنْ حَجَبَكَ عَنْهُ**) عن شهوده (**بِما لَيْسَ بِمَوْجودٍ مَعَهُ**)؛ إذ هذا الوجود العارِضي الذي حصل للمخلوق بفَيْضِ فَضْلِه كَلَا وجود، فوجودُه كعدمه، وليس المراد أنه معدوم حقيقة؛ إذ ذلك مخالِفٌ لما تواطئت عليه النقول والعقول، ومعتقِدُه خارجٌ عن دائرة أهل العقل.



(**كَيْفَ يُتَصَوَّرُ**) في العقول الصافية (**أَنْ يَحْجُبَهُ شَيءٌ**) سواه (**وَهُوَ الَّذِي أَظْهَرَ كُلَّ شَيءٍ**) وجَعَلهُ أوَضح دليل عليه؟!

(**كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيءٌ وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ**) بإظهار آثار صفاته الدالة عليه أظهرَ دلالةٍ (**فِي كُلِّ شَيءٍ؟!**) فما من شيء إلا وهو ينادي بلسان الحال أنه دليل ذي العزة والجلال، وأنموذج صاحب الجمال.

(**كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيءٌ**) من الأشياء (**وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ لِكُلِّ شَيءٍ؟!**) كان الله تعالى موجوداً ولم يكن معه موجود غيره، وكانت ماهيات المخلوقات معلومةً عنده بعِلْمِه القديم، فتجلّى لها لإظهار آثار صفاته، فاكتسبت هذا الوجود منه، ودلَّت عليه دلالة الشمس على النهار، وأعلَمَ كلّاً أنه خالِقه فعرفه، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فافهم إن كنت من أهل الأسرار.

(**كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيءٌ وَهُوَ الظّاهِرُ**) بوجوده الذاتي (**قَبْلَ**

وُجودِ كُلِّ شَيءٍ) سواه؟! من وجودِه وجودُه فكيف يمنع شهودَه شهودُه؟!.

(**كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيءٌ وَهُوَ أَظْهَرُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ**) بذاته العلية وصفاته الجلية وأفعاله السنية؟!.

(**كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيءٌ وَهُوَ الواحِدُ**) في ذاته وصفاته وأفعاله (**الَّذِي**[1] **لَيْسَ مَعَهُ**) في الوجود الذاتي (**شَيءٌ**) سواه؟! بل وجود ما عداه مكتَسَبٌ من عطاياه.

(**كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيءٌ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيءٍ؟!**) إذ هو المخرِجُ إياك من العدم ومُبْقِيكَ في الوجود، ومُرَبِّيكَ في كل لحظة، والقائم بأمرِكَ في كل آنٍ.

(**كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيءٌ وَلَوْلاهُ ما كانَ وُجودُ كُلِّ شَيءٍ؟!**) إذ لولا الفاعل لم يوجد الفِعْل.

أيَا (**عَجَباً كَيْفَ يَظْهَرُ الوُجودُ في العَدَمِ**) الذي أوَّله عدَمٌ ووجودُه عارِضِيٌّ قائم بإقامَةِ غيره؟! (**أَمْ كَيْفَ يَثْبُتُ الحادِثُ**) أي: كيف يُحْكَمُ للحادث بالثبوت (**مَعَ مَنْ لَهُ وَصْفُ القِدَمِ؟!**).

والحاصل أن وجود الحق هو الوجودُ الأصليُّ الظاهرُ الباهِرُ، ووجود ما سواه كالعدم بالنسبة إلى وجود ذي القِدَم، فصيرورة هذا حجَاباً لذلك من العجب العجاب عند أولي الألباب. شمس الضحى لا يراها الأعمى لا لخفائها، بل لعدم قابلية رؤيته إياها.



(**ما تَرَكَ مِنَ**) العمل على مُقتَضَى (**الجَهْلِ شَيْئاً مَنْ أَرادَ أَنْ يَحْدُثَ في الوَقْتِ غَيْرَ ما أَظْهَرَهُ اللهُ فِيهِ**) إذ له الأمر كله، وبيده الحُكم، وله التصرُّف، وهو العليم الحكيم.

فمن أراد إحداث غير ما أراده فهو من الجاهلين الذين ينازعون ـ

---

(١) ليست في (أ).

لجَهْلِهم ـ ربَّ العالمين. ليس للعبد الذليل شركة، بل يجب عليه أن يسلِّم أمره تسليماً، ويُذْعِنَ لحُكْمِه إكراماً وتعظيماً.

الفاعلُ المختار يفعل ما يختار، سواء تختار ذلك أوْ لا تختار، فلم تنازع لجَهْلِكَ صاحِبَ أمرك؟!.

❖ ❖ ❖

(إحالَتُكَ الأعْمالَ) الصالحة ـ التي أحبّها الباري وأمر بها عباده ورغّبهم فيها وجعلها أسباباً لنَيْلِهم فوزَهم في الأوِلَى والأُخرَى ـ عند ابتلائك بالأشغال **(عَلَى وجودِ الفَراغِ)** منها **(مِنْ رُعُوناتِ)** حموقات **(النَفْسِ)** المتكاسلة عن الطاعات، المتنفرة عن تحمّل مشاق ما يوجب القُرْبَ إلى ربِّ الموجودات، المجبولة على الميل إلى الشهوات، فلا تُطِعْها في تسويفها، بل اجتهد في الأعمال عند تراكم الأشغال، وتبتَّل إلى ذي الإكرام والإفضال بكريم الخصال.

وكم من مسوّف فاته ما تمناه، ولا يدرك المرء كل ما يهواه. ولكل وقت عَمَلٌ مستغرَقٌ له، فلا يمكن دَرْكُه إذا فات وَقْتُه.

❖ ❖ ❖

(لا تَطْلُبْ مِنْهُ أن يُخْرِجَكَ مِنْ حالةٍ) لا تُكرَه شرعاً **(لِيَسْتَعْمِلَكَ فيما سِواها)**، وترى بجهلك أن استعماله إياك فيما سواها أجدر وأولى، وتزعم أن تحصيلها لا يتأتى من غير أخراجٍ من هذه.

(فَلَوْ أَرادَكَ) لقُرْبِه **(لاسْتَعْمَلَكَ)** فيما تهواه **(مِنْ غَيْرِ إِخْراجٍ)** من هذه بأن يجعلك راقياً في درجات القُرُبَات إلى ذي الإفضال حين انغماسك في بحور الأشغال، ويقبلها لك وسائل الكمال.

❖ ❖ ❖

(ما أَرادَتْ هِمَّةُ سالِكٍ) ضعيفَ الهمَّة **(أَنْ تَقِفَ عِنْدَ ما كُشِفَ لَها)** من الأسرار والأنوار لظنها أنه غاية المقصود **(إلا وَنادَتْهُ هَواتِفُ الحَقيقةِ: الَّذي تَطْلُبُ أَمامَكَ)** فلا تَقِفْ عند ما كُشِف لك، بل سِرْ إلى مطلوبك.

والسير إلى الله تعالى لا ينتهي أبد الآباد، ودرجات الترقّي إليه لا تُقْصَى

ولا تُحْصَى، وكم من سالك شُغِلَ ببادئ الأنوار عن الأسرار، وبخوارق العادات عن أعالي الكرامات من المشاهدات، وظن أنه بلغ الغاية القصوى، ولم يعلم أن المقصود الأصلي غير ما رأى. ألا ترى أن الله تعالى يقول لأعرف خلقه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]؟!.

(**وَلا تَبَرَّجَتْ**) تبرزت (**ظَواهِرُ المُكَوَّناتِ**) بزينتها وزخارفها المُلْهِيَة عن أسرارها (**إلا وَنادَتْهُ حَقائِقُها**) بلسان أحوالها: (**إِنَّمَا نَحْنُ**) بظواهرنا (**فِتْنَةٌ**) نفتِنُ الأغْمَار عن الأسرار، (**فَلَا تَكْفُرْ**) فلا تتعلق بظواهرنا ولا تغفل بنا عن ربِّنا، ولا تجعلنا شركاً مع مالكنَا، بل غمِّض عينيك عن ظواهرنا، وَغُصْ بفَهْمِك في أبْحُرِ حقائِقِنا، وأَخْرِجْ مِنَّا دُرَر العرفان ولآلئ الإيقان، وافْهَمْ ما فينا من الأسرار، واتخذنا سُلَّماً للترقي إلى قرب الغفار. ظواهِرُنا حِجَابٌ، وحقائقنا موصِلَةٌ إلى الوهاب.



(**طَلَبُكَ مِنهُ**) مع ظنك أنك إن لم تطلب منه لم يعط (**اتِّهامٌ لَهُ**) فيما ضَمِنَ ووَعَد، وهو ذَنْبٌ عظيم. واطلب منه إظهاراً لفَقْرِك وفاقَتِكَ لديه، مع إيقانك أنّ ما وعد للعبد لا محالة واصِلٌ إليه، والدعاء مخ العبادة لما فيه من إظهار الحاجة والفاقة الموجِب لكمال التواضع في العبودية.

(**وَطَلَبُكَ لَهُ غَيْبَةٌ مِنْكَ عَنْهُ**) مع أنه أقرب إليك من حبل الوريد، وهو معك أينما كنت، افتح عين بصيرتك تراه عندك. متى غاب عنك حتى يطلب؟! ومتى فارقك حتى يُلتَمَس؟! أنت حجاب لنفسك، فاخرج عنك تجده عندك.

(**وَطَلَبُكَ لِغَيْرِهِ**) الذي لا يرضى بطلبه (**لِقِلَّةِ حَيائِكَ مِنْهُ**) إذ هو مُقْبِلٌ إليك حاضِرٌ لديك رقِيبٌ عليك، فطلبك لغيره يدل على عدم حيائك منه؛ إذ لو استحيَيْت منه لتوجَّهت بكُلِّيتِك إليه، وأعرضت عن ما عداه مُقبِلاً إليه، وهل يُلتَفَتُ إلى التراب مع حضور رب الأرباب؟! أو هل يُقبَلُ إلى الخراب مع إقبال الوهاب؟! ألا يستحيي العبيد أن يطلبوا غير الملك المجيد؟!.

(**وَطَلَبُكَ مِنْ غَيْرِهِ**) بغير إذنه في ذلك (**لِوُجودِ بُعْدِكَ عَنْهُ**). ولو شاهدت قُرْبَه منك واطلاعه بحالك وقدرته على تحصيل آمالك لما طلبت من غيره شيئاً، بل توكّلت عليه، وفوَّضت أمرَك كُلَّهُ إليه، لكنك لبُعْدِك عنه تَطْلُب مِنْ غيره، مع أنه لا يَقْدِرُ أن يُسعِفَ حاجَتك إلا بإرادته. فتأمَّل في قُبْحِ حالِك وسوء فعالك، وارْجُ مولاك في جميع أحوالك.



(**ما مِنْ نَفَسٍ تُبْدِيهِ**) تُظْهِرُه (**إلَّا وَلَهُ**) تعالى (**قَدَرٌ**) قَدَّرَهُ في الأزل (**فيكَ يُمْضيهِ**). فأنفاسك بأقداره، ويُظْهِرُ فيها آثار أوصافه، فلا تغفل عنه في أنفاسك.

قيل: إن الله وضع ذكر «هو» في النفس، فكل نفَسٍ يرشدك إلى أنه المقصود، فلا تغفل عنه، وهو ذِكْرٌ أولي الأنوار الذين صار عندهم الإضمار كالإظهار.



(**لا تَتَرقَّبْ**) لا تنتظر للمراقبة (**فُروغَ الأَغْيارِ**) الحائلة بينك وبينها؛ (**فإنَّ ذلِكَ**) الترقُّبَ (**يَقطَعُكَ عَنْ وُجودِ المُراقَبَةِ لَهُ فيما هُوَ مُقيمُكَ فيهِ**) ومراقبتك له فيما أقامك فيه بأن تراه عالِماً بظواهرك وبواطنك في جميع أحوالك وأشغالك، وأنّ ما أقامك فيه دليل عليه، فلا تغفل به عنه، بل اجْعَلْهُ سُلَّماً إليه.



(**لا تَسْتَغْرِبْ وُقوعَ الأَكْدارِ**) الحاجبة عن الأنوار والأسرار (**ما دُمْتَ في هذهِ الدّارِ**) التي هي دار الفِتَن والمِحَن والأحزان والبلايا والدواهي التي قلَّما يتصفى للسالك فيها سلوكُه عن الأكدار، خُلِقَتْ سِجْناً للصفيِّ آدم الذي صدر منه ما صدر بحكمته، ومَظْهَراً لعلامات شقاوة أهل الشقاوة، فالأقذار والأكدار والأوزار لوازمها، وما يوجد من أكدار الآخرة فهو مرتَّبٌ على ما فعل فيها، ولا تعدل عند بارئها جناح بعوضة، ولم ينظر إليها نظر فضل منذ خلقها.

(**فإنَّها ما أبرَزَتْ**) شيئاً (**إلّا ما هُوَ مُستَحَقٌّ وَصْفِها وَواجِبٌ**) لازم (**نَعْتِها**) ولا يتأتى منها غير ما أتى منها كلٌّ مُسهَّلٌ لما خُلِقَ له، فهوِّن أمْرَ حوادثها عليك، ولا تبال بسهام دواهيها التي ترميها إليك، ولا تتعجب من أقدارها مع أقذارها.



(**ما تَوَقَّفَ مَطْلَبٌ**) من المطالب (**أَنتَ طالِبُهُ بِرَبِّكَ**) الذي بيده التصرُّفُ كلُّه، فَعَوِّلْ في أمورك كله عليه، واستعن به في كل مُهِمٍّ ومطلوب، واعلَمْ أنه الفاعِلُ حقيقةً، وإنما أنت آلةٌ ظاهرية، واطلب مطلوبك به تَفُزْ بحصوله.

(**وَلا تَيَسَّرَ مَطْلَبٌ أَنْتَ طالِبُهُ بِنَفْسِكَ**) العاجزة القاصرة.

والحاصل أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، فينبغي طلب المطلوب به، لا بغيره، والنظر إلى الغير نَقْصٌ في توحيد العبد.



(**مِنْ عَلاماتِ النُّجْحِ**) الفوز بالمطلوب (**في النِّهاياتِ الرُّجوعُ إلى اللهِ**) من كل الوجوه (**في البِداياتِ**).

❖ ❖ ❖

(**مَنْ أَشْرَقَتْ بِدايَتُهُ**) بالرجوع فيها إلى الله تعالى كما يحب ويرضى (**أَشْرَقَتْ نِهايَتُهُ**). ومن أظلمت بدايته بالرجوع إلى غير الله تعالى أظلمت نهايته.

والحاصل ما يُغْرَس في البداية يُجْتَنَى في النهاية. من كانت بدايته على السُّنَّة كانت نهايته على الاستقامة، ومن كانت بدايته على البِدْعَة كانت نهايته على الغواية.

❖ ❖ ❖

(**ما اسْتُوْدِعَ في غَيْبِ السَّرائِرِ**) من خَيْرٍ وضَيْرٍ (**ظَهَرَ**) بظهور دلائله

(في شَهادةِ الظَّواهِرِ) فمن كانت طَوِيَّتُه طيِّبة ظهرت آثارُ طيبها في أقواله وأفعاله وأحواله، ومن كانت سريرته سيئة بَدَتْ علاماتها في أعماله، فالظاهر دليلٌ الباطن، كما أنّ الباطن أصْلُ الظاهر؛ قال الله تعالى في المخلصين: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال في المنافقين: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

أو ما قَدَّرَ اللهُ في الأزل وقَعَ الأمْرُ على طِبْقِه.



(شَتَّانَ) وَقَعَ بَوْنٌ بعيدٌ **(بَينَ مَنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ)** على غيره؛ إذ هو كامل في ذاته وصفاته فلا بد أن يكون له مظاهِرُ ذلك، **(وَبَيْنَ مَا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ)** بغيره من المخلوقات؛ إذ تغيُّرُها يَدُلُّ على حدوثها من مُحْدِثٍ واجب الوجود واحِدٍ قديم كامل في أوصافه، منزَّهٍ عن ما لا يليق به. الأوَّلُ حالُ الواصلين، والثاني مقام السالكين.

(المُسْتَدِلُّ بِهِ) على غيره **(عَرَفَ الحَقَّ لأَهْلِهِ، وَأَثْبَتَ الأَمْرَ)** الفرعي **(مِنْ وُجودِ أَصْلِهِ)** وانتقل من الأصل إلى الفرع، ولو لم يكن الأصل موجوداً لكان الفرع مفقوداً.

(وَالاسْتِدْلالُ) بغيره **(عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ الوُصولِ إلَيهِ)** إذ الواصِلُ إليه يكفيه العيان عن البيان. ألا ترى أنه لا يستدل على القبلة بالنجوم والجبال إلا من كان نائياً عنها غير مشاهد إياها؟! ومن شاهدها لم يحتج إلى الاستدلال عليها.

(وإلّا فَمَتى غابَ حَتّى يُسْتَدَلَّ عَلَيْهِ) مع أنه هو الظاهر الذي ليس في الظهور فوقه شيء، **(وَمَتى بَعُدَ حَتّى تَكونَ الآثارُ هِيَ الَّتي تُوَصِلُ إلَيْهِ)** وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد، وهم معهم أينما حلوا، إنما حجبهم عنه شغلهم بغيره.



(لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ) على قدر وسعته، ومن هذا النوع **(الواصِلونَ إلَيْهِ)** تعالى الذي وَسَّع عليهم في العرفان حتى صار الغيب عندهم

كالعيان، آثارهم على قدر أسرارهم، وأطوارهم على قدر أنوارهم، وإنفاقهم على قدر ذخائرهم.

(مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) ينفق على قدر حاله، ومن هذا النوع **(السّائِرونَ إلَيْهِ)** الذين لم يحصلوا من العرفان ما حصله الواصلون، إيقانهم على طبق إقتارهم، وإنفاقهم على قدر اقتدراهم.

❖ ❖ ❖

(اهْتَدى الرّاحِلونَ إلَيْهِ بِأَنْوارِ التَّوَجُّهِ) وعلى قَدْرِ توجُّهِهم وقُرْبِهم أنوارُهم، **(وَالواصِلونَ لَهُمْ أَنْوارُ المُواجَهَةِ)** التي أنوار التوجُّهِ بالنسبة إليها كأنوار النجوم بالنسبة إلى أنوار الشموس.

(فَالأَوَّلونِ) الذين لم يصلوا بعدُ، طالبون **(لِلأَنْوارِ)** ليهتدوا بها في ظلمات الأغيار إلى الأسرار، **(وَهؤلاءِ)** الواصلون **(الأَنْوارُ لَهُمْ لأَنَّهُمْ للهِ لا لِشَيْءٍ دونَهُ)** من الأنوار وغيرها، ومن كان لله كان له كل شيء، بخلاف الراحلين إليهم فإنهم للأنوار فلم تخلص أسرارهم من شوائب الأغيار.

(قُلِ اللهُ) المقصود، لا ما سواه، وأدم ذكره ظاهراً وباطناً، مُعرِضاً عن ما عداه، واعلم أن كل ما في الوجود فهو الذي حباه وأولاه.

(ثُمَّ ذَرْهُمْ) أي: الخائضين **(فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)** ولا تشاركهم فيما يعملون، وسيعلمون خسارة ما يفعلون.



(تَشَوُّفُكَ إلى ما بَطَنَ فيكَ مِنَ العُيوبِ) كالحقد والحسد والحرص والبخل والتكبر وأمثالها لتعرف بها نقصانك واحتقارك، وتسعى في تهذيبك عن أدناسها وأرجاسها، وتخلصك عن الابتلاء بشؤم عواقبها **(خَيْرٌ مِنْ تَطَلُّعِكَ إلى ما حُجِبَ عَنْكَ مِنَ الغُيوبِ)**؛ إذ التطلع على هذه أهم من التطلع عليها، والاجتهاد في الخلاص من وبال هذه أقدم على تحصيلها، وكثيراً ما يكون حتفك في التطلع عليها، فقدّم أمر العيب على الغيب.

❖ ❖ ❖

(الحَقُّ) سبحانه **(لَيْسَ بِمَحْجوبٍ)** في الحقيقة، **(وإنَّما المَحْدوبُ أَنْتَ عَنِ النَّظَرِ إلَيْهِ)** لشغلك بغيره وعدم توجُّهِك إليه، **(إذ لَوْ حَجَبَهُ شَيءٌ)** من الأشياء **(لَسَتَرَهُ)** عن ما سواه **(ما حَجَبَهُ)** من الأشياء، **(وَلَوْ كانَ لَهُ ساتِرٌ)** ستره عن غيره **(لَكانَ لِوُجودِهِ حاصرٌ)** يحصره في حدّ معيّن؛ إذ المستور لا بد أن يكون محدوداً محصوراً، **(وكُلُّ حاصِرٍ لِشَيءٍ فَهَوَ لَهُ قاهِرٌ)** إذ لو لم يقهره لم يحصره، **(وَهُوَ القَاهِرُ)** لكل شيء، فالقاهر لا يكون مقهوراً، فلا يكون محصوراً، فلا يكون مستوراً، **(فَوْقَ عِبادِهِ)** فوقية تليق بعلوّ جلاله، أزل عنك ما سواه من الموجود حتّى تفوز بالشهود، وتظفر بتجلي الملك المعبود.



(اخْرُجْ مِنْ أَوْصافِ بَشَرِيَّتِكَ) كالميل إلى الشهوات واللذات، وطهّر نفسك **(عَنْ كُلِّ وَصْفٍ مُناقِضٍ لِعُبوديَّتِكَ)**، ولا تحصل العبودية الخالصة إلا بعد الخروج من الأوصاف القبيحة إذ وجودها والمشي على طبقها مناقض للعبودية الصرفة.

(لِتَكونَ لِنِداءِ الحَقِّ) حين يناديك إلى ما يوجب القرب منه **(مُجيباً)** بالمحبة من غير منازعة؛ إذ ما دام في الإنسان من أوصاف النفس الأمارة بالسوء وأمر الشيطان لا يتأتى منه من غير منازعة؛ إذ هي تنازع في الإجابة.

(ومِنْ حَضْرَتِهِ قَريباً) ما أبعدك عنها إلا اتصافك بأوصاف بشريتك والاختلاط بما يناقض عبوديتك.



(أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ) مُبْعِدَة عن الحقِّ **(وَغَفْلَةٍ)** حاجِبَةٍ **(وَشَهْوةٍ)** مانِعةٍ من الوصول إليه **(الرِّضا عَنِ النَّفْسِ)** المجبولة على الانهماك في السيئات والغفلات والشهوات لتناسبٍ بينها وبينها، فمن رضي عنها وحسَّن أمرها سوَّلَتْ له ما جُبِلَت عليه، وأقحَمتْهُ فيما طُبِعَت عليه، وجَعَلَتْ في عنقه رِبْقَتَها، وصيّرته عبداً لها، فيركض في رضاها، ويسعى في هواها. وكثيراً ما تكون عاقبته خُسْراً بأن تفوِّتَهُ أجراً وتعوِّضَهُ عنه جمراً، فانْجُ من هذه الغدّارة الفرارة

المكارة الشرارة، وخُذ الجُنَّة من غدرتها قبل أن تقع في شبكتها.

(وَأَصْلُ كُلِّ طاعَةٍ) مقرِّبة إلى الحقِّ **(وَيَقظَةٍ)** عن سِنَة الغفلة **(وَعِفَّةٍ)** عما لا يليق **(عَدَمُ الرِّضا مِنْكَ عَنْها)** فإذَا لم تَرْضَ عنها وقبَّحْتَ الأمورَ التي تهواها وكبَحْتَ عنانها عن طغيانها وكففتها عن عصيانها وحمَلْتَها على ما يزيد في إيمانها وإيقانها وعرفانها صارت لك مطيَّةً منقادة تَبْلُغُ باستعمالها في مرضاة الله أعلى المراتب، وتفوز بأجلِّ المواهب، وتنجو من أشد المصائب، وذلك الفوز العظيم، وفي ذلك فليتنافس المنافسون.



(وَ) والله **(لَئِنْ تَصْحَبَ جاهِلاً)** عن كثير من العلوم الظاهرية **(لا يَرْضى عَنْ نَفْسِهِ)** ويخالفها في هواها ويستعملها في الطاعة التي تأباها **(خَيرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَصْحَبَ عالِماً)** عِلْماً جارِياً على لسانه غير مُفْضٍ إلى جنانه **(يَرْضى عَنْ نَفْسِهِ)** فيتركها فيما تشتهيه، ويوافقها فيما تبتغيه وإن كان ذلك يُرْدِيه، والنفوسُ تقتبس بعضها من بعض وتتأثر. صحبة الأخيار تجذب إلى أفعال الأبرار، ومجالسة الأشرار توقع في الأوزار.

(فأَيُّ عِلْمٍ لِعالِمٍ يَرْضى عِنْ نَفْسِهِ) أي: لا يعبأ بعلمه إذا رضي عن نفسه؛ فإنه لا ينتفع به مع رضاه عنها لأنها تطفئ نورَ علمه بظلمات ما ترتكبه من شهواتها وتكتسب من هفواتها، وتوجِبُ له أشد العذاب مع أغلظ العتاب.

(وَأَيُّ جَهْلٍ لِجاهِلٍ لا يَرْضى عَنْ نَفْسِهِ) فإنّ علمه بقُبْحِها وسوءِ صنيعها مع عَمَلِه على خلاف متمنّاها عِلْمٌ عظيم نافع في الدنيا والآخرة.



(شُعاعُ البَصيرةِ يُشْهِدُكَ قُرْبَهُ) تعالى **(مِنْكَ)** لأنه أقرب إليك من حبل وريدك، لكنك لا تشهد قربه إلا بنور بصيرتك.

(وَعَيْنُ البَصيرَةِ) التي مرتبتها أعلى من مرتبة شعاع البصيرة **(تُشْهِدُكَ عَدَمَكَ لِوُجودِهِ)** وهو أن ترى أن وجودك الحادث بالنسبة إلى وجوده القديم الذاتي كأنه ليس بوجود.

(وَحَقُّ البَصيرَةِ) التي مرتبتها أعلى من مرتبة عين البصيرة **(يُشْهِدُكَ**

وُجودَهُ) الأزلي الأبدي، **(لا عَدَمَكَ وَلا وُجودَكَ)** لفنائك بتجلّي ربّك عن قلبك عن ما سواه، وهذا غاية ما يقصده المتصوفون.



(كانَ اللهُ) بوجوده الذاتي **(وَلا شَيْءَ مَعَهُ)** من الموجودات، **(وَهُوَ الآنَ)** حين أوجد ما في عِلْمِه كان **(عَلَى ما عَلَيْهِ كانَ)** من وَحْدَته في وجوده؛ لأنّ بوجود ما أوجده لم يصر له مساو في وجوده، فأين الوجودُ العارِضِيُّ من الوجود الذاتيّ حتى يساويه أو يقاربه؟!



(لا تَتَعَدَّ هِمَّتِكَ) أي: لا ينبغي أن تتجاوز عن الطمع في فضله **(إلى غَيْرِهِ؛ فَإن الكَريمُ)** الذي خزائنه لا تفنى، ويَجُودُ بما لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى **(لا)** ينبغي أن **(تَتَخَطّاهُ الآمالُ)** لأنه هو الذي يَقْضِيها لا غيره، ويحبّ من عباده الطمع فيما لديه، والسؤال عن ما هو بين يديه، ويكره لهم الطمع في غيره، لو شاهد المحجوبون جُودَهُ وفَضْلَهُ لم يطمعوا في غيره.



(لا تَرْفَعَنَّ إلى غَيْرِهِ) مع الاعتماد عليه **(حاجَةً)** ليقضيها **(هُوَ مُورِدُها عَلَيْكَ)** بحكمته، ومنها أن ترجع في قضائها إليه، وتُظْهِرَ فَقْرَكَ وفاقتك لديه، ويزداد حُبُّكَ له عند قضائه إياها لك، ما يورده لا يرفعه غيره، **(فَكَيْفَ يَرْفَعُ غَيْرُهُ ما كانَ هُوَ لَهُ واضِعاً؟!)** هل لغيره قدرة كقدرته حتى يرفع ما وضعه؟! تالله لو اجتمعت الخلائق كلها على رفعها لم تقدر عليه، واقطع نظرك عن الآثار وانظر إلى القادر المختار.

(مَنْ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يَرْفَعَ حاجَةً عَنْ نَفْسِهِ) لعَجْزِه عن مهمات أمره **(فَكَيْفَ يَسْتَطيعُ أَنْ يَكونَ لَها عَنْ غَيْرِهِ رافِعاً؟!)** إذ العجز عمَّ الكونَ كُلَّه.

حكي أن بعض الفقراء قصد بعض الأغنياء لينال شيئاً من دنياه، فوجده رافعاً يديه إلى السماء، فسأل: ممن يسأل هذا؟ قيل: من ربه. فتنبه الفقير

وقال: هو ربي وربُّه، فِلمَ لا أسأله كما يسأله؟ فتركه وتوجَّه إلى ربه. والله أعلم بالصواب.



(**إنْ لَمْ تُحسن بِهِ ظَنَّكَ لأَجْلِ حُسْنِ وَصْفِهِ**) وهو كونه جواداً كريماً برّاً لطيفاً (**فَحَسِّنْ ظنَّكَ بِهِ لِوُجودِ مُعامَلَتِهِ**) الحسنة (**مَعَكَ**) بمجرد جُودِه وفَضْلِه، مع أنك تقابل إحسانه بعصيانك، (**فَهَلْ عَوَّدَكَ**) فيما مضى من دهرك (**إلّا حَسَناً؟! وَهَلْ أَسْدى**) أوصل (**إلَيْكَ إلّا مِنَناً؟!**) ألا ترى أنه أوجدك من العدم، وأفاض عليك فواضل النعم، ووقاك عن ما لا يحصر من النِّقَم، فحسِّن الظنَّ به؛ فإنه عند ظن عبده به.



(**العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ**) عند أهل البصيرة (**مِمَّنْ يَهْرُبُ مِمَّا لا انْفِكاكَ لَهُ عَنْهُ**) وهو الله الذي لا انفكاك للعبيد عنه، عَلِمَهُم قبل وجودهم، ثم كان أقرب الأشياء إليهم بعد بروزهم، قائماً بأمورهم، رقِيباً على ظواهرهم وضمائرهم، لا يخفى عليه خافية من سرائرهم. منه وُجودُهم، وإليه عَوْدُهم.

(**وَيطْلُبُ ما لا بَقاءَ لَهُ مَعَهُ**) وهو ما سوى الله تعالى، (**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ**) عن إدراك حقائق الأسرار وحقائق الآثار؛ إذ ليس من شأنها إدراكها حتى تُوصَف بالعمى عنها، (**وَلَكِنْ تَعْمَى**) عنها (**الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**) إذ من شأنها إدراكها، فتوصف بالعمى عنها. وعماها لانطماس أنوار بصائرها بأقذار الأوزار وأوساخ الأغيار، فلا تدرك حقائق الأمور.



(**لا تَرْحَلْ مِنْ كَوْنٍ إلى كَوْنٍ**) آخر (**فَتَكونَ**) في ارتحالك من كَوْنٍ إلى آخر (**كَحِمارِ الرَّحى؛ يَسيرُ**) حول الرحى (**وَالمَكان الَّذي ارْتَحَلَ إِلَيْهِ هُوَ الَّذي ارْتَحَلَ مِنْهُ**) وهذا حال كل ما يدور في دائرة.

(**ولكِنِ ارْحَلْ مِنَ الأكْوان**) التي وجودها كعدمها عند أهل العرفان، وأهل الدوران فيها من أهل الخسران، (**إلى المُكَوِّنِ**) الذي كوّنها بقدرته

وأظهر فيها آثار صنعته، وجعلها دلائل وَحْدَته وعظمته، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢]) وهو المقصود الأسنى والمطلب الأعلى، فلا ينبغي أن يكون دونه مرمى، وكيف يراد ما سواه وهو ينادي لا تَقْصِدْه، بل اقصد مولاه.

(**انْظُرْ إلى قَوْلِهِ ﷺ**) الذي صدر منه بوحي من ربه: (**«فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ**) تركه وطنه (**إلى**) محل رضا (**اللهِ وَرَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسولِهِ**) مقبولة مثاب عليها ثواباً عظيماً، (**وَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيا يُصيبُها**) يقصد حصولها حصّلها أو لم يحصّلها (**أو**) هجرته إلى (**امْرأةٍ**) يريد أن (**يَتَزَوَّجُها**) تزوجها أو لا (**فَهِجْرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إلَيْهِ»**) لا إلى الله ورسوله ﷺ.

(**فافْهَمْ قَوْلَهُ ﷺ**) «فهجرته إلى ما هاجر إليه»، (**وَتَأَمَّلْ هذا الأمْرَ إنْ كُنْتَ ذا فَهْمٍ**) في الأمور الدقيقة (**والسَّلامُ**).

والحاصل أن المهاجر الأوّل لمّا كان مرتحلاً من كون إلى مكوِّنٍ مدح بقوله: «فهجرته إلى الله»، والمهاجر الثاني لمّا كان مرتحلاً من كون إلى كون آخر ذمّ بقوله: «فهجرته إلى ما هاجر إليه» فينبغي الارتحالُ من الأكوان إلى الرحمٰن، وهو دأب أهل العرفان، لا منها إليها كما هو شأن أهل الخسران.



(**لا تَصْحَبْ مَنْ لا يُنْهِضُكَ**) يُقِيمُك ويُشْرِف بك إلى الله تعالى وطاعته (**حالُهُ**) لعَدَمِ كُوْنِه لله تعالى، (**وَلا يَدُلُّكَ عَلَىٰ اللهِ مَقالُهُ**) لاشتغاله بغيره، والصحبة مؤثرة في أربابها، وربما أفسدك بحاله وضيّعك بمقاله، وفي صحبة هذا ليس سوى الخسران، فاحترز عنها إن كنت من أهل الإيقان.



(**رُبَّما كُنْتَ مُسيئاً**) في ظاهرك وباطنك، (**فَأَراكَ الإحْسانَ مِنْكَ صُحْبَتُكَ مَنْ هُوَ أَسوأ حالاً مِنْكَ**) لأنك إذا صاحبته وعرفت أنه أسوأ حالاً منك زعمت أنك مُحْسِن في أمرك، واغتررت بما عندك، وكَبُرَت نفسك على

من دونك، ولم تطهرها عن أوساخ إساءتك، ولم تنهض إلى ما يرفع درجاتك.

والبلاء كل البلاء أن يرى السالك لنفسه إحساناً، ففرّ من صحبة الأشرار، واختر صحبة الأخيار، فإنهم قوم لا يشقى جليسُهم.



(**ما قلَّ عَمَلٌ**) في الحقيقة وإن كان قليلاً في الظاهر (**بَرَزَ**) إلى الأعضاء التي هي كالأتباع (**مِنْ قَلْبِ**) هو رئيسها (**زاهِدٍ**) عن ما سوى الله تعالى، فإنه يخرج نقياً خالصاً نظيفاً عن أوساخ الرغائب، وهو كالدرر المثمنة، قليلها كثير، وصغيرها كبير.

(**وَلا كَثُرَ عَمَلٌ**) في الحقيقة وإن كان كثيراً في الظاهر (**بَرَزَ مِنْ قَلْبِ راغِبٍ**) في سوى الخالق المالك، فإنه يبرز مغشوشاً متكدِّراً بأكدار الرغبات في غير خالق الأرض والسمٰوات، فهو كالحجار قليلة الأثمان، تعبها كثير ونفعها قليل.

فازهد فيما سوى المقصود الحقيقي يكون قليلُكَ كثيراً، ولا ترغب في غيره فيكون كثيرُكَ قليلاً، ولا تكن كالحمار يتعب بحمل الأسفار.



(**حُسْنُ الأَعْمالِ**) الصادرة من الجوارح (**نَتائِجُ حُسْنِ الأَحْوالِ**) الكائنة في القلوب، فمن كان حالُه حسناً كان فِعْلُه حَسناً، ومن كان حالُه قبيحاً كان فِعْلُه قبيحاً.

(**وحُسْنُ الأَحْوَالِ**) الحاصلة لأهل القلوب الصافية والهِمَم العالية (**مِنَ التَّحَقُّقِ في مَقاماتِ الإِنْزالِ**) وللسالكين إلى الله تعالى مقامات، كمقام التوبة والإرادة، لكل مقام آداب وشروط، فمن أنْزِلَ فيها وأعْطَى كلاًّ منها حقَّهُ وتحقق كانت أحواله بعد قطعها حسنة، ومن أنزل فيها وأخلّ بآدابها وما يليق بها وخرج عنها قَبْلَ التحقُّقِ كانت أحواله مختلَّة على قَدْرِ اختلاله في مقامات إنزاله، فاعْطِ كل مقامٍ حقَّه. والتحقق فيه هو الموجب لحسن الأحوال.

وقس هذه المقامات والأحوال على الزرع وحبوبه، فالزرع الذي يزرع في أرض طيبة مناسبة له في فصل موافق له ويكون بذره طيباً، وأُعْطِيَ حقَّه من ماء ودمن وأمثالهما يكون حَبُّه طيباً، والزرع الذي اختل في شيء مما ينبغي له اختل حبه.



(لا تَتْرُكِ الذِّكْرَ لِعَدَمِ حُضورِكَ مَعَ اللهِ فيهِ) لأجل شغل قلبك بغيره، ولا تظنن أنّ في ذلك سوء أدب مع مولاك حيث يجري ذِكْرُه على لسانك مع عدم الحضور في جنانك؛ **(لِأَنَّ غَفْلَتَكَ عَنْ وُجودِ ذِكْرِهِ أَشَدُّ مِنْ غَفْلَتِكَ في وُجودِ ذِكْرِهِ)** لأنّ في الغفلة عن الذكر تَرْكاً له بالكلية وإعراضاً عنه وتعطيلاً للنفس عن أكبر ما خُلِقَت له، بخلاف الغفلة عن الحضور مع وجود الذكر لأن بعض البدن مشغول بما هو مقصود أكبر وإن فقد الحضور الذي هو الخلاصة، وفَوْتُ الكل اشدُّ من فَوْتِ البعض.

(فَعَسى) الكريم الذي لا يخيب من قرع بابه بذكره **(أَنْ يَرْفَعَكَ مِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ غَفْلَةٍ)** عن الحضور فيه **(إِلى ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ يَقَظَةٍ)** نوع حضور فيه، **(وَ)** أن يرفعك **(مِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ يَقَظَةٍ)** فيه **(إِلى ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ حُضورٍ)** فيه وهو أعلى من اليقظة، **(وَمِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ حَضورٍ إِلى ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ غَيْبَةٍ عَن ما سِوَى المَذْكورِ، وَمَا ذَلِكَ)** الرفع المذكور **(عَلَى اللهِ)** الذي بيده الأمور كلها **(بِعَزيزٍ)** بثقيل، فلا تقطع رجاءك عنه، ولا تغفل عن ذكره.

والله حكيم، وله في هذا التدريج إذا أراد حِكَم لأنه إذا أخرج الذاكر عند أول أمره إلى ذِكْرٍ مع غيبة عن ما سوى المذكور لتهالك لعدم استعداده لذلك في بداية أمْرِه المنهمك في الأشغال، إذا شرع في الذكر لا تجد فيه حضوراً بما انطبع في قلبه من صور الآثار فأظلم وتكدّر بالتعلق بالأغيار، لكن الذكر نور يزيل الظلمات شيئاً فشيئاً، حتى يجد الذاكر في قلبه نوع حضور، ثم لا يزال يزيد حتى يجد حضوراً أعلى مما قبله، ثم لا يزال يزيد حتى يصير

قلبه كله منوَّراً، ويتصل نورُه بنورِ ربه المقدس، فلا يشاهد ما سواه.

مثال القلب المملوء بظلمة الآثار والأوزار والأغيار كالليل المظلم الذي يرى فيه النجوم، ومثال نور الذكر كالشمس، فإذا آن وقت طلوعها ظهر من نورها شيء أزال شيئاً من ظلمة الليل، ثم لا تزال ترتفع وتصعد ظلمة الليل على قدر ارتفاعها، فإذا طلعت ذهبت الظلمة واختفت النجوم ولم يشاهد منها شيء.

والوصول إلى غيبة عن ما سوى المذكور أعلى ما يقصده المتصوفة، ومقام الأنبياء عليهم السلام أفضل من هذا وأجلّ وهو أن شهودهم الكامل لا يمنعهم عن إدراكهم الخلق، فيدركون الحَقَّ حقّاً والخَلْقَ خَلْقاً، ويوفون لكل ذي حقٍّ حقَّه.



(مِنْ عَلاماتِ مَوْتِ القَلْبِ) وموته عبارة عن فقدنه ما هو كمال فيه، كذكر الله تعالى، وشوقه، ومحبته، وخوفه، وتألمه على فوات ما يرضي سيِّدَه، وصدور ما يسخطه، **(عَدَمُ الحُزْنِ عَلَى ما فاتَكَ مِنَ المُوافَقاتِ)** مع رب الموجودات بتركه ما يحب من الطاعات، **(وتَرْكُ النَّدَمِ عَلَى ما فَعَلْتَهُ مِنْ وُجودِ الزَّلَّاتِ)** التي توجب البُعْدَ من حضرته والحرمان من رأفته.

لو كان لفائت الموافقات وفاعِلِ الزلات قَلْبٌ لتقطَّع حزناً على فوات موافقات مولاه وتندماً على فعل ما أبعده عنه وأرداه، ولمات كمداً ولم يتهنئ بالعيش أبداً.



(لا يَعْظُمِ الذَنْبُ عَنْدَكَ عَظَمَةً تَصُدُّكَ) أي: تلك العظمة **(عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ باللهِ)** الكريم الجواد الغفار الوهاب الحليم العفو الرؤوف الرحيم، الذي لا ينتفع بالطاعة ولا يتضرر بالمعصية، ولا يعظم عليه أن يغفرها. نعم ينبغي أن يعظم عندك عظمةً تمنعك عن العصيان والإصرار على الطغيان، وتحمِلُك على التوبة إلى الحنّان المنّان.

(**فإنَّ مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ**) العظيم الحليم اللطيف البرّ الرحيم (**استَصْغَرَ في جَنْبِ كَرَمِهِ ذَنْبَهُ**) وأيُّ شيء ذنوبُ العصاة حتى لا يقدر على غفرانها أو يثقل عليه العفو عنها؟! ولو كانت الخلائق كلها عصاة بأغلظ العصيان لما بالى أن يصفح عنهم ويغمرهم برحمته ويغمسهم في رأفته، ألا ترى كيف يجر أهل الكفران بالسلاسل إلى الجنان[1]، وأهل العصيان إلى موجبات الغفران؟!.



نعم (**لا صَغيرَةَ إذا قابَلَكَ عَدْلُهُ**) لأنها حينئذ كبيرة، وأنّى للتراب المهان أن يعصي ربه القهار الجبار السلطان؟! وأنّى للعبيد أن يعاندوا الملك المجيد؟! فلو عذبهم بأدنى عصيان أحدهم لكان عادِلاً في ذلك، لكنه كريم لا يعذب من يعذّب إلا على قَدْرِ ذنبه.

(**وَلا كَبيرَةَ إذا واجَهَكَ فَضْلُهُ**) لأنه إذا فتح باب فضله تلاشت الكبائر في جنبه، بل إذا شاء بدلها حسنات، ولم يبال به. هو ربٌّ عادِلٌ، إذا فتح باب جلاله خاف أفضل الخلائق من عَدْلِه، كريم إذا فتح باب جماله طمع أكفر الكفّار في فضله.

إلهي إن أحببتني بكرمك من غير استحقاق مني لذلك غفرت سيئاتي لأن الكريم إذا أحب عفا، فأحبّني بفضلك كي أفوز بكرامتك، وإن مقتني وأبغضتني لسوء أعمالي وقبح أفعالي وخبث باطني لم تقبل حسناتي ـ إن كانت ـ لأنها تصير هباء منثوراً عند غضبك، وفلا تمقتني يا سيدي كي لا أبتلى بالبلية.



(**لا عَمَلَ أَرْجى لِلْقُلوبِ**) لتطهرها من أكدارها وتنورها بأنوارها وخروجها من موتها إلى حياتها ومن سفلها إلى علوها (**مِنْ عَمَلٍ يَغيبُ عَنْكَ شُهودُهُ**) بأن تتيقن أنّ سيدي أوجدني ولم أكن شيئاً مذكوراً، وخَلَقَ فيّ قوة

(١) بإلهام التوبة من الكفر.

هذا العمل، وأراده مني، وخلَقَهُ فِيَّ، وسهَّلَ لي أسبابه، فالفِعْلُ له حقيقة، وليس لي منه إلا الصورة الظاهرية، ومشاهِدُ العمل من نفسه لا يخلو عن شَوْبِ شِرْكٍ.

(وَيحْتَقَرُ عِنْدَك وُجودُهُ) بأن تعلم أنّ الإله عظيم الشأن، عَلِيَّ السلطان، لو كانت الخلائق كلها مشتغلة بأكبر الأعمال دهراً أدهر لم تساو أعمالُهم عنده جناحَ بعوضة لعظمته وكبريائه، فأيُّ شيء يكون عَمَلُك حتى يكون له مقدار عنده؟! وقد أعطاك من النِّعَم ووقاك من النقم ما لا يكافي عملُك عشر معشاره، بل لا يكافي شيئاً منها، فتبصّر ولا تنظر إلى عملك.



(إنَّما أَوْرَدَ) الله الحكيم **(عَلَيْكَ الوارِدَ)** من الواردات كالقَبْضَ الموجِب للغَمِّ، والبَسْطِ الموجِب للفَرِحِ **(لِتَكونَ بِهِ عَلَيْهِ وارِداً)** ليكون مطيّتك للورود عليه، فإذا ورَدَ عليك وارِدٌ فَطِرْ لى مَتْنِه إلى جنابه، ولا تحط رحالك إلا على بابه.



(أَوْرَدَ عَلَيْكَ الوارِدَ لِيَتَسَلَّمَكَ) ليأخذك **(مِنْ يَدِ الأَغْيارِ)** التي لطختك بالأكدار **(وَيُحَرِّرَكَ مِنْ رَقِّ الآثارِ)** التي حجبتك عن مشاهدة أنوار الأسرار.



(أَوْرَدَ عَلَيْكَ الوارِدَ لِيُخْرِجَكَ مِنْ سِجْنِ وُجودِكَ) الذي سجنت فيه عن الوصول إلى المقصود **(إلى فَضاءِ شُهودِكَ)** لمعبودك، فإذا وردت عليك الواردات فاعْطِ كل وارد حقَّه، وسِرْ به إلى من أورده عليك، فإنه رسوله إليك يدعوك إلى حضرته لتتشرف بخُلُق معرفته وحلة كرامته، ولا تشتغل بالوارد عن المورِد.



(**الأنوارُ**) الواردة من رب شكور على الصدور (**مَطايَا القُلوبِ**) تسير عليها إلى مورِدها، (**وَالأَسْرارِ**) تدرك بها حقائقها، من فاز بالأنوار فاز بسير القلب إلى الرب وحقائق الأسرار.



(**النّورُ**) الأهليُّ الذي يُعِينُ اللهُ به من أحبَّه (**جُنْدُ القَلْبِ**) الذي هو موضع نظر الرب وآلة معرفته، (**كَما أَنَّ الظلْمَةَ**) المتراكمة من الأقذار والأوزار والأغيار والآثار (**جُنْدُ النَفْسِ**) التي هي مأوى الشرور ومجلس الشيطان الغرور، وبين جند القلب وجند النفس قتال، إن غلب جندُ القلب جندَها صارت منقادَةً إلى الخير، وإن غلب جندها جندَه صار منبعاً للضَّيْر.

(**فإذا أرادَ اللهُ**) الذي بيده النصرُ كله (**أنْ يَنْصُرَ عَبْدَهُ**) على عدوِّه الذي أبعَدَه من باب سيِّده (**أَمَدَّهُ بِجُنودِ الأَنْوارِ**) الصادرة من فَيْضِ فَضْلِه، (**وَقَطَعَ عَنْهُ**) بها (**مَدَدَ الظُلَمِ وَالأَغْيارِ**) بأن يدفع بها ذواتها، ويقلع بها آثارها، ويظهر أسرارها في محل قرارها، فيصير القلب مضيئاً، والنفس منطفئةً منقادةً للخير، والجسدُ موفِقاً للخيرات، وبهذا يمكن السلوك إلى ملك الملوك، والورود على المجيد المعبود.



(**النّورُ**) الوارد من الله على قلوب أهل الإيمان (**لَهُ الكَشْفُ**) عن أستار الحقائق، (**وَالبَصيرَةُ**) التي هي للقلب كالبصر للعين ـ وهو نورٌ إلٰهيٌّ موضوع في القلب، يُدرَك به الأشياء على ما هي عليه ـ (**لَها الحُكْمُ**) فتحكم على كلّ حقيقة بما هو وصفها من الجودة والردى.

(**وَالقَلْبُ**) الذي هو موضع تزاحم الأنوار والأغيار (**لَهُ الإقْبالُ**) إلى ذي الكمال والإفضال عند ورود الأنوار عليه، (**وَالإدْبارُ**) عن الغفار عند ورود الأغيار عليه. ولا يصفو إقبالُه إلى ربِّه إلا بعد تَطهُّرِه من الأغيار.



(**لا تُفْرِحْكَ الطّاعَةُ**) التي هي علامة السعادة (**لأنَّها بَرَزتْ مِنْكَ**) فإن ذلك من الأنانية التي تنافي الخلوص لذي الوَحدانية، وفيه شائبة من الإشراك وادعاء ما ليس لك.

(**وَافْرَحْ بِها لأنَّها بَرَزتْ مِنَ اللهِ تعالى إلَيْكَ**) من حيث قدّر صدورها منك، وأعطاك استعداد صدورها عنك، وقوّاك على فِعْلِها، وخَلَقَها فيك، وشرَّفك بثوابها. ألا يكفيك من التشريف حيث جعلك أهلاً للتكليف؟! (﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾) [يونس: ٥٨].

والحاصل أنه ينبغي للسالك أن يكون نظره إلى ربِّه، لا إلى نفسِه، وهي أحقر من أن ينظر إليها أو يلتفت إليها، وأعجز من أن يتأتى شيء منها بغير إرادة خالقِها.

❖ ❖ ❖

(**قَطَعَ**) اللهُ الذي له الأمرُ كله (**السّائِرينَ لَهُ**) على مطايا أعمالهم، (**وَالواصِلينَ إلَيْهِ**) المشاهدين بما هو عليه (**عَنْ رُؤْيَةِ أَعْمالِهِمْ وَشُهودِ أحْوالِهِمْ**.

أمّا السّائِرونَ) الذين قطعوا عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم (**فَلِأنَّهُمْ لَمْ يَتَحَقَّقوا الصِّدْقَ**) الذي ينبغي (**مَعَ اللهِ فيها**) فهي أضعف من أن يُعتمَد عليها وأحقَرُ من أن يلتفت إليها، ولا يمكن الوصول إليه إلا بمجرد الإفضال، لا بالأعمال.

(**وَأمّا الواصِلونَ فَلِأنَّهُ غَيَّبَهُمْ بِشُهودِهِ**) الذي لا يجتمع مع شهود شيء آخر (**عَنْها**) فلا يشهدونها لاستغراقهم في مشاهدة محبوبهم وشغلهم بمطلوبهم.

❖ ❖ ❖

وقال: (**ما بَسَقَتْ**) أي: عَلَت (**أَغْصانُ ذُلٍّ إلّا عَلى بِذْرِ طَمَعٍ**) فمن طمع من غير الرحمٰن جوزي بالحرمان والخسران، وعلاه الهوان في كل مكان، وعمَّهُ الذل في كل زمان، فلا تطمع من غير الحنّان المنان إن كنت من

ذوي الإيقان[1].

❖ ❖ ❖

(أنتَ حُرٌّ) حرية الكرام عن رِقِّ الأطماع **(مِمّا أنتَ عَنْهُ آيِسٌ)** وهو أعون لك لتكون لسيدك خالصاً، فاقطع الإياس مما في أيدي الناس، ولا تطمع في ما عند أهل الإفلاس، ولا تَرْجُ خيراً إلا من مُحْصِي الأنفاس.

(وَعَبْدٌ لِما أنتَ لَهُ طامِعٌ) وهو يخرجك من أن تكون فارغاً لربك، فلا تكن عبداً لما لا يتأهل أن تكون له عبداً، بل كن عبداً لمن العبودية له عزماً.

❖ ❖ ❖

(مَنْ لَمْ يُقْبِلْ عَلى اللهِ بِمُلاطَفاتِ الإحْسانِ) الذي يتحبَّب بها الكريم إلى عبيده، ويجذبهم بها إلى حضرته؛ لا يخلو الإنسان في كل الأزمان عن ما لا يعدُّ من إحسان الرحمٰن، فأقبل بالإحسان إلى المنّان، إن كنت من أولي العرفان.



(قِيدَ إلَيْهِ) على رغم أنفه **(بِسَلاسِلِ الامْتِحانِ)** بالأمراض والبلايا والفقر؛ لأنه إذا يئس من غيره في دَفْعِها يُقْبِل إلى مولاه ويُظهِرُ حَالَهُ عند من ابتلاه ليدفع عنه ما به بلاه.

والله تعالى يصب سجال إفضاله على عباده ليحبوه ويقبلوا عليه ويتبتلوا عن ما عداه متوكلين عليه، ويبليهم بالمِحَن والأثقال ليفِرُّوا إليه ويلتجؤوا إليه ويظهروا فقرهم وفاقتهم لديه مفوِّضين أمورهم إليه.



(مَنْ شَكَرَ اللهَ عَلَى النِّعْمَةِ) التي أوصلها إليه بمحض فضله **(فَقَدْ**

---

(١) لم يشرح السندي على قول السكندري: (ما قادك شيء مثل الوهم) لعله سقط من نسخته لمتن الحكم.

قَيِّدَهَا بِعِقَالِهَا) فلا تبرح عنه لشكره عليها، بل تزيد كما قال الله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

(ومن لَمْ يَشْكُرِ) المنعِم عليها ولم يعرف حقها ولم يتقرب بها إلى معطيها **(فَقَدْ تَعَرَّضَ لِزَوالِها)** لعدم عرفانه قدرها. فقيِّدُوا نعم الله تعالى، واستزيدوا منها بشكرها، ولا تعرضوا لذهابها بكفرها، فإنّ نِعَم الله إذا ولَّت قلَّما ترجع.



(خَفْ) يا أيها المغرور **(مِنْ وُجودِ إحْسانِهِ إلَيْكَ)** حيث أحاط بك نِعَمَه وأزال عنك نِقَمَه، **(وَدَوامِ إساءَتِكَ مَعَهُ)** حيث تقابل إحسانك بعصيانك وامتنانه بطغيانك وإنعامه بانهماكك في خسرانك، **(أنْ يَكونَ ذلِكَ)** المذكور من إحسانه مع إساءتك **(اسْتِدْراجاً لَكَ)** يصعدك درجة فدرجة إلى غضبه وعذابه، فإنه إذا أحسن إليك بنعمه وأسأت رقيت درجة من درجات العقاب، فلا يزال أمره وأمرك كذلك حتى يأخذ برقبتك ويرميك في أشد ما يكون لنقمتك.

ما غرك يا أيها العبد اللئيم بربك الكريم؟! أأمنت من قهر القهار أو سطوة الجبار حين اجترأت بالإحسان على الأوزار؟! ألم تعلم أن سجنه النار ذات الأكدار؟!

ومثال ما تقدم مثال صياد طَيْرٍ كتَم مصيدته في التراب وألقى عليه وما حوله ما يأكله من الحبوب، فينزل الطير يلقط تلك الحبوب، فلا يزال كذلك حتى يقع في المصيدة، ويكون غرمه في غنمه، وهلاكه في لقمه، قال الله تعالى: (﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]). أو لا يعرفون أنّ هلاكهم بما به يتنعمون؟!.



(مِنْ جَهْلِ المُريدِ) الذي لم يعلم ما يجب عِلْمُه له **(أنْ يُسيءَ الأَدَبَ)** مع الله الجليل في حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله وظواهره وضمائره،

(فَتُؤَخَّرَ العُقوبةُ) التي يستحقها على سوء أدبه **(عَنْهُ)** لأنّ العليم الحكيم لم يقدّر له العقوبة في ذلك الوقت، **(فَيَقولَ)** مغترّاً بحلم الحليم عن عبده الأثيم: **(لوْ كَانَ هذا)** الذي صدر مني **(سُوء أدَبٍ)** مع الله **(لَقَطَعَ الإمْدادَ وَأَوْجَبَ الإبْعادَ)** كما يكون ذلك لمسيء الأدب، ولكنه لم يفعل ذلك، فعلم أنه ليس بسوء أدب.

(فَقَدْ يَقْطَعُ المَدَدَ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُ) بقطعه لشدة خفائه **(وَلَوْ لَمْ يكُنْ إلّا مَنْعُ المَزيدِ)** ـ الذي لو سوء الأدب فُقِدَ لوُجِدَ ـ لكفاه في قطع الإمداد.

وكيف **(وَقَدْ يُقامُ مَقامَ البُعْد)** لسوء أدبه **(مِنْ حَيْثُ لا يَدْري، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إلّا أنْ يُخَلّيَكَ)** يترُكُكَ **(وَما تُريدُ)** من سوء الأدب ولم يحفظك لكفاك في الخسران؟!.



(إذا رَأيْتَ عَبْداً أقامَهُ اللهُ) الذي يُكرِمُ عبادَه بأوراده **(بِوجودِ الأوْرادِ)** التي هي سلم الوصول إلى ذي الإرشاد، **(وَأدامَهُ)** وجعله مقيماً **(عَلَيْها مَعَ طولِ الأمْدادِ)** يحتمل أن يكون بفتح الهمزة على أنه جمع مُدد وهو جمع مُدَّة أي الأزمنة الطويلة، ويحتمل أن يكون بكسر الهمزة على أنه مصدر أمَد.

(فَلا تَسْتَحْقِرَنَّ ما مَنَحَهُ) أعطاه **(مَوْلاهُ)** من الأمداد على الأوراد **(لِأنَّكَ لَمْ تَرَ عَلَيْهِ سِيما)** أي: علامة **(العارِفينَ وَبَهْجَةَ)** نضرة وفرحة **(المُحِبّينَ)**، فتظن أنه لو كان لأوراده فائدة لظهر آثارها على ظاهره.

(فَلَوْلا وارِدٌ) ورد على العبد من ذي الجلال والجمال **(ما كانَ وِرْدٌ)** الأوراد نتائج الواردات، وكم من عارف بالله ومحب له لا يظهر حاله عند الناس. ونفائس الجواهر تُخَصُّ بالسواتر. ولا تظنن أنّ العرفان يختص بمن ظهر عليه سيماه، بل هو سِرٌّ بين العبد وبين مولاه يظهر أثره تارة ويخفى أخرى.



(قَوْمٌ أَقامَهُمُ الحَقُّ لِخِدْمَتِهِ) فيستعملون ظواهرهم وضمائرهم في مرضاته، كافّين أنفسهم عن مواضع سخطاته، **(وَقَومٌ اخْتَصَّهُمْ بِمَحَبَّتِهِ)** فملأ قلوبهم من مودته، وجعلهم مشتاقين إلى حضرته، ومتعطشين إلى شربه وصِلَتِه، وسكارى عن بريَّتِه، لا يحبون غير حبيبهم، ولا يشفيهم إلا لقاء طبيبهم.

(كُلّاً) من الفريقين **(نُمِدُّ)** بأمداد لائقة به **(هَؤُلاءِ)** العابدين **(وَهَؤُلاءِ)** المحبين **(مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ)** الذي يربّي كلّاً بما هو أهله، **(وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً)** ممنوعاً عن أحد، لكن يصل على طبق القسمة التي وقعت في الأزل بالحكمة، وذلك أنّ الحكيم أعطى لكل ماهية من ماهيات الموجودات قابلية خاصة، ثم لمّا أظهرهم من العدم جرى الإمداد على وفْقِ ذلك الاستعداد، فافهم إن كنت طالب الرشاد.



(قَلَّ ما تَكونُ الوارِداتُ الإلٰهيةُ) التي تقرِّبُ العباد إلى الهادي **(إلّا بَغْتَةً)** من حيث لا يدرون **(صِيانَةً لَها)** من **(أَنْ تدَّعِيَها العباد بِوُجودِ الاسْتِعْدادِ)** الذي حصوله بأعمالهم.

ولو لم تكن بغتة لظنوا أنها لاستعدادهم، فيقعون في شبكة الأنانية، ويغفلون عن أنها إنما هي مواهب ذي الفردانية بمجرد جُودِه، وفي ذلك فتنةٌ لهم وشَوْبُ شِرْكٍ، والله تعالى بَرٌّ بعبيده يحفظهم عن ما فيه حَتْفُهُم.



(مَنْ رَأَيْتَهُ مُجيباً عَنْ كُلِّ ما سُئِلَ) مع أن هناك أشياء إذا سئل عنها لا يُخبَر بها؛ إذ ليس كل ما يعلم يخبر عنه، **(وَمُعَبِّراً عَنْ كُلِّ ما شَهِدَ)** مع أن هناك أمور لا يمكن التعبير عنها لعَجْزِ اللسان عن التبيان عنها، **(وَذاكِراً كُلَّ ما عَلِمَ)** مع أنّ هناك علوم لا ينبغي ذِكْرُها لكل أحد من الناس لقصور أفهامهم عن إدراكها، ولذا قيل: حدِّث الناس على قدر عقولهم، لا تَقْدِرُ الحميرُ أن تحمل حِمْلَ البعير.

(فاسْتَدِلَّ بِذلِكَ عَلى وُجودِ جَهْلِهِ) بحق ما ينبغي كَتْمُه؛ إذ لو كان عالِماً بحَقِّهِ لكتَمَه، أو بتلك الأشياء والأمور والعلوم؛ إذ العالم بها لا يخبر عنها، ومن أخبر عنها فهو جاهل عنها.

❖ ❖ ❖

(إنَّما جَعَلَ) الجليل **(الدّارَ الآخِرَةَ مَحَلاًّ لِجَزاءِ عِبادِهِ المُؤْمِنينَ)** بما تقرّ به أعينهم وتفرح به قلوبهم ويتنعم به جسومهم؛ **(لأَنَّ هَذِهِ الدّارَ)** الضيقة **(لا تَسَعُ ما يُريدُ أنْ يُعْطِيَهُمْ)**.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان: ٢٠]، وقال ﷺ: «أدنى أهل الجنة من يكون له من الجنة مقدار الدنيا إحدى عشر مرة» ولذا خلق الكريم لجزائهم داراً عرضها كعرض السماء والأرض، فإذا كان هذا عرضها فما بالك بطولها.

(وَلِأَنَّهُ أَجَلَّ أَقْدارَهُمْ) الجليلة **(عَنْ أنْ يُجازِيَهُمْ)** على إيمانهم وأعمالهم **(في دارٍ لا بَقاءَ لَها)** بل هي سريعة الفناء، مملوءة من البلاء، ولا تخلو لذائذها ـ مع قلتها ـ من اللَّأْوَاء، فأخر جزاءهم لا لهوانهم عليه، بل لازدياد إكرامهم، والفهيم يكفيه الإشارة من الحكيم.

❖ ❖ ❖

(مَنْ وَجدَ ثَمَرةَ عَمَلِهِ عاجِلاً) بأن ازداد بذلك نورُ قلبه ونشاطُ جسده إلى الخير ورزقه، وفتح ألسنة العباد بالثناء عليه **(فَهُوَ دَليلٌ عَلى وُجودِ القَبولِ آجلاً)** عند الكريم، وليَشْكُرِ العامِلُ على ذلك، وليَزِدْ مما هنالك.

❖ ❖ ❖

(إذا أرَدْتَ أنْ تَعْرِفَ قَدْرَكَ عِنْدَهُ فانْظُرْ في ما يُقيمَكَ فيه) فإن أقامك في الطاعة محفوظاً عن المعصية، وحسن الأدب معه، والتواضع له، والشوق إليه، والتعظيم له، وفيما يشاكل هذه فاعلم أن لك عنده قدراً جليلاً حيث وفَّقك لما هو عَلَمُ السعادة، فاحمده عليه، وأقبل بكُلِّيتك إليه.

وإن ابتلاك بالمعصية محروماً عن الطاعة، وقلة الأدب معه، والتكبر،

وعدم الشوق إليه، وفيما يُشبِهُ هذه، فاعلم أن قدرك مبخوس، وحظك منحوس، حيث بلاك بما هو دليل الشقاوة.

لكن مع ذلك لا تغتر بما يظهر منك من الحسنات، ولا تيأس من فضله عند الابتلاء بالسيئات؛ إذ المقْبِلُ قد يُرَدُّ، والمدبِرُ قد يُوَدُّ فيسعده الجد. ومدار الأمور على اللاحقة، وهي مبنية على السابقة.



(**مَتى رَزَقَكَ الطّاعَةَ**) في ظاهرك وباطنك (**وَ**) رزقك (**الغِنى بِهِ عَنْها**) بأن تعلم أنّ نيل فَضْلِه يكفي فيه جودُه وكَرَمُه، من غير أن تكون الطاعة علة لذلك لأن عطاءه بمجرد الفضل، لا بالعلل، لكنه جعلها بجوده سبباً للكرامة وعَلَماً على السعادة.

(**فاعْلَمْ أنَّهُ قدْ أَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعَمَهُ ظاهِرةً وَباطِنَةً**) حيث وفقك لما يحبه ويرضاه، وقطع نظرك عن ما عداه، فانقطع إليه عما سواه.



(**خيرُ ما تَطْلُبُهُ**) أيها الطالب (**مِنْهُ**) لِيَمُنَّ به عليك (**ما هُوَ طالِبُهُ مِنْكَ**) بلسان الشرع، وهو السَّعْيُ في أداء مأموراته ومحبوباته، والتجنُّب عن منهياته ومكروهاته، فإنه طلب منك ذلك ليكرِمَك بإنعامه، ويخلصك من انتقامه، لكن لا تقدر عليه إلا بإعانته، فاطلب توفيق ذلك منه ليسهله لك، وتوكل عليه في ما ضمن من رزقك.



(**الحُزْنُ على فُقْدانِ الطّاعةِ**) التي هي عَلَمُ السعادة (**مَعَ عَدَمِ النُّهوضِ إلَيْها**) والسعي في تحصيلها (**مِنْ عَلاماتِ الاغْتِرارِ**) بتغرير الغرار الذي يغرّ من حزن على فقدان الطاعة بأنّ هذا الحزن يكفي في الوصول إلى المأمول، أو لا يعلم أنّ ذلك يحصل بتحمُّلِ أثقال الأعمال، لا بالأماني والآمال؟!



(**ما العارِفُ مَنْ إذا أَشارَ**) إلى شيء من الأشياء الدّالّة على الحق (**وَجَدَ الحَقَّ أَقرَبَ إلَيْهِ مِنْ إشارَتِهِ**) لكمال حضوره معه، (**بَلِ العارِفُ مَنْ لا إشارَةَ لَهُ؛ لِفَنائِهِ في وُجودِهِ، وَانْطِوائِهِ في مشْهودِهِ**) لأن بطلوع شموس المعارف عليه اختفى نجوم وجود ما سواه لديه، فلا يعرف إلا مطلوبه، ولا يشاهد إلا محبوبه، وهذا هو العارف عند أهل التصوف، والأول سالك.



(**الرَّجاءُ**) المعتبَرُ (**ما قارَنَهُ عَمَلٌ**) صالح، (**وإلّا فَهُوَ أُمْنِيَةٌ**) لا عبرة بها. ألا ترى أن من تمنى الزرع لا يوجَد بمجرد تمنيه من غير أن يسعى بكدّه فيه؟!



(**مَطْلَبُ العارِفينَ مِنَ اللهِ الصِّدْقُ في العُبودِيَّةِ**) التي هي صفة العبد، والصدق فيها أن يرى العبد أنه عَبْدٌ مَحْضٌ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً، وأنه ليس له من الأمر شيء، وأنّ سيده خلَقَهُ لخدمته، فيسعى بكمال المحبة والتعظيم في تحصيل ما يحبُّه من طاعته، مع قطع نظره عنها، واعترافه بقصوره فيها، ويجتهد في الاحتراز عن ما يكرهه من الأوزار والأقذار، مع خوفه على نفسه.



(**وَالقِيامُ بِحُقوقِ الرُّبوبِيَّةِ**) التي هي وَصْفُ الحق تعالى، والقيامُ بحقوقها أن يعتقد العبد أنه تعالى إلٰه واحد كامل في كمالاته، مقدَّسٌ عن ما لا يليق بذاته العلية وصفاته، ويملأ قلبه من حُبِّه، ويطرح نفسه على بابه، ويخاف من سطوات جلاله، ويرجو صِلات جماله، ويكون له في باطنه وظاهره في جميع أحواله، ومع ذلك يرى أنه لم يقم بشيء من حقوق الربوبية؛ فإنّ حقوق ربّ الأرباب أجلُّ من أن يقدر على القيام بها التراب ابن التراب.



(**بَسَطَكَ**) بأن تجلّى عليه بأوصاف الجمال، وظهر لك في مظهر الإفضال، فشرح صدرك، وفرّح قلبك، وفي جُودِهِ أطعمك، وأبدى آثار ذلك على ظاهرك، ولولا إمساكه إياك لمت من فرحك.

ألهمك (**كَيْ لا يُبْقِيَكَ مَعَ القَبْضِ**) فتذوق لذة البسط كما ذقت لدغة القبض، (**وَقبَضَكَ**) بأن تبدى عليك بصفات الجلال، وظهر لك في مظهر النَّكال، فضيَّق صدرك، وأحزن قلبك، وخوَّفك من سطوته، وأخمد أنانيتك بكبرياء عظمته، وأظهر علامات ذلك على ظاهرك، ولولا حفظه إياك لتلاشيت من هيبتك.

(**كَيْ لا يَتْرُكَكَ مَعَ البَسْطِ**) الذي يُوجِبُ لضعفاء العقول قِلَّة الأدب، (**وَأخرَجَكَ عَنْهُما**) بأن تجلَّى عليه بالجلال والجمال (**كَيْ لا تَكونَ لِشَيْءٍ دونَهُ**) إذ بالخروج عنهما والتوسط يتم خلوصك له، إذ بالشغل بموجبات القَبْضِ والبَسْطِ يفوت الكون الخالص للموصوف بالقهر والغفران، فافهم إن كنت من أولي العرفان.



(**العارِفونَ إذا انْبَسَطُوا**) بتجلي أوصاف الجمال والإفضال الموجب لكمال الرجاء (**أَخْوَفُ مِنْهُمْ إذا قُبِضُوا**) بتجلِّي صفات الجلال الموجِب لكمال الخوف؛ لكمال إيقانهم في مقام عرفانهم، فعند البَسْطِ يلاحظون سطوة القهار خَوْفَ أن يقَعُوا في سوء الأدب مع الجبار، وحالُ القَبْضِ مأمونٌ عن غاية سوء الأدب، إذ لازمه التأدُّبُ.

(**وَلا يَقِفُ عَلى حُدودِ الأَدَبِ**) اللائق بالرب (**في البَسْطِ إلا قَليلٌ**) إذ مقامه يقتضي الانبساط والإذلال، وربما يجر ذلك إلى قلة الإدب مع ذي العزة والكبرياء وإلى الزوال من مرتبة الكمال.



(**البَسْطُ تأخُذُ النَّفسُ مِنْهُ حَظَّها بوجودِ الفَرَحِ**) المناسِب لها (**فيه**)، ومِنْ أخْذِها منه حظها ينشئ سوء الأدب مع الله من أهل النقصان.

(**وَالقَبْضُ لا حَظَّ للنَّفْسِ فِيهِ**) لوجود الغم المنافي لها فيه، ولذا لا يتأتى فيه ما ينافي الأدب، بل يتأدب مع سيدها كمال التأدب.



(**رُبَّما أَعْطاكَ**) خير الدنيا أو شيئاً منه (**فَمَنَعَكَ**) خير الآخرة الذي هو أعلى وأبقى، أو أكثر مما أعطاك. أو ربما أعطاك النعمة فمنعك شكرها. أو ربما أعطاك، وبه عنه ألهاك، فمنعك من أن تتقرب به إلى مولاك.

(**وَرُبَّما مَنَعَكَ فأَعْطاكَ**)، فلا تأمَنَنَّ عند إعطائه من مَنْعِه، ولا تأيَسَنَّ عند مَنْعِه من إعطائه، ولا تغفَلَنَّ عن استدراجه، ولا تقطعَنَّ رجاءك عن إفضاله.



(**مَتى فَتَحَ لَكَ بابَ الفَهْمِ**) عنه (**في المَنْعِ**) بأن ألهمك أنّ المانع حكيمٌ لا يمنع إلا لِحِكَم لا تحصى وفوائد لا تقصى، وقد يكون المنع في حقِّكَ خَيْرٌ من إعطائك، إذ بإعطاءه ربما عنه ألهاك، وبِمَنْعِه إليه أدناك.

(**عادَ المَنْعُ**) مع الفهم عنه (**هُوَ عَيْنُ العَطاءِ**) إذ يقوم مقامه، بل يزيد عليه، مع أنّ الفهم للحِكَم من أجل النِّعم.



(**الأَكْوانُ ظاهِرُها غِرَّةٌ**) فمن اغتر بظواهرها حجب بالآثار عن الأنوار وبالأغيار عن الأسرار، فلا تغتروا بها كي لا تبتلوا بوَبال الغرور بها.

(**وَباطِنُها عِبْرَةٌ**) فمن اعتبر ببواطنها صارت له سُلَّم الوصول إلى أعلى المأمول، وانقلبت الأغيار دلائل على الغفار، والآثار براهين على الستّار، فاعتبروا ببواطنها كي تفوزوا بمقاصدها.

(**فَالنَّفْسُ**) التي هي عديمة الفهم كثيرة الجهل ومجبولة على الشهوات واللذات (**تَنْظُرُ إلى ظاهِرِ غِرَّتِها**) فتغتَرُّ بها وتتكدَّرُ بأكدارها، (**وَالقَلْبُ يَنْظُرُ إلى باطِنِ عِبْرَتِها**) فينتقل منها إلى بارئها، ويستفيد منها، بل يزداد به حبّاً ومعرفة لموجدها وقرباً إلى خالِقها وأُنساً بمالِكها، فإن غلب نظرُهَا نظرَهُ أطفأت أكدارُها أنوارَه، وعمَّت ظلماتُها وَجْهَه، وجعلته من جملة جُنْدِها، بل اتخذته وزيرها، فلا يخرج منه إلا ما يوجب البعاد من ربِّ العباد، وإن غلب

نظرُه نظرَها أزالت قذاها وقذرها وانطفأت بأضوائه ظُلَمُها وجعلها منقادة له مساعدة له فيما يريد من القرب إلى الربِّ.



(إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَكونَ لَكَ عِزٌّ لا يَفْنى، فَلا تَسْتَعِزَّنَّ بِعِزٍّ يَفْنى) بل اعتز بعز المولى الذي عِزُّهُ لا يفنى، فالعزيز بأداء ما يحبه مولاه، وبتَرْكِ ما يكرهه ولا يرضاه عزيز في ذُلِّه بعزٍّ لا يفنى، والعزيز بعزٍّ عز مولاه ذليل في عزه الفاني بذل لا يفارقه أبداً، فبالله فاستعزوا لا بغيره، فإن العزيز من أعزَّهُ والذليل من أذَلَّه.



(الطَّيُّ الحَقيقيُّ) عند أولي الأبصار **(أَنْ تَطْويَ مَسافَةَ الدُّنْيا عَنكَ)** وترميها بما فيها وراءك **(حَتى تَرى الآخِرَةَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْكَ)** فتجتهد في العبرات كأنك تشاهد أحوالها، وتلاحظ الجنة مع قصورها وحورها وسرورها وحبورها ونورها، وتتجنب عن السيئات كأنك ترى أهوال الآخرة وتعاين النار مع عذابها وعتابها وحرها وشرها.



(العَطاءُ مِنَ الخَلْقِ حِرْمانٌ) لأنّ النقص الذي يحصل به لا يساويه نفعه، فوجوده حرمان، وحصوله خسران.

(والمَنْعُ مِنَ اللهِ) الحكيم **(إِحسانٌ)** منه إلى عبده المسكين؛ إذ ربما يكون هلاكه في حصول ما يهواه، فلا يفرحن عاقل بعطايا ذي النقصان، وليعدّ مَنْع مولاه من أجل الإحسان.



(جَلَّ رَبُّنا أَنْ يُعامِلَهُ العَبْدُ نَقْداً فَيُجازِيَهُ نَسيئَةً) بل يجازيه على نقده في دنياه فوق ما يتمناه، مع ما يدخر لأخراه.

ألا ترى كيف ينوِّرُ قلوبَ أهل عبادته بأنواره، وعلى صدورهم من

أسراره، ويوفقهم لما يوجب لهم دار القرار، ويظهر سيماهم في وجوههم، ويسهل لهم مصعبات أمورهم، ويفتح ألسنة عباده بثنائهم، ويلقي الهيبة في قلوب أعدائهم، وقد ادخر لهم لآخرتهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.



(كَفى مِنْ جَزائِهِ إيّاكَ عَلى الطّاعَةِ أَنْ رَضِيَكَ لَها أَهلاً) بمجرد جوده وفضله، وأنّى للتراب أن يكون أهلاً لخدمة ربِّ الأرباب، وأنّى لمن أصله نطفة منتنة ويحمل في باطنه قذرة ومآله إلى جيفة مذرة أن يكون أهل المجالسة لذي عالي الحضرة؟! فاحمد ربك على ذلك، وعدّ تكلِيفَه تشريفك.



(كَفى العامِلينَ) للخيرات **(جَزاءً ما هُوَ فاتِحُهُ عَلى قُلوبِهِم في طاعَتِهِ)** من أنواره وأسراره التي تشرح بها الصدور ويتنور بها القلوب.

(وَما هُوَ مُوَرِدُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ وُجودِ مُؤانَسَتِهِ) التي هي من ألذّ الأمور وأشهاها، لو جعلت الدنيا والآخرة في مقابلتها لما بلغتا عشر معشار قيمتها، لو ذاق الغافلون لذتها لازدحموا على طلبتها.

❖ ❖ ❖

(مَنْ عَبَدَه لِشَيْءٍ يَرْجوهُ مِنْهُ) لا شوقاً إليه **(أَوْ لِيَدْفَعَ بِطاعَتِهِ وُرودَ العُقوبَةِ عَنْهُ)** لا لاستحقاقه لذلك لمجرد ذاته **(فَما قامَ بِحَقِّ أَوْصافِهِ)** لأنّ مقتضى القيام بحقها أن يُعْبَد لكمال ذاته وعلو صفاته، مع قطع النظر عن شيء آخر لاستحقاقه ذلك لذاته.

فمن عبده طمعاً في عطائه فهو أسير الأجرة، ومن عبده خوفاً من عقابه فهو عبد النقمة، ومن عبده له فهو عبد الحضرة، ومن عبده لاستحقاقه ذلك لذاته وصافته مع الرجاء في ثوابه والحذر من عقابه فهو من الكاملين الجمعين.



(**مَتى أَعْطاكَ أَشْهَدَكَ بِرَّهُ**) بتعرفه إليك بأوصاف الجمال لتحبه وتنقطع إليه وتعول في أمرك عليه.

(**وَمَتى مَنَعَكَ أَشْهَدَك قَهْرَهُ**) بتعرفه إليه بصفات الجلال لتخافه وتلتجئ إليه وتفر منه إليه.

(**فَهُوَ في كُلِّ ذلِكَ**) من الإعطاء والمنع (**مُتَعَرِّفٌ إلَيْكَ**) تارة يتجلى إليك في خلعة الجمال لتعرف أوصاف إفضاله، وأخرى يتبدى لك في حلة الجلال لتعرف صفات كماله.

(**وَمُقْبِلٌ بِوُجودِ لُطْفِهِ عَلَيْكَ**) فهو في إعطائه ومَنْعِه لطيف بك، فاعرف ما يعرِّفك، وتعلم ما يعلِّمك، وتقرب إليه بما به يقرِّبك.



(**إنَّما يُؤْلِمُكَ المَنْعُ لِعَدَمِ فَهْمِكَ عَنِ اللهِ فيهِ**) لو فهتم ما له فيه من الحِكَم لما تألمت، بل تنعَّمت.

الجاهِلُ بالحِكَم مَعذَّب عند الفَقْدِ بالنِّقَم، والعارف بها متنعِّمٌ بنِعَم الفَهْم.

❖ ❖ ❖

(**رُبَّما فَتَحَ لَكَ بابَ الطّاعَةِ وَما فَتَحَ لَكَ بابَ القَبولِ**) عنده لسرٍّ يعلمه، وتصير كالحمار يحمل أسفاراً، فلا تغترن بفتح باب الطاعة أنه قطعاً يحبك، ولا تأمن من مكره فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

(**وَقَضى عَلَيْكَ بِالذَّنْبِ**) وابتلاك به (**فَكانَ سَبباً في الوُصولِ**) بأن أيقظك عند ارتكابه، وألهمك قُبْحَه وسوءَ مآله، وحقّر به إليك نفسك، وكسر قوة أنانيتك بالابتلاء به، ووفقك للتوبة عنه، وجعلك من أوليائه، فإن الله يحب التوابين، فلا تيأس من فضله عند الابتلاء بالذنب.



(**مَعْصِيَةٌ أورَثَتْ**) لأربابها (**ذُلّاً**) بأن رأوا أنفسهم أذل الأشياء لابتلائهم بها، (**وافْتِقاراً**) بأن رأوا لأنفسهم افتقاراً شديداً إلى ربهم، لَئِن لم يرحمهم لكانوا من الخاسرين.

(**خَيرٌ**) عاقبة (**مِنْ طاعَةٍ أوْرَثَتْ عِزّاً**) لأربابها بأن رأوا أنفسهم أعزة لصدورها منهم، (**وَاسْتِكْباراً**) بأن رأوا أنفسهم كبيرة على من سواهم، وفيه هلاكهم.

ألا ترى أن آدم ﷺ لمّا أورثه نسيانه ذلّاً بين يدي ربه وافتقاراً إليه جعله صفيَّ خَلْقِه وخليفة أرضه، وأخرج من صلبه أفضل خلقه، وردّه إلى رحمته بأعظم كرامته، وأن إبليس لمّا أورثته إطاعته عزّاً واستكباراً طرده من الجنة والجوار، وجعله أشقى الأشرار ورأس أهل النار، فاعتبر إن كنت من أهل الاعتبار.



(**نِعمَتان ما خَرَجَ مُوْجودٌ عَنْهُما، وَلا بُدَّ لِكُلِّ مُكَوَّنٍ مِنْهُما: نِعْمَةُ الأيجادِ**) وهو يدل على كمالِه في ذاته وصفاته، وجَعْله الشيء دليلاً عليه من أجل نعمه عليه، (**وَنِعْمَةُ الإمْدادِ**) بإبقاء الوجود بعد الإيجاد، ولولا إبقاؤه لفني.



(**أَنْعَمَ عَلَيْكَ**) بجوده (**أوَّلاً بالإيجادِ**) وجعلك دليلاً عليه، (**وَ**) أنعم عليك (**ثانِياً بِتَوالي الإمْدادِ**) ولولا توالي إنعامه عليك لتفانيت.

فاشكر مولاك على ما أولاك، واحمده على ما حباك، وتقرب إليه بما تقدر عليه.



(**فاقَتُكَ**) أيها الفقير (**لَهُ ذاتِيَّةٌ**) قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨] فكما أنّ غناه تعالى عن ما سواه ذاتِيٌّ، فكذلك فَقْرُنا إليه ذاتِيٌّ لا يفارِقُنا حيثما كنا.

(**وَوُرودُ الأسْبابِ**) المُحْوِجَة إلى هِبَةِ الوَهَّاب (**مُذَكِّراتٌ لَكَ بِما خَفِيَ عَلَيْكَ مِنْها**) أي: من فاقتك، فتذكر بها فقرك وفاقتك، وارْجُ قضاء حاجتك من ذي نعمتك، وصِرْ له بكليتك.

(**وَالفاقةُ الذّاتِيَّةُ لا تَدْفَعُها**) الأمور (**العَوارِضُ**) فلو أعطي أحد من العبيد جميع مُلْك المجيد لم يخرج من فَقْرِه، بل هو بَعْدُ من أَحْوَج الخَلْقِ إلى ربه، فلا تستغن بغير مولاك، ولا يشغلنك عنه ما أعطاك.



(**خَيْرُ أوْقاتِكَ**) أيها الفقير (**وَقْتٌ تَشْهَدُ فيهِ وُجودَ فاقَتِكَ**) الذاتية، (**وَتُرَدُّ فيهِ إلى وُجودِ ذِلَّتِكَ**) اللازمة لك لفاقتك، وهذه الحالة هي الحالة اللائقة لأهل العبودية.

ابتلى الحكيمُ عبيدَه بالفقر والفاقات، وصب عليهم سجال البليات، ليظهر سر عبوديتهم بذلك.

وللحكيم حِكَمٌ في بلاياه وعطاياه، فسلّم له أمره، وكن ملازماً لفقرك ملاحظاً لفاقتِك.



(**مَتى أَوْحَشَكَ**) يا أيها المريد (**مِنْ خَلْقِهِ**) بأن ألقى في قلبك نفرة عنهم، أو جعلهم مُعرِضين عنك، مسيئين الأدب معك، فينقطع التفاتك إليهم، (**فَاعْلَمْ إنَّهُ يُريدُ أنْ يَفْتَحَ لَكَ بابَ الأُنْسِ بهِ**) وأنسه من أعظم النعم عند أهل الفهم.

وارْجُ عند وحشتك عنهم فَتْحَ باب أنسه، ولا تبال بوحشتهم. ولا يتم به الأنس إلا عند الانقطاع عن ما سواه كالإنس.

والحكيم كثيراً ما يسلط على بعض من يحبه بعض عبيده لينقطع تعلُّقه عن الخلق ويتبتل إلى الحق، وقليل من يثبت من أرباب الأحوال عند رجوع الخلق إليه والإقبال، وكم أفسد على أولي الأحوال إقبالُ الرجال.



(**مَتى أطْلَقَ لِسانَكَ بِالطَّلبِ**) من فضله (**فَاعْلَمْ أنَّهُ يُريدُ أنْ يُعْطِيَكَ**) لأن الكريم الحكيم إذا أراد إكرام عبده بنعمته ألقى في قلبه أمنيتها، وأطلق لسانه بطلبتها، وأظهر بذلك خلاصة العبودية.

ثم إن قدّرها لَهُ في الدنيا أعطاه إياها في الوقت الذي عيَّنه لها، وإن لم يقدّرها له فإمّا أن يدفع عنه من السوء ما هو أعظم فائدة من حصولها، أو يدخر له في الآخرة ما هو أعلى وأجل، فمن فُتِح لسانه بالطلب عن علام الغيوب فليَرْجُ حصولَ المطلوب.



(العارِفُ) بغنى مولاه وفَقْر ما خلاه **(لا يَزولُ اضطِرارُهُ)** إلى الغني الجواد؛ لشهوده فاقته الذاتية اللازمة معه، بل كلما يزداد معرفة بربه يزداد عِلْمُه بفَقْرِه وفاقته.

(وَلا يَكونُ مَعَ غَيْرِ اللهِ) الذي شاهد جماله وإفضاله مع كماله في كل مآله **(قَرارُهُ)** وكيف يكون مع غيره قراره وهو حبيبه وطبيبه وبُغْيَته وأنيسه وجليسه، لو ذاق المحجوب لذة مشاهدته ومؤانسته وملاطفته لأسقط في يديه للحسرة الواقعة عليه من فوات أعلى المطالب عنه.



(أنارَ الظَّواهِرَ بِأنْوارِ آثارِهِ) كالشمس والقمر والنجوم والمصابيح، **(وَأنارَ السَّرائِرَ)** التي صفاها عن ما عداه **(بِأنْوارِ أوْصافِهِ)** العلية الأزلية الأبدية، وشتان ما بين الإنارتين.

(لِأَجْلِ ذلِكَ) الذي تقدم من أنّ أنوار الظواهر من الحديثة وأنوار السرائر من القديمة **(أَفَلَتْ)** غربت **(أنْوارُ الظَّواهِرِ)** لأفول ما قامت به وتغيُّره من حالٍ إلى حال كما هو شأن الحادث، **(وَلَمْ تَأفلْ)** تغرب **(أنْوارُ القُلوبِ وَالسَّرائِرِ)** لقِدَمِ ما قامت به.

فأنوار القلوب أبدية أزلية، لكن لا تظهر عليها إلا عند قابليتها لها، وحدوث القلوب وفنائها لا يستلزمان حدوثها وفنائها، **(وَلِذا قِيلَ: إنّ شَمْسَ النَّهارِ تَغْرُبُ بِاللَّيلِ)** لأنها خُلِقَت لمصالح لا تتم إلا بذلك، **(وَشَمْسُ القُلوبِ لَا تَغيبُ)** لاستحالة الغروب عليها لقِدَمِها.



(لِيُخَفِّفْ أَلَم البَلاءِ عَنك عِلْمُكَ بِأَنَّهُ سُبْحانَهُ هُوَ المُبْلي لَكَ) وهو الحكيم لا يبلي إلا لحِكَم، وفِعْلُ ذي الحِكَم لا يَثقُل على ذوي الفهم.

وهو ربك الجليل، وأنت عبده، والعبد لا يألم بما يتصرف فيه ربه الجليل. وهو حبيبك وأنت محبه، والمحب الصادق لا يألم بما يحببه من الحبيب، بل يفرح بذلك فرحاً شديداً حيث رآه أهلاً لأن يمتحنه ببلاه. وكفاك من حبيبك بأن يعلم أنك تحبه.

ثم البلاء مظهر قَهْرِه، يرد به عبيده إلى بابه، ويريهم سطوة جلاله، ويظهر لهم كونهم مقهورين مغلوبين ليس لهم من الأمر شيء، ويردعهم به عن الذنوب، ويطهرهم به عن أقذار الأوزار، ويرفع به درجتهم في دار القرار.

(فَالَّذي واجَهَتْكَ مِنْهُ الأقْدارُ) التي قدّرها في الأزل **(هُوَ الَّذي عَوَّدَكَ حُسْنَ الاخْتِيارِ)** يبليك بالبلاء الذي قدّره، ويعوّدك حسن اختياره لك بأن يصبرك عليه ويهون أمره عليك ويكشفه عنك إذا توجهت بالصدق إليه، وربما تكون العطايا في البلايا، فإذا ابتلاك فارْجُ حسن اختيار مولاك، ولا تقنط من فضله.



(مَنْ ظَنَّ انْفِكاكَ لُطْفِهِ عَنْ قَدَرِهِ) أيّ قَدَرٍ كان **(فَذلِكَ لِقُصورِه)** فإن للطيف في كل قدر لطفاً بخلقه، حتى إن له لطفاً في قدر البلاء بمن ابتلاه، فإنه لو شاء لابتلاه بأشد من ذلك، لا يُفرَضُ بلاء بلغ النهاية إلا وفوقَه بلاءٌ اللهُ قادرٌ عليه، والجبار وإن يعذب الكفار بأشد العذاب لكنه قادر على إيجاد عذاب أغلظ مما أوجده، فلو شاء أوجده وعذبهم به، فهو في تقديره هذا العذاب لهم لطيف بهم، سبحانه ما أشمل إحسانه.



(لا يُخافُ عَلَيْكَ أنْ تَلتَبِسَ الطّرقُ) طرق الخير وطرق الضير **(عَلَيْكَ)** فلا تقدر على تمييز خيرها من شرها لالتباسها في ذواتها لأنّ ذوات الطرق متباينة، وهي متصفة بأوصاف متفارقة، فطرق الهداية باينة ظاهرة، وطرق الغواية واضحة باهرة لا اشتباه بين ذواتها حتى تلتبس.

(وَإنَّما يُخافُ عَلَيْكَ مِنْ غَلَبَةِ الهَوى) التي تعمي نور البصيرة التي تميز بين طرق الهداية والغواية.

والهوى: مَيْلُ النفس الأمارة بالسوء إلى ما تشتهيه من الشهوات واللذات والبدعات والسيئات، فإذا غلب هواها وانجذبت إلى ما تهواه أطفأت ظلماتُها نورَ البصيرة، وغطتها حتى تجعلها عمياء لا تدرك إلا ما أشربت من هواها، فحينئذ ينحرف صاحبها عن الصراط المستقيم، وطرقِ الرشد إلى طريق الجحيم وسُبلِ الغيّ، كانحراف أعمى البصر عن السبيل الواضح إلى غيره، لا لأن السُّبُل ملتبسة، بل لعماه. فإياك وغلبة الهوى لئلا تُصرَف عن طرق الهدى إلى سبل الردى.



(سُبْحانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الخُصوصِيَّةِ بِظُهورِ البَشَرِيَّةِ) وذلك أن الحكيم العليم خص قوماً بعطاياه ومزاياه، وابتلى قوماً ببلاياه، وأعطى كلّاً استعداد ما خصه به، وأشرك كلهم في البشرية وأظهرهم في كسوتها فالأفاضل والأراذل كلهم في البشرية ولوازمها متشاركون متشابهون لا يميزون في ظواهرهم، مع أنهم في سرائرهم متباينون بوناً بعيداً.

ألا يرى إلى سيد الأحباء محمد ﷺ، ورئيس الأعداء فرعون، استويا في البشرية، واستبانا في الخصلة السرية.

ومثال هذا مثال الأصداف وما فيها، فأصداف فيها دُرَر لا قيمة لها لعلو شأنها، ويزين بها تيجان السلاطين وحلوق حور المستورات لرِفعتها، وأصداف فيها قذى وقذر نتنة لا ينظر إليها لخستها.

(وَظَهَرَ بِعَظَمَةِ الربوبِيَّةِ في إظْهارِ العُبُودِيَّةِ) وذلك أن الله تعالى كان كاملاً في ذاته وصفاته وكبريائه وعظمته، وكان يعرف ذلك لنفسه بنفسه، ولم يكن معه غيره حتى يعرفه، وقد أحب أن يُعرَف فأظهر أهل العبودية وجعلهم دلائل على عظمة الربوبية، والأشياء تُعرَف بالدلائل والأضداد، وعرّفهم ذاته وصفاته على قدر قابليتهم وغاية عرفانهم؛ إذ لا يعرف الرب كما ينبغي معرفته غيرُه.

❖ ❖ ❖

(**لا تُطالِبْ رَبَّكَ بِتَأخيرِ مَطْلُوبِكَ**) لما في ذلك من إيهام تكذيبه في وعده ونسبة الشح إليه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وسوء الأدب معه ربما أخّر مطلوبك لتأخيرك مطلوبه؛ جزاء وفاقاً.

(**وَلِكنْ طالِبْ نَفْسَكَ بِتَأخيرِ أَدَبِكَ**) الذي أدّبك به من إتيان أوامره وتَرْكِ زواجره، والتسليم لأمره، والتعظيم له لعظيم قدره.



(**مَتى جَعَلَكَ في الظَّاهِرِ مُمْتَثِلاً لِأَمْرِهِ**) كما يحب ويرضى، (**وَرَزَقَكَ في الباطِنِ الاسْتِسْلامَ لِقَهْرِهِ**) حيث لا تجد حرَجاً في صدرك مما يفعل وتسلِّم أمرَه تسليماً، بل ينشرح قلبك لذلك إكراماً له وتعظيماً، (**فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَيْكَ المِنَّةَ**) إذ أعلى المنن بأن تكون الظواهر بطاعته معمورة، وتكون البواطن بالانقياد والإذعان ـ مع كمال التعظيم لمشيئته ـ مغمورة. مَنْ أعطاه ذلك فليحمده على ما حباه، ومن بلاه بغير ذلك فليبك على خطاياه.



(**لَيْسَ كُلُّ مَنْ ثَبَتَ تَخْصيصُهُ**) بالسعادة (**كَمُلَ تَخْليصُهُ**) عن شوائب الشركاء، فكم من شخص خصَّه بالسعادة وبلاه أوّلاً بعبادة غيره، ثم أخرجه عنها إلى طاعته، وكم من شخص سبقت له السعادة وهو مشوب بأكدار الأغيار وأوساخ الآثار وأقذار الأوزار، ليس كل ذهب يكون خالصاً.



(**لا يَسْتَحْقِرُ الوِرْدَ**) الذي شرعه الله تعالى ليتقرب به العباد إليه (**إلا جَهولٌ**) عمن شرعه وعن حِكَم شرعه لها، والورد سُلَّمُ المريد إلى الملك المجيد.

(**الوارِدُ**) الذي يَرِدُ من الله تعالى الكريم على قلوب عباده ليجذبهم به إليه (**يُوْجَدُ في الدّارِ الآخِرَةِ**) كما يوجد في هذه الدار، ولا يزال أهل الجنان يزدادون في العرفان للواردات التي تَرِدُ عليهم من ربهم الرحمٰن.

(**وَالوِرْدُ**) الذي هو من فروع التكليف (**يَنطَوي بانْطِواءِ هذِهِ الدّارِ**)؛ إذ

بطيّ الدنيا تُطوَى صحف التكليف، فلا تكليف بعدها، وإنما تخرج الأذكار من ألسنة أهل دار القرار على طريق الطبع كخروج النَّفَسِ.

(وأَوْلى ما يُعْتَنى بِهِ) بتحصيله **(ما لا يُخْلَفُ وُجودُه)** وهو الوِرْدُ الفائت بفوات الدنيا والموت، وللأوراد خواص وفواضل لا تحصل إلاّ بها، وهي أسباب الترقي في الدرجات عند خالق الموجودات، بخلاف الوارِد فإنه لا ينقطع. فالاعتناء بالوِرْد أولى من الاعتناء بالوارد، وكثير من أهل القصور اعتناءهم بالوارد أكثر من الوِرد.

(الورْدُ) الذي جعله سلّم الوصول إليه **(هُوَ طالِبُهُ مِنْكَ)** ليرقيك به إليه، **(وَالوارِدُ أَنْتَ تَطْلُبُهُ مِنْهُ)** لشدة شوقك إليه، **(وَأيْنَ)** مقدار **(ما هُوَ طالِبُهُ مِنْكَ مِمّا هُوَ مَطْلَبُكَ مِنْهُ)** وذلك أن مقدار المطلوب على قدر الطالب، فأيّ مقاربة بين ما يطلبه العليم الحكيم العظيم الرحيم، وبين ما يطلبه الجهول الضعيف الإدراك؟! مقدار المطالب على قدر الطالب.



(وُرودُ الإمْدادِ) من المولى الهادي **(بِحَسَبِ الاسْتِعْدادِ)** الذي قسمه الحكيم بحكمته في خلقته، فكلٌّ إمداده على قدر استعداده، كل ميسر لما خلق له.

(وَشُروقُ الأنْوارِ) القلبية **(عَلى قدر صَفاءِ الأسْرارِ)** فمن كانت سريرته أصفى من الأكدار كان نورُه أنور الأنوار.

ألا يرى أن جلاء المرآة على قدر صقلها؟!

فليجتهد السالك في تصفية أسراره ليزداد نور أنواره التي تُعِين على الوصول إلى مقصوده.



(الغافِلُ) عن القادر المختار الذي يفعل ما يختار، وعن معرفة الحق لأهله، **(إذا أَصْبَحَ نَظَرَ)** وتفكر **(ماذا يَفْعَلُ)** لنظره إلى نفسه واعتماده على قوّته.

(**وَالعاقِلُ**) الذي عقل حقائق الأشياء وأثبت لكل ذي حق حقه (**يَنْظُرُ ماذا يَفْعَلُ اللهُ**) الذي بيده الأمر كله، وليس لغيره منه شيء، ويسلّم له أمره ويرضى بما يفعل المولى.

استراح العقلاء من تعب التدبير لتفويضهم الأمر إلى العليم القدير، وتعذّب الغفلاء بأنواع عذاب التدبير لجهلهم بربّ أمرهم.



(**إنَّما يَسْتَوْحَشُ العُبّادُ**) المولعون بأنواع العبادة ليفوزوا بالسعادة، (**وَالزُّهّادُ**) المولعون بترك الدنيا ليفوزوا بحب المولى (**لِغَيْبَتِهِمْ عَن**) تجلي (**الله**) بمظاهر صفاته (**في كُلِّ شَيْءٍ**) مع أنه تجلى في كل شيء بمظاهر صفاته وجعله دليلاً على ذاته، فلمّا غاب عنهم شهوده فيه وشاهدوا الآثار في كسوة الأغيار تنفروا عنها واستوحشوها لحيلولتها بينهم وبين بُغيتهم.

(**فَلَوْ شَهِدوهُ**) بتجليه الصفاتي (**في كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَسْتَوْحِشوا مِنْ شَيْءٍ**) لشهودهم إياه فيه. وأقرب مثال مناسب لهذا الباب مثال شخص يحب شخصاً آخر لكماله وجماله، ولم يزل متعطشاً إليه مشتاقاً إلى مشاهدته وملاقاته، فظهر له محبوبه ولم يعرفه، ورآه أنه يصده عن حبيبه، فاستوحشه وتنفر منه وأعرض عنه، وكره صحبته لئلا يحول بينه وبين حبيبه، ولو علم أنه هو الذي كان يحبه ويشتاق إليه لما استوحش منه.

والأمثال تضرب لتقريب الأمور الدقيقة إلى الإفهام، وجلَّ الباري من أن يكون عين الحادث أو حالاّ فيه، وإنما هو دليله الذي لكمال دلالته عليه من شاهده فكأنما شاهد ربه.



(**أَمَرَكَ**) يا أيها المشتاق إلى رؤية ذاته (**في هذِهِ الدّارِ**) الفانية التي لا يتأهل فيها المحب أن يرى محبوبه الدائم الباقي (**بِالنَّظَرِ إلى مُكَوَّناتِهِ**) التي تخبرك عن كمال ذاته وصفاته، وهي أنموذج كمالاته لتتسلى بها عنه لأن المحب يتسلى بآثار من يحبه ويزداد شوقاً إليه حين يشاهدها، ويتضاعف حباً

له حين يراها، دلائل الحبيب عند المحب كدواء الطبيب.

(وَسَيَكْشِفُ لَكَ في تِلكَ الدّارِ) الباقية التي تأهل أهلها لرؤية ذات باريها **(عَنْ كَمالِ ذاتِهِ)** فتراه عياناً، وتزداد فيه إيقاناً، وتتضاعف له عرفاناً، وذلك الفوز الأكبر.



(عَلِمَ مِنْكَ) لِما غرز فيك من الانجذاب إليه **(أنَّكَ لا تَصْبِرُ عَليه)** على فراقه وكونك محجوباً عنه لشدة شوقك إليه وحبك له، **(فأَشهَدَكَ ما بَرَزَ مِنْهُ)** وأظهر فيه جلاله وجماله وكماله وإفضاله، فسلّاك به لأنك إذا شاهدته فكأنك شاهدت حبيبك.



(لمّا عَلِمَ الحَقُّ) العليم بحقائق الأشياء التي وهبها لهم **(مِنْكَ وُجودَ المَلَلِ)** من إدامة طاعة واحدة لأنه جبلك على الملل من ذلك، **(لَوَّنَ)** نوّعَ **(لَكَ الطّاعاتِ)** من الظاهرية والباطنية والقولية والفعلية والمالية والبدنية والمركبة منهما لتتوسع في مراتعها وتأخذ من كل حظها وتذوق من كل حلاوتها.

(وعَلِمَ ما فيكَ مِنْ وُجودِ الشَّرهِ) الحرص الشديد لأنك إذا علمت فوائدها وذقت عوائدها تنهمك فيها حتى تقع في الإفراط الموجب للاختلال في الأعمال، **(فَحَجَرَها عَلَيْكَ)** وكفّك عن قربها **(في بَعْضِ الأوْقاتِ)** التي يوجب الفراغ فيها النشاط في ما بعدها لأن ذا الزوال مجبول على الكلال من مباشرة ثقال الأعمال.

(لِيكن همّتك إقامَة الصَّلاةِ، لا وُجودَ الصَّلاةِ) وجودها بوجود أركانها وشرائطها اللازمة على لسان الشرع، وإقامتها بأدائها بلوازمها ونوافلها مع كمال الإخلاص والحضور والخشوع لله فيها كأنك تراه.

(فَما كُلُّ مُصَلٍّ مُقيمٌ) للصلاة، والتفاوت بين وجود الصلاة وإقامتها كالتفاوت بين الدر الأنور وبين المدر الأكدر، وجزاء كل على قَدْرِ صلاته.



(**الصَّلاةُ**) المؤداة بحقوقها (**طُهْرَةٌ لِلْقُلوبِ مِن**) أوساخ (**الذُّنوبِ**) والعيوب الحائلة عن تجلي كاشف الكروب على القلوب، (**واسْتِفْتاحٌ لِبابِ الغُيوبِ**) وهي عبادة جامعة لخلّص العبادات وأعلاها، ولا تزال تكشف الحجب عن قلوب مقيميها وتصفي صدورهم عن أوساخها وتوسع أنوارها حتى تتصل بأنوار المغيبات، ويطلع أصحابها على الكامنات في الملك والملكوت، ويصيرون مشاهدين لذي العزة والجبروت.



(**الصَّلاةُ مَحَلُّ المُناجاةِ**) مع رب الموجودات بكلامه الجليل الذي أنزله على سيد البريات صلى الله عليه أفضل الصلوات، يناجي فيها المحبون حبيبهم ويخاطبون فيها طبيبهم.

(**ومَعْدِنُ المُصافاةِ**) إذ بها يذهب كل كدر وقذر من أربابها، (**تَتَّسِعُ فيها مَيادينُ الأسْرارِ**) فللقرآن الذي يقرأ فيها أسرار لا تعد ولا تحصى لأن أسراره على قدر أنواعه، تارة يحمد الرب، وتارة يعترف له بالعبودية، وتارة يسأل منه الإعانة والهداية والنجاة عن الانضمام في سلك أهل الغواية، وتارة يذكر بشارته، وتارة يتلى إنذاره، وتارة يقص القصص. ولأذكارها على اختلاف أقسامها أسرار، ولأركانها وسننها على تنوع أصنافها أسرار.

(**وَتُشْرِقُ فيها شَوارِقُ الأنْوارِ**) يُزال بها غَيْنُ الأغيار وكدر الآثار، ويتوصل بها إلى الله الغفار الستار.



(**عَلِمَ وُجودَ الضَّعْفِ مِنْكَ**) حيث خلقك ضعيفاً عن تحمل أثقال الطاعات (**فَقَلَّلَ أعْدادَها**) بأن جعلها خمساً، (**وَعَلِمَ احْتِياجَكَ إلى فَضْلِهِ**) الذي لا يحصل إلا بالصلوات والحسنات (**فكَثَّرَ أَمدادها**) بأن شرع الوتر والسنن الراتبة وغيرها، ووسع في نوافلها، لم تهجر إلا في أوقات قليلة.

❖ ❖ ❖

(**مَتى طَلَبْتَ عِوَضاً**) من أعواض الأولى أو العقبى (**عَلى عَمَل**) صالح من أعمالك (**طولِبْتَ بِوجودِ الصِّدْقِ فيهِ**) والصدقُ فيه أداؤه على أكمل

الوجوه مع أعلى الإخلاص فيه، ولو فتشت عملك الذي تريد عليه العِوَض لما وجدت فيه الصدق الذي ينبغي له. من لم يعرف حال مآله ربما يفتضح عند نقده لظهور غشه.

(وَيكْفي المُريبَ) في حال عمله هل وجد فيه صدقه أم لا **(وُجْدانُ السَّلامَةِ)** إذ الناقد بصير. وربما يكون عمله مغشوشاً يجد عليه القهار ويؤدبه بالنار، إذ من يسيء الأدب في طاعة الملك الجبار أهلٌ بأن يعذب بأشد الأكدار، ومن لم يأت بالخدمة بآدابها يستأهل أن يعاقب عليها.

ثم لو فرض أنّ عملك قد وجد صدقه فلا ينبغي أن تطلب عليه عوضاً؛ إذ هو ليس لك بقوتك، بل قوة الله، فليس العلم في الحقيقة منك.



(لا تَطْلُبْ عِوَضاً عَن عَمَلٍ لَسْتَ لَهُ عامِلاً) في الحقيقة لأنّ الكريم هو الذي أوجدك وأوجد قوتك التي قويت بها عليه، وخالقه على جارحتك، وليس لك إلا الكسب المشاهد.

(يَكْفي مِنَ الجَزاءِ لَكَ عَلى العَمَلِ) الذي تريد الجزاء عليه **(أنْ كانَ لَهُ قابِلاً)** لأن الكريم العظيم الغني الجليل إذا قبل هديتك الحقيرة الضعيفة التي لا تعدل عنده جناح بعوضة كفاك جزاءً وثواباً. وانظر إلى هديتك وانظر إلى من تهديها إليه حتى يتبين لك الأمر على ما هو عليه.

❖ ❖ ❖

(إذا أرادَ) ذو الفضل العظيم **(أن يُظْهِرَ فَضْلَهُ عَلَيْكَ خَلَقَ)** ذلك العمل الذي صدر منك بقدرته الكاملة المنزهة عن الشركة، **(وَنَسَبَ إلَيْكَ)** وقال: هذا عملك أجازيك عليه من فضلي.

ما أجود هذا الكريم، ينسب ما له إلى غيره، ويكافيه على قدره.

❖ ❖ ❖

(لا نِهايَةَ لِمَذامِّكَ) يا أيها المسكين **(إنْ أَرْجَعَكَ إلَيْكَ)** فانظر أصلك التراب، ومسكنك الخراب، وانقلابك إلى تراب، وجُعل في باطنك من

الأقذار المعنوية ما تعلمها لو فتشت عنها، والأكدار الحسية ما تعرفها لو نظرت إليها، وفي ظاهرك ما لا يعد من القبائح والفضائح، ولو رأيت انغماسك في مذامك لمتَّ من كمدك، ولو شاهدت انخرامك في ذلك لما رفعت رأسك من خجلك.

(**وَلا تَفْرُغُ مَدائِحُكَ إنْ أَظْهَرَ جُودَه عَلَيْكَ**) فانظر أنت مظهر جوده وفَيْضِ فَضْلِه، وخليفته في أرضه، ودليل كماله في نكاله وإفضاله، ومنبع أسراره، ومحط أنواره، فإذا كنت كذلك فمتى تفرغ مدائحك؟

ولو عرفت قدرك بالنسبة إلى جوده عليك لطرت من فرحك، فسبحان من جمع في الإنسان كمال العز وغاية الهوان.



(**كُنْ بِأوْصافِ رُبوبِيَّتِهِ مُتَعَلِّقاً**) بأن تعلم بأنه متصف بالجمال والجلال الذين الربوبية جامعة لهما، وأعْطِ كل وصف من أوصافها حقَّه، فإذا تجلى عليك بأوصاف القهر والجلال فافعل ما يناسب ذلك من الأعمال والأحوال، وإذا تجلى عليك بصفات الجود والجمال فاشتغل بما يوافق ذلك من الأفعال، وإذا رأيت محل غضبه فاغضب له، وإذا رأيت محل رضاه فارْضَ له، وأعط كل وصف من صفاته حظه.

(وَ) في كل ذلك كُنْ (**بِأوْصافِ عُبودِيَّتِكَ مُتَحَقِّقاً**) لا تخرج منها في جميع أحوالك، فإنّ الحادث أحقر من أن يكون له وَصْفُ المحدِث، كما أن المحدِث أكبر من أن يتصف بسمات الحادث.



(**مَنَعَكَ أنْ تَدَّعِيَ ما لَيْسَ لَكَ مِمّا هو لِلمَخْلوقينَ**) من أموالهم وأولادهم لحِكَم يعلمها، والكريم قد ملَّك بعض ملكه بعض خَلْقِه، (**أَفَيُبيحُ لَكَ أنْ تَدَّعِيَ وَصْفَهُ**) الخاص به الذي لا يليق إلا به (**وَهُوَ رَبُّ العالمينَ؟!**).

إذا لم يرض بمنازعة ما لغيره فكيف يرضى بمنازعة ما هو خاص به؟! والعبد إذا عدى طوره وادعى لنفسه ما لسيده، أو أوهم ذلك، طرَدَه القاهرُ عن

باب العرفان، وأدخله في زمرة أهل الخسران، وأركزه في الهوان في جميع الأوان، فالحذر من ادعاء ما هو لصاحب الكبرياء والقهر.

❖ ❖ ❖

(كَيْفَ تُخْرَقُ لَكَ العَوائِدُ) الأمور الجارية على العادة **(وَأَنْتَ لَمْ تَخْرِقْ مِنْ نَفْسِكَ العَوائِدَ؟!)** الأمور العادية التي تعتادها على مقتضى هواها.

أي: لا تحصل الكرامات إلا لمن ترك العادات، فإن أردتها فكفّ نفسك عن عاداتها على مقتضى شهواتها، وصَفِّ قاذوراتها برياضتها، وحلِّها بحلية عبادتها لربها.

وإذا تركت عوائدك لربك خرق لك العادات، وأكرمك بالكرامات، وجعلك من أهل المشاهدات.



(ما الشَّأْنُ) الأهم **(وُجودُ الطَّلَبِ)** لطاعات ربك، **(إنَّما الشَّأْنُ)** المهم **(أنْ تُرْزَقَ حُسْنَ الأَدَبِ)** مع الله في ظواهرك وضمائرك في جميع أعصارك، فإنّ حسن الأدب هو الذي يوصل العبد إلى قرب الربِّ، والأدب أعز الأمور وأقلها وجوداً لعزته.



(ما طُلِبَ لكَ شَيْءٌ) يحصل لك **(مِثْل الاضْطِرارِ)** مثل أن تكون عالِماً باضطرارك إلى ربِّك، متصفاً به، فإنه أعون الأمور على حصول ما يتم به السرور من معرفة الغفور والقرب إلى الشكور، فارتكز في اضطرارك.

(وَلا أَسْرَعَ بِالمَواهِبِ) الإلٰهية **(لكَ مِثْل الذِّلَّةِ والافْتِقارِ)** إلى ذي الاختيار، فإنّ الكريم إذا رأى عبده الضعيف متصفاً بذلته وفاقته وحاجته، طارحاً نفسه عن المقدار والاعتبار أحبَّه وأقبل عليه بمواهبه، وأعطاه ما لم يكن في خياله، فاتصف بذلتك كي تفوز بهبة ربك، ومواهب القهار إنما تُنشَر على ذوي الافتقار.



(**لَوْ أَنَّكَ لا تَصِلُ إليهِ**) إلى عرفانه (**إلَّا بَعْدَ فَنَاءِ مَسَاوِيكَ**) الكائنة في باطنك وظاهرك (**وَمَحْوِ دَعاوِيكَ**) بلسانك (**لَمْ تَصِلْ إلَيْهِ أَبَداً**) لأنها لا تفنى ولا تمحى بالكلية لأنها لوازم ذاتك لا تفارقك أبداً، نعم قد تنغمر ولا يظهر شرها لكثرة وغلبة ما يدفع ضررها من الطاعات والأنوار.

(**وَلكِنْ إذَا أرادَ أَنْ يُوصِلَكَ إلَيْهِ**) ويسعدك بما لديه بكَشْفِ الحُجُبِ التي عليك (**سَتَرَ وَصْفَكَ**) الذليلَ (**بِوَصْفِهِ**) الجميل، (**وَغَطّى نَعْتَك**) الدنِيّ (**بِنَعْتِهِ**) العلِيّ، (**فَوَصَلَكَ إلَيْهِ**) أي: إلى قربه (**بِما مِنْهُ إلَيْكَ، لا بِما مِنْكَ إلَيْهِ**).

والحاصل أنه لا يمكن الوصول إليه إلا بإيصاله من إفضاله، ولا يقدر السالك الوصول إليه بأعماله، فاقطع طمعك عنك، وارْجُ جودَه وفضله، واطلب منه الوصول إليه.



(**لولا جَميلُ سَترِهِ**) الذي يستر به عَيْبَ المعيب (**لَمْ يَكُنْ عَمَلٌ**) من الأعمال (**أهْلاً للقَبولِ**) إذ وصف العامل ملازم للعمل، ولا يخول عامل من عيب لأن كل عامل غريق في عيوب البشرية، فلا يصفو عمَل كما يليق للجليل.

لكن الكريم لجميل كرمه وعظيم ستره يستر عيب المعيب ويتلقاه بالقبول، ويجزي عليه بأعظم المأمول.

فما أجمل هذا الجميل، يَقْبَلُ من عبيده بضاعتهم المزجاة، ويجعلها سبباً للفوز والنجاة.



(**أنْتَ إلى حِلْمِهِ إذا أَطَعْتَ أَحْوَجُ مِنْكَ إلى حِلْمِهِ إذا عَصَيْتَ**) لأنّ حق إطاعته عظيم لا يقدر العاجز على أدائه، بل ليس له أهلية لأداء حقها الذي يليق لها، أنّى للتراب أن يتأتّى منه أداء حق طاعة رب الأرباب؟! بل أنّى له أن يكون أهلاً لطاعته؛ لخسته وذلته.

فلولا حلمه عنك لأحاطتِ بك النقمة عند الطاعة، وهل أنت أهل لطاعته لخستك وجلالته وعظمته؟!

فسبحانه ما أعظم حلمه عمن يسيء الأدب معه، لولا أمره بطاعته لرأفته ورحمته لاستحيى العبد من خدمته لعظمته مع خسة العبد وذلته. وهو كريم يعرّف ابتلاء عبيده بعصيانه، وكثيراً ما يعفو عنهم تعززاً وتكرماً.

هذا، ومع ذلك لا تغفلن عن طاعته طمعاً في رحمته، ولا تقربن معصيته حذراً من نقمته.



(السَّتْرُ) مقسوم **(عَلى قِسْمَيْنِ: سترٌ عَنِ المَعْصِيَةِ)** وهو أن يحفظ الله تعالى عبده عن الابتلاء بها بأن يجعل عصمته حائلة بينه وبينها. **(وَسَتْرٌ فيها)** وهو أن يستر الستار على عبده عند ارتكابه ولا يفضحه بإظهارها.

(فَالعامَّةُ) الذين لا يعرفون قدر ذي الربوبية، وإنما يدركون حظوظ أنفسهم **(يَطْلُبُونَ السَّتْرَ مِنَ اللهِ)** تعالى **(فيها)** بأن لا يظهرها عند الناس **(خَشْيَةَ سُقوطِ مَرْتَبَتِهِمْ عِنْدَ الخَلْقِ)** وذلك أملهم على مبلغ علمهم.

(وَالخاصَّةُ) الذين يعرفون حق ذي الألوهية والربوبية وعظمته وجلالته وشدة احتياجهم إليه **(يَطْلُبونَ مِنَ اللهِ السَّتْرَ)** الحفظ **(عَنْها خَشْيَةَ سُقوطِهِمْ مِنْ نَظَرِ المَلِكِ الحَقِّ)** وذهاب اعتبارهم عنده، وذلك مطلبهم على قدر معرفتهم، والعبد إذا عصى القهار سقط من نظره وهان عنده وذهب اعتباره لديه وطرد من الباب وجوزي بالحجاب والعتاب والعقاب، فتبصر إن كنت من أولي الألباب.



(مَنْ أَكْرَمَكَ) من العبيد **(فَإِنَّما أَكْرَمَك و)** الحال أنّ **(فِيكَ جَميل سَتْرِهِ)** تعالى حيث ستر عيبك وأظهر فضلك فصار ذلك سبباً لإكرام خلقه لك، ولو اطلعوا على عيبك لما أكرموك، بل أهانوك ومقتوك.

(فَالحَمْدُ) على الإكرام **(لِمَنْ سَتَرَكَ)** فإنه الذي أهّلك للإكرام، **(لَيْسَ**

الحَمْدُ لِمَنْ أكْرَمَكَ) لظهور فضلك **(وَشَكَرَكَ)** على جميلك؛ إذ لو علموا ما فيك من القبح لما شرّفوك ولا حمدوك، بل أخذلوك وأبعدوك، فاعرف الحق لأهله.

❖ ❖ ❖

(ما صَحِبَكَ) صحبة مرضية **(إلا مَنْ صَحِبَكَ وَهُوَ بِعَيْبِكَ عَليمٌ)** فإن صحبته لا تنقطع، بخلاف من صحبك وهو بعيبك جاهل، فإنّ صحبته تنقطع عند ظهور عيبك عنده.

(وَلَيْسَ ذلِكَ) الكريم الذي يصحبك مع علمه بعيبك **(إلّا مَوْلاكَ)** العالم بعيوبك كلها ولا يقطع فضله عنك. فاختر صحبته على صحبة غيره. سبحان من يرى عيب العبد ويحسن إليه ولا يقطع إكرامه عنه.

(خَيْرُ مَنْ تَصْحَبُ مَنْ يَطْلُبُكَ) ويريد قربك **(لا لِشَيْءٍ يَعودُ مِنْكَ إليهِ)** حتى يجذبه إليك، وليس ذلك على وجه الكمال إلا لسيدك الذي تفضل عليك بأنواع النوال، لا لطمع فيك، فإنه أجل من ذلك، فلا تتخذ صاحباً إلا إياه، وانقطع إليه عن ما عداه.



(لَوْ أشْرَقَ لَكَ نورُ اليَقينِ) بما أخبر الله من حقائق الأمور **(لَرَأيتَ الآخِرَةَ)** التي يتجلى فيها الحقُّ في صفة الإفضال ووصف النكال، ويجازي كلّاً على طبق الأعمال، **(أقْرَبَ إلَيْكَ مِنْ أنْ تَرْحَلَ إلَيْهَا)** بأن تجعلها نصب عينيك وأهوالها حاضرة لديك كأنك تشاهد أهل النعمة في نعيمهم وأهل النقمة في جحيمهم، فتجتهد فيما يسعدك وتجتنب عما يرديك، **(وَلَرأيْتَ مَحاسِنَ الدُّنْيا)** التي غرّت المغرورين بزخارفها وخدعتهم بإظهار زينتها وسحرتهم بحيلتها حتى جعلتهم عبيدها وعشاقها يركضون في تحصيلها لشدة اشتياقها، ويموتون كمداً على فراقها.

(وقَدْ ظَهَرَتْ كِسْفَةُ الفَناءِ عَلَيْها) فإنها دار فناء لا بقاء، وبلاء لا رخاء، ودار غرور وشرور، قد دلت غوائلها على حقيقة حالها، ودلت أحوالها على مآلها. هي دار لو كشفت حقيقة أمرها لما قبلها أحد بلا شيء، ولذا لا

تعدل عند مولاها جناح بعوضة، وجعلها جَنة لأعدائه وسجناً لأوليائه، فالحذر من الاغترار بها، وكم قتَلت من أبنائها وأهلكت من عشاقها وطحنتهم برحاها، وفرّوا إلى الله منها، فإنه الملجأ من دواهيها.



(**ما حَجَبكَ**) يا أيها المحجوب بالآثار عن الأسرار (**عَنِ اللهِ**) الذي هو الأول والآخر والظاهر والباطن (**وُجودُ مَوجودٍ**) مساوٍ (**مَعَهُ**) في الوجود؛ (**إذ لا شَيْءَ**) موجودٌ (**مَعَهُ**) يساويه تعالى الله عن ذلك.

(**وَلَكِنْ حَجَبَكَ عَنْهُ تَوَهُّمُ مَوجودٍ مَعَهُ**) فتشغلت به عنه، مع أن وجوده كعدمه؛ لحدوثه وفنائه. ولو حققت تأملك لتيقنت أن ليس في الوجود أصالةً غيرُ الله تعالى، وأمّا ما سواه فأمور بتكوينه مكوَّنة، وبإفنائه فانية، فلا تنحَجِبْ بها عن ربها، بل اجعلها وسائل الوصول إلى خالقها.



(**لَوْلا ظُهورُهُ**) بإظهار آثار صفاته (**في المُكَوَّناتِ**) التي هي مظاهر صفاته ودلائل علوّ ذاته وشواهد كمالاته (**ما وَقَعَ عَلَيْها وُجودُ إبصارٍ**) إذ المعدوم ذاتاً أعجز من أن يقع عليه وجودُ إبصار لأنه لا يقع إلا على موجود لا معدوم، لكن الكريم أعاره كسوة الوجود، وجعله بجوده محل الشهود، ولذا يقع عليه وجودُ إبصار، فلا تغفلن عن الحقائق.

(**وَلَوْ ظَهَرَتْ**) تجلت (**صِفاتُهُ**) على ما هي عليه (**اضْمَحَلَّتْ**) تلاشت (**مُكَوَّناتُهُ**) لعدم قابليتها لتحمل تجليها.

ألا يرى إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله ﷺ: «لو كشف الله عن سبحات وجهه لاحترق ما انتهى إليه بصره»[١] سبحانه، أنّى للمفقود قابلية تحمل تجلي الملك المعبود، ولو لا إعانته أهل الجنة لم يقدروا على رؤيته تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «إن الله لا ينام».

(أظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ) وهو الذي يدرك ويبصر ويرى في هذه الدار إعلاماً **(بأنَّهُ الباطِنُ)** الذي لا قابلية لما سواه لإدراك ذاته وصفاته، وهو أجلُّ من أن يدركه إبصارُ أهل الافتقار، أو يحيط به عقول أهل الاضطرار، تعالى عن ذلك القهار.

(وَطوى وُجودَ كُلِّ شَيْءٍ) حيث ليس في الوجود حقيقة غيره، وإنما أمر موهوم **(لِأنَّهُ الظّاهِرُ)** الذي ليس فوقه شيء في الظهور؛ إذ هو الموجود بذاته أزلاً وأبداً، وما فيما سواه ذرة إلا وهي تدل عليه، وأي ظهور فوق هذا؟! ولذا قيل: إنه لشدة ظهوره اختفى على غيره.



(أباحَ لَكَ أنْ تَنْظُرَ) نظر استدلالٍ واعتبارٍ واستبصارٍ **(ما في المُكَوَّناتِ)** من الدلالات الواضحات والشهادات القاطعات على كمال خالقها وعظمة مالكها وكبرياء باريها لتنتقل منها إليه وتتخذها دلائل الورود عليه ووسائط الفوز بما لديه.

(وَما أذِنَ لَكَ أنْ تَقِفَ مَعَ ذَواتِ المُكَوَّناتِ) لأنها تحجب عن رب البريات، وتحول بين المعارف والمشاهدات؛ إذ من وقف معها حُجِبَ عن مكوِّنها، وتدنس بأكدارها، وتوسخ بأقذارها.

(قال) الله تعالى: (﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [يونس: ١٠١]) من دلائل وحدانية عالِم الغيب والشهادات، وعلو عظمة ربِّ الكائنات، وانتقلوا منها إلى موجدها.

(فتَحَ لَكَ) بهذا الأمر **(بَابَ الإفْهَامِ)** لتكون بفهم ما فيها واصلاً إلى الملك العلام، **(وَلَمْ يَقُلْ: انظروا السَّمٰواتِ لِيَدُلَّكَ عَلى وُجودِ الأجرامِ)** لأن وجودها ظاهر باهر لا يحتاج إلى الدلالة عليه، وشأن الله أجلّ من أن يدل على مثل هذه الأمور، فافهم.

والحاصل أنه ليس المقصود النظر إلى ذواتها من حيث هي هي، بل المقصود النظر إليها ليُستَدَل بها على وَحدانية بارئها، وذلك بالنظر فيها، لا بنظرها، فتأمل.

مثال الناظر فيها العارف بدلالتها على مدلولها كمن يعرف الحروف ومعاني الألفاظ المركبة منها، فإنه ينتقل ذهنُه من النظر فيها إلى معانيها، ومثال ناظرها الجاهل عن دلالتها على مدلولها كمن لا يعرف أشخاص الحروف ولا معاني الألفاظ المركبة منها، فإنه إنما يشاهد النقوش ولا يعرف ما سواها.



(الأكوانُ ثابِتَةٌ) موجودة مشتملة على فوائد لا تقصى **(بإثباتِهِ)** حيث أوجدها من العدم، وأبقاها في وجودها، وأخبر عنها أنه خلقها، وجعلها براهين كماله في جماله وجلاله، فثبوتها العارِضِي لا يُنكَر، ومن أنكر ذلك فهو جاهل.

(وَمَمْحُوَّةٌ بأحَديَّةِ ذاتِهِ) أي: أنها بالنسبة إلى وجوده وأحدية ذاته وصفاته ممحوة كأنها لا وجود لها بالنسبة إليها، كلها عندهُ كحبة خردل، بل أدنى منها.



(النّاسُ) الذين لا يعلمون ما فيك **(يَمْدَحونَكَ بما يَظُنُّونَ فيكَ)** وكثيراً ما تكون ظنونهم غير مطابقة للواقع، **(فَكُنْ أنْتَ ذامّاً لنَفسِكَ)** التي تنتفخ بمدح من لا يعلم حالها وتتكبر حتى توقعك في حفرة الهلاك **(لِما تَعْلَمُهُ)** فيك **(مِنها)** وأنت أعلم بنفسك من غيرك؛ إذ صاحب البيت أدرى.

ولا تترك يقينك بظن غيرك، فإنّ ذلك من قلة العقل. وإنْ كنت أعمى عن عيوبك ففتشها ناصحاً لنفسك، فإنك تجد فيها من العيوب ما لا يعلمها إلا علام الغيوب، فذمّ نفسك الذميمة، واكسِر شوكتها بإهانتها، ولا تدعها في مراتعها لئلا توبقك.



(المؤمِنُ) الذي مُلِئَ قلبُه من نور إيمانه وضوء إيقانه **(إذا مُدِحَ استَحْيى مِنَ اللهِ)** الذي ستر عيوبه وأظهر الذي مُدِح به، مع أنه هو الذي خلقه فيه، **(أنْ يُثْنى عَلَيْهِ بِوَصْفٍ لا يَشْهَدُهُ مِنْ نَفْسِهِ)** بأن لم يكن فيه ما مدح به، أوْ لا يرى لما مدح به وجوداً من نفسه، بل من ربه.

ومثال ما تقدم مثال سلطان أعطى بعض خدامه العقلاء بعض مالِه ليعطيه بعض الفقراء، فأعطى فقيراً، ثم حضر الفقير عند السلطان، وعنده خادمه الذي أعطاه ماله، فشرع الفقير يمدح الخادم ويثني عليه بما أعطاه، فصار الخادم العاقل يستحيي من السلطان بأن يُحمَد بما ليس منه لعلمه أنّ الإعطاء من السلطان، لا منه، فتأمل.



(أجْهَلُ النّاسِ مَنْ تَرَكَ يَقِينَ ما عِنْدَهُ) حيث يتيقن أنه ليس فيه ما مدح به، **(لِظَنِّ ما عِنْدَ النّاسِ)** فيا أيها المسكين لا تترك يقينك لظن ما عند غيرك كما يفعله أهل الغِرَّة، ولا تطاوع نفسك في اغترارها.

مثال هذا مثال الذي يصدق من يقول له: إنك غني، وعندك ألوف مؤلفة من المال، فيرى نفسه غنية بمجرد قوله، وليس عنده شيء، بل هو من أفقر الفقراء، وهذا التصديق غاية ما يُتصوَّر في أهل الجنون.



(إذا أطْلَقَ الثَناءَ عَلَيْكَ) بأن كتم قبيحك، وأبدى مليحك، وأجرى ألسِنَة عباده بالثناء عليك **(وَلَسْتَ بأَهْلٍ)** لذلك، **(فَاثْنِ عَلَيْهِ بِما هُوَ أهْلُه)** حيث أكرمك بهذه الكرامة - التي لست لها بأهل - بفَيْضِ فَضْلِه.



(الزُّهّادُ) الذين لم يقطعوا وادي الأغيار، ولم يصلوا إلى وادي عدم الاعتبار بالآثار، بل بَعْدُ بقي فيهم شائبة الشهود لما عدى الملِك المعبود **(إذا مُدِحوا)** بما فيهم **(انقَبَضوا لِشُهودِهِمُ الثَّناءَ مِنَ الخَلْقِ)** ولا يرضون أن يتحملوا مِنَّة الثناء منهم عليهم؛ لعلوّ همتهم من أن يكون لغير مالكهم مَنٌّ عليهم، وربما يظنون أن في ذلك إيهام شركة مع الله الذي هو الأهل للثناء والتمجيد.

(وَالعارِفونَ) الذين رموا ما سوى معروفهم وراء ظهورهم ولم يروا لغيره فعلاً حقيقة لكمال نورهم **(إذا مُدِحوا انْبَسَطوا)** بذلك المدح وفرحوا فرحاً

شديداً؛ (**لِشُهودِهِمْ ذلِكَ مِنَ المَلِكِ الحَقِّ**) الذي خلق المادحين ومدحهم، وأجرى ذلك على ألسنتهم إظهاراً لكماله؛ إذ مَدْحُ صنعته مَدْحٌ له، فله الحمدُ كلُّه. فالعارفون في الحقيقة لا يرون مدحاً لأنفسهم، بل يرون مدحاً لربهم لغاية إيقانهم في عرفانهم.

❖ ❖ ❖

(**مَتى كُنْتَ**) موصوفاً بهذه الصفة وهو أنك (**إذا أُعْطيتَ بَسَطَكَ العَطاءُ**) من حيث إنه عطاء وصل إليك، وأمّا الانبساط له من حيث إنه هدية مولاك أهداها إليك فهو من كمال الإيقان، (**وإذا مُنِعْتَ قَبَضَكَ المَنْعُ**) من حيث إنه منعٌ حُرِمْتَ به مطلوبَك، وأمّا الانقباض له من حيث إن قَطْعَ الهدية ربما يدل على جود المُهْدِي على عبده، فهو من غاية الإيقان.

(**فاسْتَدِلَّ بِذلِكَ عَلى ثُبوتِ طُفوليَّتِكَ**) والطفل يضحكه العطاء، وعند عدمه يغلبه البكاء، (**وَعَدَمِ صِدْقِكَ في عُبوديَّتِكَ**) إذ لو كنت عبداً صادِقاً لمولاك لاستوى حين حرمك وحين أعطاك؛ لأنه يستحق العبودية منك لألوهيته الذاتية، بل ربما اغتممت عند العطاء خوفاً أن يكون استدراجاً من ذي العزة والكبرياء، وفَرِحتَ عند الحرمان طمَعَ أنِ يكون ما اذخر لك خيراً مما حرمك.

❖ ❖ ❖

(**إذا وَقَعَ مِنْكَ ذَنْبٌ فَلا يَكُنْ**) ذلك الذنب أو الوقوع (**سَبَباً يُؤَيِّسُكَ مِنْ حُصولِ الاسْتِقامَةِ**) في حدود الشرع (**مَعَ رَبِّكَ**) زعماً منك أن لو كنت من أهل سعادته لما ابتليت بأمارات أهل الشقاوة، فتصير مأيوساً من رحمته، وترخي عنان نفسك في شهواتها ولذاتها وسيئاتها.

(**فَقَدْ يَكونُ ذلِكَ**) الذنبُ الذي ابتليت به (**آخِرَ ذَنْبٍ قُدِّرَ عَلَيْكَ**) ولا يمكن الفرار من المقدور إلا بعد فراغه، ولعله يتوب عليك ويجعلك من الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ولا تيأس من رحمة الله فإنه لا ييأس منها إلا القوم الكافرون.

❖ ❖ ❖

(إذا أَرَدْتَ أنْ يَنفَتِحَ لَكَ بابُ الرَّجاءِ) في الله الذي عطاياه بمقتضى جُودِه وفَضْلِه، لا لِعلَّةٍ أخرى، **(فاشْهَدْ ما مِنْهُ إلَيْكَ)** فانظر كيف كساك كسوة الوجود بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً، وأعطاك ما لا يمكن أن يكون محصوراً، وأولاك في الدنيا ما يوجب لك فرحة وسروراً، وأعد لك في الآخرة ما لا ينقطع زمناً ودهوراً، فمن كان كذلك فكيف لا ترجو فضله؟! وكيف تُعرِض عنه إلى غيره؟!.

(وَإذا أَرَدْتَ أنْ يَنفَتِحَ لَكَ بابُ الخَوفِ) من سطوة القهار **(فاشْهَدْ ما مِنْكَ إلَيْهِ)** خلقك لعبادته فتركتها، ووضع فيك قابلية الترقي إليه فبجهلك ضيعتها، وأمرك بطاعته فودعتها، ونهاك عن معصيته فارتكبتها، وأمرك أن تقرب إليه فهربت منه، وطلب منك أن تجعل قلبك خالصاً له فسوَّدته بأكدار الأوزار والأغيار، وأمرك أن تطهِّر جسدك لجنته فنجسته، وقابلت إحسانه بكفرانك، وإنعامَه بآثامك، وإقبالَه بإعراضك، أفٍّ لك فما أقبح شأنك، فكيف لا تخاف يا من هذا صنعك؟!



(رُبَّما أفادَكَ في لَيْلِ القَبْضِ) الموجِبِ لكمال الخوف **(ما لَمْ تَسْتَفِدْهُ في إشْراقِ نَهارِ البَسْطِ)** الموجب لكمال الرجاء، وذلك لأنّ في القَبْضِ يتجلَّى الحقُّ على القلب في رداء الكبرياء وخلعة العظمة، فيحصل بذلك في القلب أنوار توجب الخوف والهيبة والحذر من ذي القهر، وتكسر أنانية النفوس الأمارة، وتقطع أنوف الأنفة، وتظهر للعبد هوان ذي العبودية وعظمة ذي الربوبية.

وفي البسط يتجلى عليه في كسوة الكرم والجود والحلم والرأفة والرحمة، ويحصل بذلك فيه أنوار توجب الرجاء والطمع في العطاء والفرحة الشديدة، وربما يخرج ذلك صاحبه إلى القصور في حق الشكور، وقلع خلع الآداب مع رب الأرباب، وذلك غير محمود عند ذوي الألباب، قال الله: (﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ﴾ [النساء: ١١]) ربما تحسبون أنّ البَسْطَ أقرب لكم

نفعاً، والقَبْضُ عند الله أقرب نفعاً، قال الله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فلا تختاروا غير ما اختار القادر المختار لكم.

❖ ❖ ❖

(**مَطالِعُ الأَنوارِ**) الإلٰهية (**القُلوبُ**) التي هي مواضع نظر الرب، ومنابع معارفه، وخزائن خصوصياته. (**وَالأَسْرارُ نُورٌ مُسْتَوْدَعٌ في القُلوبِ، مَدَدُهُ مِنَ النّورِ الوارِدِ مِنْ خَزائِنِ الغُيوبِ**).

والحاصل أنّ الأسرار أنوار إلٰهية موضوعة في القلوب، لكن لا تظهر إلا بمدد إلٰهي، وذلك أنها مغمورة بأكدار البشرية، فإذا أراد الله بعبد خيراً أزال حجب الأغيار عنها، وأطلع نوره عليها، فوصل ضوؤه إليها، فتنورت بنوره، وظهر أنوارها، وصار الغيب عند ذلك كالعيان؛ واتصلت أسرار ذوي الحدثان بأنوار الرحمٰن، وبهذا تتم المعرفة لأهل العرفان.

❖ ❖ ❖

(**نُورٌ يَكْشِفُ**) الله (**لَكَ بِهِ عَنْ آثارِهِ**) فتعرف حقائقها ودلالتها على خالقها لتتخذها سلماً إلى الوصول إلى مالكها، (**وَنُورٌ**) آخر (**يَكْشِفُ لَك بِهِ عَنْ أَوْصافِهِ**) فتعرفها على قدر القابلية لمعرفتها، ويتصل نور إيمانك بأنوارها، وتتطلع بذلك على أسرارها، والنور الأول سبب الوصول إلى النور الثاني الذي يوصل إلى المقصود.

❖ ❖ ❖

(**رُبَّما وَقَفَتِ القُلوبُ**) الضعيفة (**مَعَ الأَنْوارِ**) الطالعة من حضرة الغفار لظنها أنها وصلت إلى مقصدها، ولم تعلم أن مقصدها وراءها، وإنما هذه بشائرُه، فلا تقف مع النور، بل ارحل إلى الغفور، فتصير محجوبة بها عن مقصدها (**كَما حُجِبَتِ النُّفوسُ**) المحجوبة عن اسرار القدوس (**بِكَثائِفِ الأَغْيارِ**) فلا تقف يا أيها السالك دون ملك الملوك.

❖ ❖ ❖

(**سَتَرَ**) الستار (**أَنْوارَ السَّرائِرِ**) الكائنة في الضمائر (**بِكَثائِفِ الظَّواهِرِ**

إجلالاً لَها) لجلالتها من **(أنْ تُبْتَذَلَ بِوجودِ الإظْهارِ)** الذي لا يخلو عن الابتذال، ولذا كان كل ما هو أعز فهو أستر، **(وَأنْ يُنادى عَلَيْها بِلسانِ الاشْتِهارِ)** الذي لا يخلو عن عدم الاعتبار، فمن أراد حصول أنوار السرائر فليجل عين البصيرة عن أكدار الأغيار وأقذار الآثار، وليدقق الاستبصار بها في حقائق الأمور، تنكشف له حتى تصير عنده الضمائر كالظواهر.



(سُبْحانَ مَنْ لم يَجْعَلِ الدَّليلَ عَلى أوْلِيائِهِ) الذين خصهم بخلع الأنوار وحلل الأسرار **(إلّا مِنْ حَيْثُ الدَّليلُ عَلَيْهِ)** فمن عرفه عرف أولياءه، ومن لم يعرفه لم يعرفهم، وذلك أن الولاية سر خاص بين العبد وبين الرب، وهو يتجلى عليه بأنوار عظمته وأسرار رأفته وعواطف رحمته، ولا يعرف ذلك إلا من يعرف الرب المتجلي، فدليله دليل أولياءه.

(وَلَمْ يُوْصِلْ إلَيْهِمْ) ليتوصل بهم إلى ربهم **(إلّا مَنْ أرادَ أنْ يُوصِلَهُ إلَيْهِ)** فإنهم وسائل وصلته، أقامهم لإرشاد أهل إرادته إلى حضرته، فمن أوصله إليهم ليأخذ بما لديهم فقد أراد أن يوصله إليه.



(رُبَّما أطْلَعَكَ عَلى غَيْبِ مَلَكوتِهِ) مع أنه أبعد منك، **(وَحَجَبَ عَنْكَ الاسْتِشْرافَ)** الاطلاع **(عَلى أَسْرارِ العِبادِ)** مع أنها أقرب إليك؛ لحِكم يعلمها الحكيم الخبير الذي لا يخلو صنعه عن حكمة، ومن جملتها أن **(مَن اطَّلَعَ عَلى أَسْرارِ العِبادِ)** الذين لا تخلو أسرارهم من طيّب وخبيث **(وَلَمْ يَتَخَلَّقْ بالرَّحْمَةِ الإلٰهيةِ)** التي يرحم الله بها عباده ويحلم عنهم ويسترهم ويتوب عليهم ولا يقطع إحسانه عنهم لعصيانهم، **(كانَ اطِّلاعُهُ فِتْنَةً عَلَيْهِ)** حيث يكشف عيوب من لا يحب الله الكريم كَشْفَ عيوبه، ويهتك ستور عباد الله تعالى، ويتكلم بما لا يجوز شرعاً، ويفعل ما يحرم في دين الله، وغير ذلك، **(وَسَبَباً لِجَرِّ الوَبالِ إلِيهِ)** حيث يفعل ما يوجب هلاكه في الدنيا أو العقبى أو فيهما. سبحان من ستر عيوب خلقه عن غيره، ولم يؤيّسهم من فضله عند تعييبهم.

(**حَظُّ النَّفْسِ**) المجبولة على حب السيئات (**في المَعْصِيَةِ**) التي تشاكلها (**ظاهِرٌ جَلِيٌّ**) حيث استفادت ما اشتهت وتناولت ما هوت، (**وَحَظُّها في الطَّاعَةِ**) التي هي مجبولة على التنفر عنها وثقلها عليها لعدم المشاكلة بينهما (**باطِنٌ خَفِيٌّ**) لا يطلع عليه إلا الكُمَّل من أهل التحقيق وأولوا الفضل من أهل التوفيق، وهو أن الطاعة سبب العز والشرف والكرامة عند الله تعالى وعند خلقه، وأنّ الخلق إذا عرفوا في أحد سببها أقبلوا إليه وعظموه وشرفوه وصاروا كالعبيد له، وهذه الأمور تناسب النفس لأنها مطبوعة على حب التفوق على الأقران والترفّع على أهل الزمان، فتجتهد في الطاعة لأجلها، لا للتقرب إلى مولاها، وفي ذلك خسارتها في عظيم عبادتها. (**وَمُداواةُ ما يُخْفى صَعْبٌ عِلاجُهُ**) ولذا قل من تخلو طاعته عن حظ نفسه، قد شهد بذلك العارفون بنفوسهم.



(**رُبَّما دَخَلَ الرِّياءُ**) الذي يوجب إحباط الأعمال وغضب ذي العزة والجلال. والرياء: ملاحظة غير الحق في طاعته، وهو نوع من الشرك. (**عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ لا يَنْظُرُ الخَلْقُ إلَيْكَ**) مع أن نظرهم هو الباعث غالباً للرياء، وهذا الدخول بأن يحب العامل في خلوته اطلاعَ الناس على طاعته أو على ما يدل عليها، وهذا معنى ما قال الماتن.



(**اسْتِشْرافُك**) طمعُك (**أنْ يَعْلَمَ الخَلْقُ بِخُصوصِيَّتِكَ دَليلٌ عَلى عَدَمِ صِدْقِكَ في عُبودِيَّتِكَ**)؛ إذ لو كنت صادقاً فيها لما أحببته، بل استوى عندك عِلْمُهم بحالك وجَهْلُهم لأنهم أضعف من أن يلاحظ إليهم في عبادة الحق، أو أن يرى أنه مخلص في عمله ويتعزز بذلك في نفسه، وفي هذا حَتْفه. وهذه بلية لا ينجو منها إلا من عصمه مولاه.



(**غَيِّبْ**) يا أيها المتشوق إلى نظر الخَلْقِ وعِلْمِهم بعمَلَك لتتشرف عندهم

(**نَظَرَ الخَلْقِ إلَيْكَ**) فإنهم أحقر من أن يلتفت إليهم أو يطاع المولى لأجلهم (**بِنَظَرِ اللهِ**) الذي نظره هو النظر المقصود للعبد؛ إذ الخير كله في يديه، والأمر كله إليه، (**إلَيْكَ**) فإنه يرى ضمائرك كما يرى ظواهرك، ويعلم ما تريد من طاعته، وهو رب قهار غيور لا يرضى من عبده أن يلاحظ غيره في طاعته فإن علم طرده من حضرته وأركزه في أهل حسرته وخسّر صفقته في عبادته بل ربما جعلها سبباً لزيادة نقمته فتنبّه إن كنت من أهل الخبرة.

(**وَغِبْ عَنْ إقْبالِهِمْ عَلَيْكَ**) لأنّ إقبالهم لا ينفع بل يضر (**بِشُهودِ إقْبالِهِ عَلَيْكَ**) فإنه مقبل عليك ومتوجِّه إليك ورقيب عليك، مع جلالة عظمته وخستك، فألا تستحيي من أن تُعرِضَ عنه إلى غيره أو تتوجه في حضرته إلى أهل خدمته أو تشتغل في حضوره مع أهل عبوديته؟! تالله لو علمت قدره لم تلتفت إلى غيره، فواحسرة للعبد الذليل من قلة أدبه مع سيده الجليل.



(**مَنْ عَرفَ الحَقَّ**) الذي أظهر آثار كماله بإيجاد خَلْقِه، وكان قائماً بأمرهم وأقرب إليهم من أنفسهم (**شَهِدَهُ في كُلِّ شَيْءٍ**) بأن يستدل بكل شيء عليه، وينتقل منه إليه.

(**وَمَنْ فَنِيَ بِهِ**) بطلوع شموس أنواره على قلبه (**غابَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ**) سواه؛ إذ بطلوع الشموس تختفي النجوم، فإذا كان بطلوع الشمس التي هي مخلوقة من مخلوقاته لا تُرَى النجوم التي هي مخلوقة، فكيف يرى بطلوع أنواره غيرُه؟!

(**وَمَنْ أحَبَّهُ**) حقَّ حُبِّه (**لَمْ يُؤْثِرْ عَلَيْهِ شيئاً**) هل شيء يساويه أو يدانيه حتى يؤثر عليه؟! وإنما يؤثِرُ غيره عليه عميان القلوب الذين لا يشاهدون جمال علام الغيوب، ولا عبرة بهم لعماهم عن ما هو أولى لهم.



(**إنَّما حَجَبَ الحَقَّ عَنْكَ شِدَّةُ قُرْبِهِ مِنْكَ**) قُرباً يليق بعلو شأنه وعظيم سلطانه، ألا يرى أنه إذا قرب شيءٌ إلى العين الباصرة قرباً شديداً لا تراه كما تراه في قرب متوسط لشدة قربه إليها؟! وتلك الأمثال تضرب لتقريب الأمور الدقيقة إلى الأفهام، وجل الباري عن سمات أهل الحدوث.

(إنَّما احْتَجَبَ لِشِدَّة ظُهورِهِ) إذ كل شيء يدل عليه، **(وَخَفِيَ عَنِ الأبْصارِ)** الضعيفة **(لِعِظَمِ نُورِهِ)** فسبحانه ما أبطنه في ظهوره، وأظهره في باطنيته.



(لا يَكُنْ طَلَبُكَ) يا أيها الفقير إلى عطائه **(سَبباً إلى العَطاءِ مِنْهُ)** بأن تجعل همّك في طلبك حصول عطائك من حيث هو هو، **(فَيَقِلَّ فَهْمُكَ عَنْهُ)** لأن الغبي يفهم من نحو قوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] أنّ المقصود هو تحصيل العطاء بالسؤال عنه، والذكيّ يفهم منه أنّ المقصود إظهارُ الفاقة والفقر لديه، والتذلل بإظهار الحاجة بين يديه، وإلا فالكريم لا يحتاج في إعطائه إلى الطلب، بل هو يعطي قبل أن يُسأل، فافهم إن كنت من أهل الفهم.



(وَليَكُنْ طَلَبُكَ) منه **(لإظْهارِ العُبودِيَّةِ)** لديه بأن تظهر عنده بطلبك منه بأني عبد فقير محتاج عاجز ذو فاقة شديدة، لا غنى لي عن فضلك، ولا عوض لي عن كرمك، فإذا فعلت ذلك رضي عنك لالتجائك إليه في أذل الأحوال، وأقبل عليك بإنوال النوال، وأفاض عليك سجال الإفضال.

(وَقِياماً بِحَقِّ الرُّبوبِيَّةِ) فإنّ ربوبيته تقتضي إظهار عبوديتك لديه، وعرْضَ فقرك وفاقتك عليك، وإبداءَ كمال الذل بين يديه، ولا تظنن أنّ طلبك سبب لعطائك.



(كَيْفَ يَكونُ طَلَبُكَ اللّاحِقُ) الحادِثُ بخَلْقِه فيك **(سَبَباً لِعَطائِهِ السّابِقِ)** الذي سبق به عِلْمُه وقدرته ومشيئته؟! وما كان كذلك لا بد أن يكون.

ومحال أن يكون الحادِثُ سبباً للقديم، هل أعطاك وجودَك بطلبك؟! فكما أعطاك وجودَك بفَضْلِه كذلك يعطيك عطاءه بجوده من غير أن يكون طلبُكَ سبباً له، فإذا طلبت فاطلب إظهاراً للعبودية، لا لغرض غيرها.



(**جَلَّ حُكْمُ الأزَلِ**) وهو تقديرُه بعطائك وغيره (**أَنْ يَنْضافَ إلى العِلَلِ**) الحادثة؛ لعلوّ شأنه عن ذلك. وأيضاً الانضياف إليها ينافي مقتضى الجود.

وأيضاً إن العِلَل باعِثَةٌ للفاعل على الفعل، فيتأثَّرُ ويَنْفَعِلُ عنها ويفعَلُ الفِعْل، والله أجلُّ من أن يتأثَّر ويَنْفَعِل.



(**عِنايتُهُ فيكَ**) بمجرد جُودِه وفَضْلِه وكَرَمِه، (**لا لِشَيْءٍ مِنْكَ**) حتى يكون باعثاً له على عنايتك، (**وَأَيْنَ كُنْتَ حينَ واجَهَتْكَ عِنايَتُهُ**) الأزلية بإرادة وجودك وما يتعلق بك (**وَقابَلَتْكَ رِعايَتُهُ**) بتعلق مشيئته بأن يوجدك من العدم وينعم عليك ما لا يحصر من النعم، ويقيك من النقم، ويجعلك دليلاً عليه؟!

(**لَمْ يَكُنْ في أزَلِهِ**) القديم (**إخلاصُ الأعْمال**) من العباد، (**وَلا وُجودُ الأحْوالِ**) تكون سبباً لوجودهم؛ إذ لم يوجدوا حتى يكون أحوالهم وأعمالهم، (**بَلْ لَمْ يَكُنْ هَناكَ**) أي: في الأزل (**إلّا مَحْضُ الإفْضالِ**) من ذي الجود والجمال (**وَعَظيمُ النَّوالِ**) من كريم الأفعال، فكُفَّ نفسَك يا أيها المسكين من هذا الخيال، واعلم أنه لا يوجد شيء إلا بمجرد فضل ذي الإنوال.



(**عَلِمَ**) بعِلْمِه القديم (**أنَّ العِبادَ يَتَشَوَّفونَ**) يشتاقون (**إلى ظُهورِ سِرِّ العِنايةِ**) ليعلموا لأيِّ شيء خُصَّ هذا بهذه الكرامة، وأُكْرِم هذا بهذه الخصوصية، هل لذلك سبب؟ (**فَقال:** ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾) من خلقته (﴿مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]) اختصاصُه ليس بالعِلَلِ والأسباب، إنما هو مجرّد هِبَةِ الوّهاب.

والحاصل أنه كان الأوّل القديم، ولم يكن معه شيء، وقد قسم بحكمته لكل ماهية من ماهيات ما أراد إيجاده وجَعْلَه مظاهرَ صفاته قابليَّةً خاصة، فمنها ما أعطاها قابلية الاهتداء والكمال، ومنها ما أعطاها قابلية الغواية والضلال على تفاوتها في ذلك، وسر هذه القسمة لا يعلمها إلا الله تعالى، بل إنما هي قسمة الحكيم العليم.

(**وَعَلِمَ**) من العباد (**أَنَّهُ لَوْ خَلّاهُمْ وَذلِكَ**) ولم يخبرهم بعلامة أهل

السعادة (**لَتَرَكُوا العَمَلَ**) الذي جعله بحكمته سبباً ظاهرياً للوصول إلى أكمل المأمول وعلامة للسعادة، (**اعْتِماداً عَلى الأزَلِ**) التقدير الذي سبق لهم، زعماً منهم أن من كان منّا من أهل السعادة يصير إليها وإن لم يعمل، ومن كان منا من أهل الشقاوة يصير إليها وإن عمل، إذ المدار على الأقدار، لا على الأعمال، فلم نتعب أنفسنا بأثقالها.

(**فَقال**) إزالة لشبهتهم: (﴿**إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٦]) أي: وبعيدة من المسيئين، وذلك أنه وإن كان المدارُ على الأزل، لكن الحكيم جعَل لأهل السعادات علامات يُعرَفون بها، وأسباباً يتوصلون بها إلى سعادتهم وهي الأعمال الصالحة الموجبة للإحسان والامتنان بجعل الرحمٰن، وجعل لأهل الشقاوة أمارات يعرفون بها وأسباباً يتوصلون بها إلى شقاوتهم وهي الأفعال القبيحة الموجبة للخزي والخذلان بإرادة الديان، فلا ينبغي تَرْكُ العمل اعتماداً على الأزل، وكلٌّ مُيَسَّرٌ لَمَا خُلِقَ لَهُ، والكريم إذا استعمل عبده في علامات إكرامه لا يخيبه، ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [التوبة: ١٢٠] وإن كان هو سلطان لا يبالي بما يفعل.

❖ ❖ ❖

(**إلى المَشيئَةِ يَسْتَنِدُ كُلُّ شَيْءٍ**) سِوَى الله تعالى؛ إذ ما من شيء إلا وهو مبشيئة الله وإرادته وقدرته وقضائه وقدره وعلمه.

(**وَلا تَسْتَنِدُ هِيَ إلى شَيْءٍ**) أي: تعلُّقُ مشيئةِ الله تعالى بإيجادِ الأشياء بمجرد اختيارِه، وليست لها عِلَّةٌ تُوجِبُهَا، وأفعالُ ذِي الفَضْل لا تُعَلَّلُ بالعِلَل.

❖ ❖ ❖

(**رُبَّما دَلَّهُم**) أي: العارفين بالله تعالى (**الأدَبُ**) مع الله الذي قسم لكل عبد نصيبه في الأزل بمجرد الجود والفَضْلِ؛ (**عَلى تَرْكِ الطَّلَبِ**) من الله تعالى ما قسم لهم؛ لأن طلبه يُوهِمُ قلة الأدب مع الجواد الذي يعلم العلانيات والخفيات، ويوصل إلى كل عبد قسطه في الوقت الذي عيَّنه للإعطاء بحكمته؛ لما في ذلك من الاستعجال وإيهام اتهام البخل للقدوس عن سمات أهل

الزوال. (**اعْتِماداً عَلى قِسْمَتِهِ**) التي قسمها لهم في الأزل لأن ما قسمه لا بد أن يوصله، فالطلب من قلة الأدب.

لكن هذا إذا كان الطلب لمجرد تحصيل العطاء، أمّا إذا كان لإظهار العبودية لذي الآلاء، وإبداء الفاقة لدى ذي الكبرياء، فهو من كمال معرفة العارفين والأولياء.

(**وَاشْتِغالاً بِذِكْرِهِ**) القلبي واللساني (**عَنْ مَسْأَلَتِهِ**) لأنّ من اشتغل بذكره أعطاه أحسن ما يعطي السائلين، بل ذِكْرُه سؤالٌ منه لأن الفقير إذا ذَكَر الغني ومدحَه فقد سأله ما يدفع فَقْرَه.



(**إِنَّما يُذَكَّرُ**) بالطلب مما عنده من الذي وَعدَهُ أو من الذي عِنْدَه (**مَنْ يَجوزُ عَلَيْهِ الإِغْفالُ**) عن إسعاف الآمال، وذلك العبد المجبول على البخل والنسيان، وأمّا الله العليم فلا يجوز عليه ذلك لأنّ ذاته وصفاته منزهة عنه.

(**وَإِنَّما يُنَبَّهُ**) على إعطاء ما عنده (**مَنْ يُمْكِنُ مِنْهُ الإِهْمالُ**) في الإفضال ـ لشحه أو شغله ـ هو المخلوق المطبوع على السهو والغفلة، أمّا الباري فمنزَّه عن ذلك، فمن سأله لمجرد تحصيل المطلوب كأنه لم يعتمد على قسمته، ولم يشتغل بأعلى الوسائل إلى مقصوده، وكأنه جوّز عليه الإغفال والإهمال، تعالى عن ذلك الكبير المتعال.



(**وُرودُ الفاقاتِ**) من خالِق الموجودات الذي صُنْعُه لا يخلو عن الحِكَم (**أَعْيادُ المُريدينَ**) الذين يريدون السلوك إلى مَلِكِ الملوك، وذلك أنّ ورودها يكسر أنانيتهم، ويظهر سر العبودية عندهم، ويبدي ذلهم وهوانهم، وبذلك تصفى قلوبهم عن سوى مطلوبهم، فيصلون إلى محبوبهم. وعِيدُ المحِبِّ وقت ملاقاته مع حبيبه، أو وقت مجيء بشارة ملاقاته.



(**رُبَّما وَجَدْتَ مِنَ المَزيدِ**) في الترقي إلى الحميد (**في الفاقاتِ**) التي

تطهر عن أوساخ القاذورات (**ما لَا تَجِدُهُ**) من المزيد (**في الصَّوْمِ وَالصَّلاةِ**) الذين هما من أجل أفراد العبادات، وذلك أنّ حالة الفاقة أنسب بحال العبودية، وبقدر الاتصاف بالعبودية يُتوصَّل إلى ذي الربوبية.

❖ ❖ ❖

(**الفاقاتُ**) المطهرات عن سوى مالِك الأرض والسمٰوات، المرقيات إلى أعلى الدرجات (**بُسُطُ المَواهِبِ**) الوهّابية يَهبُها لمن يختاره من خَلْقِه.

❖ ❖ ❖

(**إنْ أرَدْتَ**) يا أيها المحب الصادق (**وُورِدَ المَواهِبِ**) الإلٰهية (**عَلَيْكَ صَحِّحِ الفَقْرَ**) عن غير الله إليه، (**وَالفاقَةَ**) عن ما سواه (**لَدَيْكَ**)، فإذا صححتهما واتصفت بهما كما ينبغي الاتصاف بهما نُثِرَت عليك أطباق مواهب الرحمٰن وهدايا الحنان ومِنَن المنان، فإنما ينالُ كرمَ الكريم مَنْ تذلَّل بين يديه وأظهر فاقته لديه، كما قال المصنف: (﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠]) فصدقات الفقراء لفقرائها، وصدقات الله تعالى لفقرائه، وشتان ما بين الصدقتين.

❖ ❖ ❖

(**تَحَقَّقْ بأوْصافِكَ**) العبودية بأن تعطي كل وَصْفٍ من أوصاف عبوديتك حقّها، وتتصف بها كما ينبغي الاتصاف بها، فأعْطِ وَصْفَ الفقر والفاقة حقّه، ووَصْفَ الذلة والخسة حظَّه، والتعبد قِسْطَه، (**يُمِدّكَ بأوصافِهِ**) فعلى قدر اتصافك بأوصافك تُمَدُّ من أوصافه، وعلى قدر التواضع والذلة تُمَدُّ بالعز، وعلى قدر الفاقة تُمَدُّ بالغنى، وعلى قدر الإذعان تُمَدُّ بالعرفان، وهلم جرّاً.

هذا كما قال: (**تَحَقَّقْ بِذلَّتِكَ**) الذاتية اللازمة معك بأن ترى نفسك أذل الأشياء عند ذي العز والكبرياء (**يُمِدّكَ بِعِزَّتِه**) فيجعلك عزيزاً في ملكه كأنك عروس مملكته.

(**تَحَقَّقْ بِعَجْزِكَ**) الأصلي بأن لا ترى لنفسك قدرة على شيء من الأشياء (**يُمِدّكَ بِقُدْرَتِهِ**) حتى يجعلك قادراً على تحمل أثقال التجليات الإلٰهية

وعلى خوارق العادات حتى تقطع الأرض كلها بخطوة. سبحان من لا يعطي قدرته إلا من ترك قدرته.

(**تَحَقَّقْ بِضَعْفَكَ**) الذي خُلِقْتَ عليه بأن تعلم أنك لا تقدر على شيء ما (**يُمِدّكَ بِحَوْلِهِ**) بأن تصرف من البلايا والمِحَن ما لا تقدر عليه بحولك لولا إمداد الله إياك بحوله.

(**وَقُوَّتِهِ**) بأن تقوى على ما لا تقدر عليه بقوتك لولا إمداد الله إياك بقوته. ألا ترى أن الأنبياء ﷺ والأولياء لمّا تبرئوا من حولهم وقوتهم خرق لهم خوارق العادات، ومكّنهم من الجولان في ملكوت الأرض والسمٰوات، وأكرمهم بما يعجز عنه البشر من الكرامات.



(**رُبَّما رَزَقَ الكَرامَةَ**) التي هي عبارة عن خرق العادة (**مَنْ لَمْ تَكْمُلْ لَهُ الاسْتِقامَةُ**) على حدود الشريعة التي توجب الفوز والفلاح، إمّا ليُعينَه بها على سلوكه في طريقه لأنه إذا رأى الكرامة اشتاق إلى ما فوقها، أو لينفع به خلقه بأن يقضي حوائجهم بواسطة إظهارها على يديه، أو ليستدرجه بها إن لم يُرِدْ به خيراً، أو أعلى منها، فإن لم يُرِد به خيراً ردَّهُ بخرق العادة إلى الضلالة، وإن لم يُرِد به أعلى منها شغله بها عن ما أمامها.

وكم قيّدت الكرامات من أهل البدايات عن الوصول إلى أعلى درجة الولايات، ولذا قيل: الاستقامةُ خيرٌ من ألف كرامة.



(**مِنْ عَلامَةِ إقامَةِ الحَقِّ**) الذي يقيم من يشاء من خلقه في مظهر وصف الحق من صفاته، (**إيّاكَ في الشَّيْءِ إقامَتُهُ إيّاكَ مَعَ حُصولِ النَتائِجِ**) الموضوعة فيه بأن تزداد به قرباً من الحق، وأمّا إذا لم تحصل نتائجه فاعلم أنه ليس من إقامة الحق إياك فيه.

توضيح هذا المقام أن لله تعالى أوصافاً تقتضي الاهتداء لخلقه وقربهم إليه وزيادتهم في معرفته والفوز بفضله لتظهر مظاهرها كالجود والكرم والرحمة

والرأفة والعفو، ويعبر عنها بالجمال، وأنّ له أوصافاً تقتضي إضلال الخلق وبعدهم وزيادتهم في الجهل به والابتلاء بالعقوبة لتظهر مظاهرها كالقهر والعظمة والكبرياء والعلو، ويعبر عنها بالجلال، فإذا اشتغل العبد ـ بقدرته تعالى ـ بعبادة من عباداته فإذا حصلت له نتائجها نسب ذلك إلى الله تعالى كما هو في حقيقة الأمر، وإذا لم تحصل نسب ذلك إلى العبد أو إلى نفسه أو إلى الشيطان تأدباً مع الله تعالى، فإذا قام العبد في شيء وحصلت له نتائجه التي تقربه إلى مولاه علم أنّ ذلك من إقامة الحق إياه فيه، وإذا لم تحصل علم أن ذلك من إقامة النفس والشيطان، تأمل في هذا المقام إن كنت من أولي الأحلام.



(**مَنْ عَبَّرَ**) بمقاله أو حاله (**مِنْ بِساطِ إحْسانِهِ**) كأن يقول أو يظن: إني عبدت ربي كأني أراه، (**أَصْمَتَتْهُ الإسَاءَةُ**) التي هي لازمة مع الإنسان لا تفارقه في آن من الأوان، وأنّى للناقص أن يتأتّى شيء منه من غير نقصان؟!

فينبغي له أن يستحيي أن يتفوه بإحسانه بلسانه أو يخيله في جنانه لعِلْمِه بإساءته ونقصانه. إذا رأيت من يعبر عن إحسانه من حيث وقوعه منه فهو من قلة عقله وحيائه، وأنّى للمسيء أن يعبر عن إحسانه؟! لو عرف انغراقه في نقصانه لاختجل في جميع أزمانه.

(**وَمَنْ عَبَّرَ مِنْ بِساطِ إحْسانِ اللهِ إلَيْهِ**) بأن يذكر ما منّ الله به عليه من الأعمال والأحوال، مع عِلْمِه أن ربه هو الذي أحسن إليه بأن جعله مظهراً للفضائل والفواضل والأنوار والأسرار، واتخذه خاصاً لنفسه يظهر فيه أنوار قدسه، (**لَمْ يَصْمُتْ**) عن ذكر الإحسان (**إذا أسَاءَ**) لأنه إذا عبر عن إحسانه مع عصيانه إنما يعبر تحدُّثاً بنعمة ربه وشكراً لما منَّ عليه به من مواهبه وإعلاماً بقصور حاله، كأنه يقول بلسان حاله: إن سيدي أكرمني بهذه الكرامة، وأنا قابلته بهذه القبيحة، ومثل هذا يبوح بإحسانه عند عصيانه ويزداد به قرباً إلى رحمانه.



(**تَسْبِقُ أنْوارُ الحُكَماءِ**) الذين ظهروا أنفسهم عن غير ذي الكبرياء، وخلصوها لذي النعماء، فوهبهم أنواراً يدركون بها غوامض الأمور، ويعبرون عنها بألطف العبارة وألخصها في ميدان الحقائق، (**أقْوالَهُمْ، فَحَيْثُ سارَ التَّنْويرُ**) الحاصل بالأنوار، وذلك أنّ الأنوار تنور للقلوب حقائق الأمور وغوامضها على قدر القابلية، (**وَصَلَ التَّعْبيرُ**) عن حقائق الأشياء وغوامضها، فمن كان تنويره أعلى كان تعبيره أصوب وأجلى، ومن كان تنويره أدنى كان تعبيره لا يخلو عن الخطإ والخفاء.

لمّا كان تنوير الأنبياء عليهم السلام أتمّ وأكمل كان تعبيرُهم مطابقاً للواقع وأظهر وأجمل، ولمّا كان تنويرُ الأولياء ومن دونهم أنقص من تنوير الأنبياء عليهم السلام كان تعبيرُهم لا يخلو عن خطإ وخلل.

ثم نور كل مؤمن على قدر اتباعه للنبي ﷺ لأنه الشمس، وهؤلاء النجوم، يكتسبون أنوارَهم من نوره على قدر اقتدائهم به.



(**كُلُّ كَلامٍ يُبْرُزُ**) من خزائن الضمائر إلى ميادين الظواهر (**وَ**) الحال أن (**عَلَيْهِ كِسْوَةٌ**) آثار أنوار (**القَلْبِ الَّذي بَرَزَ مِنْهُ**) فإن برز من أنوار القلوب كان عليه آثار ذلك على قدر ذلك، وإن برز من أكدار القلوب كان عليه علاماته على قدر ذلك، فانظر في أقوال الأنبياء عليهم السلام تجد عليها أنواراً كالبدور، واقوال الأولياء تجد عليها نوراً على قدر مقامهم، وأقوال غيرهم تجد عليها آثار الكدر على قدر حالهم، وإن كان كلام المؤمن على مقتضى إيمانه لا يخلو عن نور الإيمان.

❖ ❖ ❖

(**مَنْ أُذِنَ لهُ في التَّعْبيرِ**) عن الحقائق التي سُتِرَت في خزائن العليم القدير (**فُهِمَتْ في مَسامِعِ الخَلْقِ عِبارَتُهُ، وَجُلِّيَتْ عَلَيْهِمْ إشارَتُهُ**) يفهم أصل مقصوده كل من كان له نوع قابلية، ألا ترى إلى كلمات رسولِ الله ﷺ يفهم أصل مقاصدها كل من يعرف لسان العرب، مع أن تحت كل كلمة منها أبحراً

من العلوم، وإلى كلمات غيره لا يفهم كثير من كلماتهم إلا بعد تعب شديد، مع أنه لو حقق الإنسان أمرها لم يجد تحتها شيئاً.



(**رُبما بَرَزَتِ الحَقائِقُ مَكسوفَةَ الأنْوارِ**) التي أمكن بها على التعبير عنها (**إذا لَمْ يُؤْذَنْ لَه فيها بِالإظْهارِ**) فتذهب أنوارها للمخالَفة في إظهارها، وكثيراً ما تكون مثل هذه الحقائق سبباً في هلاك مخبريها وتكفيرهم وتبديعهم.

❖ ❖ ❖

(**عِبارتُهُم**) أي: عبارة أهل الله تعالى (**إمّا لِفَيَضانِ وَجْدٍ**) في قلوبهم التي تَرِدُ عليها وارداتُ الحقِّ فلا يقدرون على عدم التعبير عن ما في ضميرهم.

(**أوْ لِقَصْدِ هِدايَةِ مُريدٍ**) يهتدي بعباراتهم الموضحة لطريق الحق، المرغبة للسلوك فيه، ولا يعبرون عن ما في ضمائرهم لغير ذلك، ومن عبّر لغير ذلك فاعلم أنه متكلِّفٌ.

(**فالأوَّلُ حالُ السّالِكينَ**) الذين لم يستأهلوا بعد لتحمل واردات الحق لضعف قابليتهم، فإذَا ورد عليهم وارِدٌ قوي عبروا عنه ليتخفف ما بهم.

(**والثّاني حالُ أرْبابِ المُكْنَةَ**) أهل التمكين في مواقع اليقين (**والمُحَقِّقينَ**) الذين استأهلوا ـ لتحقيقهم في منازل سلوكهم ـ لتحمُّلِ واردات الحق.

ألا ترى أن البعير إذا وضع عليه في ابتداء الأمر حمل ورغى وصاح وإن كان خفيفاً، وإذا تمرن في ذلك لم يرغ ولم يصح، ولو وضع حمل ثقيل، وربما يموت من ثقله ولا يبدو شيء من صوته.



(**العِباراتُ**) عن الأمور الحقة (**قُوتٌ لعائلَةِ المُسْتَمِعينَ**) أي: لفقيرهم، فإنه لفقره يتقوت بعبارات الحقائق، ويترقى بها إلى فَهْمِ الدقائق، لا لغنيهم فإنه لغناه الذي حصله بإيقانه في إيمانه يدرك الحقائق من غير أن يحتاج إلى استماع العبارة.

(**وَلَيْسَ لَك**) يا أيها القائل من أقوالك ويا أيها السامع مما تسمع (**إلّا ما أَنتَ لَهُ آكِلٌ**) أي: متصِفٌ به عامِلٌ به ماشٍ على مقتضاه، فإنّ مجرد التقول بالأقوال لا يوجِب التحقُّقَ بالأحوال، وسماعها من غير عمل عليها لا يحصل في السامع حقائقها.

ألا ترى أن من قال بلسانه: «اللبن» لا يصير شارباً له ذائقاً لذّته بمجرد التقوُّل به؟! بل لا يجد ذوقه إلا بعد شربه، وكذا إذا سمع شخصٌ لفظَ «اللبن» لا يصير شاربه حتى يشربه، فمن زعم أنه بمجرد التقول بالأقوال أو بسماعها يصير متصفاً بحقائقها فهو مجنون لا يستأهل للخطاب، بل هو أشبه الناس بالسوفسطائية الذين يزعمون أنّ حقائق الأشياء تابعة لعقائدهم.



(**رُبَّما عَبَّرَ عَنِ المَقامِ**) من مقامات أهل الله التي يسلكونها في سلوكهم إلى ربهم (**مَن اسْتَشْرَفَ عَلَيْهِ**) ولم يدخله ولم يعرفه حق معرفته. (**وَرُبَّما عَبَّرَ عَنْهُ مَنْ وَصَلَ إلَيْهِ**) وعرفه حق معرفته. ومثالهما مثال من ينظر البلدة فيخبر عنها قبل أن يدخلها، ومن يدخلها ويعرف ما فيها ويخبر عنها.

(**وَذلِكَ**) أي: أمرهما (**مُلْتَبِسٌ**) لا يميِّز المستشرف عن الواصل، (**إلّا عَلى صاحِبِ البَصيرَةِ**) بذلك المقام، فإنه يرى على كلام المستشرف كسوة عدم وصوله إليه، وعلى كلام الواصل كسوة وصوله إليه.



(**لا يَنْبَغي لِلسّالِكِ**) الذي لم يصل بعد إلى مطلوبه (**أنْ يُعَبِّرَ عَنْ وارِداتِهِ**) التي تَرِدُ عليه من ربه وهو لا يرضى بالتعبير عنها؛ (**فإنَّ ذلِكَ**) التعبير (**يُقِلُّ عَمَلَها**) أثَرَها الذي تَرِدُ لأجله (**في قَلبِهِ**).

وارداتُ الربِّ القريب في حق السالك كأدوية الطبيب في حق المريض، فالمريض إن صبر على مرارة الأدوية حصل له أثرها الذي هو الشفاء من الأمراض الظاهرية، وإن لم يصبر عليها، بل لَفَظَهَا، لم يظهر أثرها، كذلك السالك إذا صبر على ثِقَل الواردات ولم يظهرها ظهر فيه أثرها الذي هو شفاء

من الأمراض الباطنية وسبب للترقي إلى ذي الألوهية، وإن لَفَظ بها لم يظهر أثرها، فتأمل.

(وَيَمْنَعُهُ وُجودَ الصِّدْقِ مَعَ رَبِّهِ) لأنه حين وضع رِجْلَه في طريق السلوك إلى مَلِك الملوك عاهَدهُ بلسان حاله أنه لا يفشو أسراره قبل إذنه، وقال له: أنا صادق في هذا الوعد، فإذا باح بها فقد أخلف وَعْدَه وظهر عدَمُ صدقه.



(لا تَمُدَّنَّ يَدَكَ إلى الأخْذِ مِنَ الخَلائِقِ) التي لا تملك ضرّاً ولا نفعاً **(إلّا أنْ تَرى أنَّ المُعْطِيَ فِيهِمْ مَوْلاكَ)** بأن تعلم أنه هو الذي يتصرف فيهم وفي إعطائهم، وإنما هم وُكَلاؤه، فإن أراد أعطوا، وإلّا لا، أو أن يكشف لك عن مغيبات الأمور فيصير عندك الغيب كالعيان.

(فإذا كُنْتَ كَذلِكَ) بأن اتصفت بأن لا ترى المعطي غير ربك **(فَخُذْ ما وافَقَك العِلْمُ)** الذي أتى به رسول الله ﷺ من ربه وبيَّن به الحلال والحرام **(فِيهِ)** ولا تأخذ غيره اعتماداً على عرفانك أو كَشْفِك؛ إذ لا يُعمَل بهما إذا لم يوافِقَا شريعةَ محمد ﷺ فإنها هي الحاكمة على الكل.

وأمّا ما يعتمد عليه بعض الناس في الحل والحرمة والطاعة والمعصية وغيرها على عرفانهم أو كشوفهم فهو جَهْلٌ وخروجٌ عن دائرة الإيمان إلى الكفران، فالحذر الحذر من مخالفة شريعة سيد البشر ﷺ فإنّ من خالفها فقد أوبق نفسه في المهالك.



(رُبَّما اسْتَحْيى العارِفُ) بالله تعالى **(أنْ يَرفَعَ حاجَتَهُ إلى مَوْلاهُ)** فضلاً عن ما عداه **(اكْتِفاءً بِمَشيئَتِهِ)** إذا علم أنّ الاكتفاء بالمشيئة في المطلوب أهم وأقدس وأولى وأفيد من إظهار الفقر والفاقة، **(فَكَيْفَ لا يَسْتَحْيي أنْ يَرْفَعَها إلى خَليقَتِهِ)** مع أنهم أعجز من أن يقضوا حاجته بدون إرادته؟!.

هذا إذا علم أنّ السيد لا يرضى برَفْعِ حاجته إليهم، وأمّا إذا علم أن

السيد يحب ذلك لعِلْمِه أنه يأخذ من الله لا من غيره فليرفعها إليهم ليأخذها من أيديهم لأنها وسائط أجرى الكريمُ عطاياه على أيديهم، وهو من كمال العرفان، فافهم إن كنت من أهل الإيقان.



(**إذا التَبَسَ عَلَيْكَ أمْرانِ**) أيهما أحق، ولم يُعلَم من قواعد الشرع حلهما أو حرمتهما أو جوازهما ومنعهما؛ إذ ما بُيِّنَ في الشرع لا تحكيم للنفوس فيها، بل تحكيمُها فيه جَهْلٌ وضلالة، (**فانْظُرْ أيهما أثْقَل**) مباشرةً (**عَلى النَّفْسِ**) التي جُبِلَت على خفة الباطل وثقل الحق عليها، (**فَاتَّبِعْهُ**) فإن ثقله عليها علامة كونه حقّاً، (**فَإنَّهُ لا يَثْقُلُ عَلَيْها إلّا ما كانَ حَقّاً**) لما طبعت على تثقلها إياه.



(**مِنْ عَلاماتِ اتِّباعِ الهَوى**) الذي جُبِلَ على الفِرَار من الأمور التي هي حقٌّ (**المُسارَعَةُ إلى نَوافِلِ الخَيْراتِ**) أي: الزوائد على الفرائض، (**وَالتَّكاسُلُ عَنِ القِيامِ بِالواجِباتِ**) وذلك أنّ النفس مجبولة على التنفّر من الأمور الحقة المقربة إلى الرب، وحقية الواجبات أثقل، والتقرب بها أكثر، وحقية النوافل أخف، والتقرب لها أقل بالنسبة إلى الفرائض، فإذَا خُيِّرَت بينهما سارعت إلى ما هو أخف عليها بمقتضى طبعها وإن كان كثيراً ثقيلاً في الظاهر.



(**قَيَّدَ**) الحكيمُ (**الطّاعات**) كالصلوات والصيام والحج (**بِأعْيانِ الأوْقاتِ**) ووظفها فيها (**كَيْ لا يَمنَعَكَ عَنها وُجودُ التَّسْويفِ**) وذلك أنّ النفس متسوفة، فلو قيل لها مثلاً: صلِّ في عمرك كذا وكذا صلاة، أو في سنة أو شهر أو جمعة كذا وكذا صلاة، تسوّفت وقالت لصاحبها: الوقتُ كثير، والعددُ قليل، أنا أوفي لك هذا العدد فيما بعد، دعْ واسترح، فلا تزال كذلك حتى تفجأه المنية وتفوت الأمنية.

(وَوَسَّعَ الوَقْتَ عَلَيْكَ) فإنه جعل لكل صلاة مثلاً وقتاً موسَّعاً زائداً على قدر أدائها **(كَيْ تَبْقى لَكَ حِصَّة في الاخْتِيارِ)** فتفعل لاختيارك في أي جزء شئت من أجزاء الوقت.

وللعبد اختيار في كسبه وإن كان ذلك أيضاً بخلق الله، ولو ضيق عليك لكنت كالمضطر في أدائها، فسبحان من شرع أحكام الدين منوطة بكمال الحِكْمة.



(عَلِمَ قِلَّةَ نُهوضِ) قيام **(العِبادِ إلى مُعامَلَتِهِ)** طاعتِه التي هي لازمة عليهم بمقتضى عبوديتهم لذي الربوبية؛ لما ابتلوا به من النفوس المجبولة على التكاسل عن العبادة، **(فَأوْجَبَ عَلَيْهِمْ وُجودَ طاعَتِهِ)** وأوعدهم على تَرْكِها بغضبه وعقابه، **(فَساقَهُمْ إلَيْهِ بِسَلاسِلِ الامتحان)** إلى العرفان والإيمان والجنان لأنهم إذا علموا أنّ السيد إذَا خالفوه في ما أوجب عليهم من طاعته أغمرهم في نقمته وحرمهم من نعمته ومعرفته، وإذَا أطاعوه أكرمهم بنعمته وجنّته ونجاهم من نقمته وألذهم بمعرفته، أسرعوا إلى الطاعة كافّين أنفسهم عن المعصية وإن كانت نفوسهم لا تُسَاق إليها إلا بسلاسل الامتحان.



(عَجِبَ رَبُّكَ) عجباً يليق به **(مِنْ قَوْمٍ يُساقونَ إلى الجَنَّةِ بِالسَّلاسِلِ)** أي: بسلاسل الحديد أو التكليف على رغم أنوفهم، فما أكرم هذا الكريم، يجر عبيده غصباً عليهم إلى النعيم.



ولا تتركن العبادة لعدم عِلْمِك بدخول الجنة، فإنه **(أوْجَبَ عَلَيْكَ وُجودَ خِدْمَتِهِ)** التي تقتضيه بشريّتك لألوهيته، **(وَما أوْجَبَ عَلَيْكَ)** بإيجاب الطاعة في الحقيقة **(إلا دُخولَ جَنَّتِهِ)**؛ إذ العبادةُ جَنَّةٌ عاجلة يتمتع بها أهلُها الكاملون، وسيلة إلى جَنَّةٍ فيها ما تقر به العيون.



(**مَنْ استَغْرَبَ أنْ يُنْقِذَهُ اللهُ مِنْ شَهْوَتِهِ**) التي جُبِل عليها (**وَأنْ يُخْرِجَهُ مِنْ وُجودِ غَفْلَتِهِ**) التي طُبع عليها (**فَقَدِ اسْتَعْجَزَ**) عدَّ (**القُدْرَةَ الإلٰهية**) عاجزةً عن إنقاذه من شهوته وإخراجه من غفلته، (﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾) ممكن (﴿مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]) قادراً على إيجاده، وهذا ممكن في حد ذاته، وليس بمحال، فالله قادر عليه.

لكن قلّ ما ينقذه ويخرجه لحِكَم يعلمها، ولو أخرج الناس كلهم عن شهواتهم وغفلاتهم وعصَمهم عن السيئات ووفقهم للطاعات متى تظهر مظاهر الصفات التي لا توجد إلا بها؟! ومن يعمِّر هذه الدنيا التي تعميرها بهم؟! ومن يملئ جهنم التي خلقها لأهل الشهوات والغفلات؟! فسبحانه ما أعظم شأنه وأجلى برهانه.



(**رُبَّما وَرَدَتِ الظُّلَمُ**) القلبية المغطية لأنوار القلوب وأسرارها (**عَلَيْكَ لِيُعَرِّفَكَ قَدْرَ ما مَنَّ بِهِ عَلَيْكَ**) من أنواره الموجبة لأسراره، فتعرف قدر نعمة النور، وتزداد شكراً للغفور ومعرفةً للشكور. والأشياء تعرف بأضدادها وعند فقدانها كماقال المصنف:



(**مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ النِّعَمِ بِوِجْدانِها**) بأن لم يقم في أداء شكرها حق القيام ولم يفرح بها حق الفرحة بها، (**عَرفَها بِوُجودِ فُقْدانِها**) كما قيل: إن زنجياً جُعِل في السفينة، فجعل يبكي ويصيح، فأدلي في البحر، فتعلق بالسفينة، فرفعوه فأدخلوه فيها فسكن صياحه لأنه عرف مقدارها حين فقد قرارها.



(**لا تُدْهِشكَ**) لا يوقعك في الدهش الموجب للغفلة (**وارِداتُ النِّعَمِ**) من ذي الفضل والكرم (**عَنِ القيامِ بِحُقوقِ شُكْرِكَ**) الذي طلبه منك المولى المنعم على قدر طاعتك، وإلا فنِعَمُ الله لا يقدر أحد أن يحصيها، فضلاً عن أن يؤدي شكرها.

(**فإنَّ ذلِكَ**) الدهش المذكور الموجب للقصور في شكر الشكور (**مِمّا يَحُطُّ مِنْ وُجودِ قَدْرِكَ**) عند ربك على قدر قصورك في شكرك، فإنّ من لم يعرف نِعَم المولى ولم يؤد شكرها نقص قدره عند مرسلها.



(**تَمَكُّنُ حَلاوَةِ الهَوى**) الذي هو مَيْلُ النفس الأمّارة إلى شهواتها وزلاتها وهفواتها، (**مِنَ القَلْبِ**) الذي هو منبع الأنوار والأسرار، (**هَوَ الدّاءُ العُضالُ**) الذي لا يخرج منه إلا بالشدة، وذلك أن للقلب تأثراً مما يَرِدُ عليه، فإذا تمكن فيه حلاوة الهوى خرج منه موجبات التقوة، وامتلأ بمحصلات الرّدى، وتكدّر وتقذر، وترسخ فيه أكدار الأوزار. قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]. ولا يصفى القلب من هذه الأوساخ إلا بعد علاج شديد، وقلّما يصلح لحالٍ جليل.



(**لا يُخْرِجُ الشَّهْوَةَ**) التي جُبِلَ عليها الإنسان (**مِنَ القَلْبِ إلّا خَوفٌ**) من هيبة القهار وجبرياء الجبار ومن غضب العظيم ودخول النار، (**مُزْعِجٌ**) للقلب، فإنه يذيب كدوراته ويطهره عنها كما تُذهِب النار خبَثَ الحديد وتطهّره من الأكدار.

(**أوْ شَوْقٌ**) إلى ذي الإفضال والنوال (**مُقْلِقٌ**) له، فإنه لا يزال ينظفه عن ما في باطنه من الأقذار والعِلَل حتى يجعله خالصاً للذي يشتاق إليه، وهو الكريم ذو الجود والفضل.

ومن لم يكن فيه كلاهما أو أحدهما لا يتأتى له قَلْعُ شهوته من قلبه. ألا يرى هل يمكن أخراج وسخ الحديد من غير إدخاله في الكير؟!

❖ ❖ ❖

(**كَما لا يُحِبُّ**) المنفرِدُ بالألوهية المستحِقُّ للعبودية (**العَمَلَ المُشْتَرَكَ**) بينه وبين غيره، بل يرُدُّه على وجه عامله، ويخيبه من أمله لشركه مع ربه، (**كذلك لا يُحِبُّ القَلْبَ المُشْتَرِكَ**) بين حبه وبين غيره والتوجه إليه والتوجه

إلى غيره، بل هو أحق بعدم الحب لأنه موضع نظر الرب من البدن، عليه مداره صلاحاً وفساداً.

(العَمَلُ المُشْتَرَكُ لا يَقْبَلُهُ) بل يرُدُّه على وجه المشرك ويعذبه. **(والقَلْبُ المُشْتَرَكُ لا يُقْبِلُ عَليهِ)** ولا يتجلى بجماله وجلاله عليه، ولا يلتفت إليه، بل يجعل صاحبه أحقر الأشياء لديه لإعراضه عن ربه في حضرته وتضييعه محل معرفته. وعدم الإقبال عند أهل الكمال أشد عقوبة من عدم القبول.



(أنْوارٌ) واردة من غفور **(أُذِنَ لَها في الوُصولِ)** إلى قلب السالك إلى المالك يشاهدها ويشتاق إلى مرسلها، ولم يؤذن لها أن تدخل إلى قلبه لعدم قابليتها لدخوله بعد.

(وَأنْوارٌ أُذِنَ لَها في الدُّخولِ) في قلبه لتأهله لذلك، فتدخله وتنوره وتضيء له الطريق الذي يسلكه وتوصله إلى مقصوده.



(رُبَّما وَرَدَتْ عَلَيْكَ الأنْوارُ) النازلة من الغفار **(فَوَجَدَت القَلْبَ)** الذي هو محل دخولها **(مَحْشُوّاً)** مملوئاً **(بِصُوَرِ الآثارِ)** الشاغلة للقلب بالأكدار **(فَارْتَحَلَتْ مِنْ حَيْثَ نَزَلَتْ)** لوجدانها موضع نزولها مشغولاً بأضدادها، فالويل كل الويل لمن ترد عليه هدايا سيده فترجع لعدم أهليته لها.



(فَرِّغْ قَلْبَكَ) الذي هو مقر الأنوار **(مِنَ الأَغْيارِ)** الموجبة للأكدار، وذلك أن تجتهد في إزالتها حتى تنقلب عندك دلائل على خالقها وشواهد على مالكها، **(تَمْلأهُ بِالمَعارِفِ)** الربانية **(والأسْرارِ)** الإلٰهية؛ لأنّ الأغيار والأسرار ضدان لا يجتمعان، فمن أراد تحصيل الأسرار مع تلطخه بأكدار الأغيار فهو من الأغمار.



(لا تَسْتَبْطِئْ مِنْه النَّوالَ) العطاء، فإنه ينزّله بحكمته في الوقت الذي يختاره، **(وَلكِنِ اسْتَبْطِئْ مِنْ نَفْسِكَ)** الهائمة في أودية الآثار **(وُجودَ الإقْبالِ)** على ذي الجود والإفضال، فإذا أقبَلْتَ إليه وتوجَّهْتَ إليه قابَلَك بالنوال، وزادك ما لم يكن في الخيال.

❖ ❖ ❖

(حُقوقٌ في الأوْقاتِ) كالصلوات والصيام **(يُمْكِنُ قَضاؤها)** في غير أوقاتها، وقد وسّع الكريم على الضعفاء بتداركها في غير أوقاتها.

(وَحُقوقُ الأوْقاتِ) المطلوبة لأجلها **(لا يُمْكِنُ قَضاؤها)** لعدم وجود ما تُقْضَى فيه؛ **(إذْ مَا مِنْ وَقْتٍ)** من الأوقات **(يَرِدُ)** بعد مُضِيِّ ما قبله **(إلا ولله)** المنعم على خلقه في كل آنٍ **(عَلَيْكَ فيهِ حَقٌّ جَديدٌ وَأَمْرٌ أكيدٌ)** تقوم به شكراً للمولى، وذلك أنّ إبقاء الله تعالى عبده في الوجود وحفظه من الآفات في كل آن نعمة جديدة تتجدد بتجدد الوقت ينبغي شكرها، **(فَكَيْفَ تَقْضي فيهِ حَقَّ غَيْرِهِ)** إذ ليس فيه زيادة عن حقه **(وَأنْتَ لَمْ تَقْضِ حَقَّ اللهِ فيهِ؟!)** ألا يرى هل يسع الإناء بعد امتلائه من جنس ما مُلِئ به؟!.

❖ ❖ ❖

(ما فاتَكَ مِنْ عُمُركَ) في غير ما يُوجِبُ قُرْبَك من ربِّك **(لا عِوَضَ لَهُ)** فيما بعد؛ إذ الفائت لا يرجع.

(وَما حَصَلَ لكَ مِنْهُ) بأن تقربت فيه إلى مولاك **(لا قيمَةَ لَهُ)** فإنك تحصل بذلك من الكرامات الدنيوية والأخروية ما لا قيمة لها، ألا ترى إلى الجنة التي هي جزاء الطاعات ومحلّ ملاقاة خالق الموجودات لا قيمة لها لعلو شأنها، قَدْرُ شِبْرٍ منها خَيْرٌ من الدنيا وما فيها.

❖ ❖ ❖

(ما أحْبَبْتَ شَيئاً) لا يُحِبُّ اللهُ أن تحبه **(إلا كُنْتَ لَهُ عَبْداً)** لأن المحب عبدٌ لمن يحبه، مطيع له فيما يأمره وينهاه، ويتقرب إليه بما يهواه.

(وَهُوَ لا يُحِبُّ) لغيرَتِه لانفراده بالكمال والإفضال **(أنْ تَكونَ لِغَيْرِهِ**

عَبْداً) وذلك يُرْدِيك، فلا تكن عبداً إلا لمولاك لعله يُدنِيك ويُسعِدُك بما يعطيك.



(لا تَنْفَعُهُ طاعَتُكَ) ولو بلغت أيّ مبلغ، وهو أجل من ذلك، **(وَلا تَضُرُّهُ مَعْصِيَتُكَ)** ولو وصلت النهاية، وهو أكبر من ذلك، فلا تظنن أنه أمرك بطاعته لينتفع بها، أو نهاك عن المعصية لئلا يتضرر بها.

(وإنَّما أمَرَكَ بِهذِهِ) الطاعة **(وَنَهاكَ عَنْ هذِهِ)** المعصية **(لِما يَعودُ عَلَيْكَ)** من الانتفاع بطاعتك والتخلص من ضرر معصيتك، فإن أحسنت أحسنت لنفسك، وإن أسأت فلها.

إن الكريم ربما لا يريد ظهور المنّ عليك فيأمرك بالطاعة التي يوجدها فيك، ويجعلها سبباً لإكرامه لك، والقهار لا يرضى أن ينسب إليه الجاهلُ الظلمَ إذا عامل بمقتضى عَدْلِه، فينهاك عن شيء، فإن سبقت لك السعادة عصمك عنه وعن وبالِه، وربما أثابك على تَرْكِه إذا تركته له، فإن لم تَسْبِق ابتُلِيت بالعصيان، وأُدخِلْت به في النيران، ولم يبق لك قول في الرحمٰن، فإنه إنما عذبك بذنبك.



(لا يَزيدُ في عِزِّهِ إقْبالُ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ) لأن عِزَّهُ ذاتِيٌّ عظيم لا يقبل الزيادة ولا النقصان، فمن أقبل فإنما ينفع نفسه.

(وَلا يَنْقُصُ مِنْ عِزِّهِ إدْبارُ مَنْ أدْبَرَ عنه) من خَلْقِه، فلو كانت الكوائن كلها مُدبِرَةً عنه تُنقِص من عِزِّه شيئاً، تعالى الله عن ذلك.

والحاصل أن عِزَّهُ ذاتِيٌّ لا يقبل الزيادة عند إقبال المقبلين، ولا النقصان عند إدبار المدبرين، فالسعيد من أسعده ذو الجمال بالإقبال، وقليل الحظ من ابتلاه مولاه بالإدبار.



(وُصولُكَ إلى اللهِ) تعالى الذي ليس كمثله شيء **(وُصولُكَ إلى العِلْمِ**

بِهِ) بأن تعلمه واحداً في ذاته وصفاته وأفعاله، كاملاً في كمالاته، متقدساً عن ما لا يليق به، وتعرفه على قدر قابليتك لعرفانه، وتتيقن أنه أقرب إليك منك.

(**وإلّا فَجَلَّ رَبُّنا أنْ يَتَّصِلَ بِهِ شَيْءٌ**) كما تتصل الأجرام بعضها ببعض، (**أوْ يَتَّصِلَ هَوَ بِشَيْءٍ**) لتقدُّسِه عن ذلك، فليس القُرْبُ إليه والوصول لديه كقُرْبِ الإجسام، بل هو قُرْبٌ معنوي يشاهِدُه أولوا الأحلام.



(**قُرْبُكَ مِنْهُ**)يا أيها العبد (**أنْ تَكونَ مُشاهِداً لِقُرْبِهِ**) من خَلْقِه، فإنه أقرب إليهم من أنفسهم قرباً يليق بعلوه، (**وَإلّا فَمِنْ أيْنَ أنْتَ**) يا أيها الحادث المشتمل على الأجرام والأعراض (**وَوُجودُ قُرْبِهِ؟!**) وهو ليس بجسم ولا جوهر ولا عَرَضٍ، بل هو إلٰهٌ مقدَّسٌ عن سِمَاتِ أهل الزوال، متصِفٌ بصفات العلو والكمال.



(**الحَقائِقُ**) الواردة من الحق على قلوب أحبابه (**تَرِدُ في حالِ التَّجَلّي**) الإلٰهي على قلب عبده (**مُجْمَلَةً**) لا تُعرَف تفاصيلَها وقتَ ورودها، (**وَبَعْدَ الوَعيِ**) والتحقق (**يَكونَ البَيانُ**) عنها بعبارات تطابقها، قال الله تعالى لحبيبه محمد ﷺ: (﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾) أي: القرآن بواسطة جبريل عليه السلام (﴿... فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [المائدة: ١٨ ـ ١٩]) بلسانك لتخبر به أمتك.

ومحل الشاهد أنه جعل البيان عن الموحى بعد الوحي، كذلك يكون البيان عن الحقائق بعد الوعي، والله أعلم.



(**مَتى وَرَدَتِ الوارِداتُ الإلٰهيَّةُ**) الهادمة لما صادفته (**إلَيْكَ هَدَمَتِ العَوائِدَ**) التي كنت تعتادها على مقتضى هوى نفسك بالكلية (**عَلَيْكَ**) قال الله: (﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾) ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤].

ألا ترى أنّ الأنبياء عليهم السلام والأولياء الكُمَّل عُدِمَت عوائدهم لوارداتهم،

وصاروا في أمورهم كلها لربهم؟! فلا تذهب عن الإنسان عوائد البشرية والأنانية إلا بورود واردات الربانية.



(**الواردُ يَرِدُ**) على قلوب أهل الله تعالى (**مِنْ حَضْرَةِ قَهّارٍ**) أي: هو مظهر من مظاهر هذا الاسم الجليل، (**لأجْلِ ذلِكَ لا يُصادِمُهُ شيءٌ**) من عوائد البشرية (**إلّا دَمَغَهُ**) كسر دماغه وأذهبه بالكلية، وأنّى للعوائد أن تبقى عند الوارد؟!

قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]) مضمحل، فكما أنّ الباطل الذي هو الكفر والعصيان تضمحل حُجَجه عند ورود حُجَج الله ورسوله ﷺ، كذلك العوائد تضمحل عند الوارد من القهار.



(**كَيْفَ يَحْتَجِبُ الحَقُّ بِشَيْءٍ**) من موجوداته (**وَالَّذي**) يزعم أن (**يُحْتَجَبُ بِهِ هُوَ فيهِ ظاهِرٌ**) بإظهار صفاته فيه؟! وهو دليل عليه، فكيف يحجب الدليل المدلول؟!

(**وَمَوجودٌ حاضِرٌ**) أقرب إلى الخلق من أنفسهم، وإنما لا يشاهده عمش البصائر، لا لاحتجابه، بل لضعفها.



(**لا تَيأسْ**) يا أيها العبد الذي لا تعلم ما يعلم الحكيم (**مِنْ قَبولِ عَمَلٍ**) عند ذي الفضل (**لَمْ تَجِدْ فيهِ وُجودَ الحُضورِ**) الذي جُعِل علامةً لقبوله وفائدة جليلة من فوائده.

(**فَرُبَّما قَبِلَ**) الكريمُ العالِمُ بحال عبده المسكين (**مِنَ العَمَلِ ما لَمْ تُدْرِكْ ثَمَرتَهُ عاجِلاً**) كالحضور الذي هو من أجل ثمراته العاجلة.



(لا تُزَكّيَنَّ وارِداً لا تعلَمُ ثَمَرَتَهُ، فَلَيْسَ المُرادُ مِنَ السَّحابَةِ) التي ينزل عنها الغيث **(الإمْطار)** لأنه ليس بمقصود لذاته وإن كان لا يخلو عن فائدة، **(وإنَّما المُرادُ)** المقصود الأعظم **(مِنْها وُجودُ الأثمارِ)** الحاصلة من الأرض بعد الإمطار، فكذلك ليس المقصود الأهم من العمل وجود الحضور، وإنما المطلوب الأعظم منه تحصيل رضا الشكور والدخول في دار النور والفوز بلقاء الغفور.



(لا تَطْلُبَنَّ بَقاءَ الوارِداتِ) التي تبسط أنوار موردها على أهلها **(بَعْدَ أنْ بسطَتْ أنْوارَها)** في مظاهرها **(وَأَوْدَعَت أسْرارَها)** في مواضعها، ومن جملة حِكَم عدم بقائها أنّ بقاءها بعد حصول نتائجها ربما لا يناسب على من وردت عليه، ألا ترى أنّ الشمس لو كانت باقية في أفق السماء ولم تغرب لاختل حالُ ما طلعت عليه؟! إذ لا يتم الانتفاع بها إلا بطلوعها وغروبها، وطلب بقائها بعد حصول فوائدها نوع تعبّد لها.

(فَلَكَ في اللهِ) الذي هو أقرب إليك **(غِنىً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ)** فلو لم يكن وارِدٌ لأغْنَى عن ذلك، **(وَلَيْسَ يُغْنيكَ عَنْهُ شَيْءٌ)** فلو لم يكن لك قرب إليه لما أغنى عن ذلك الوارد.



(تَطَلُّعُكَ إلى بَقاءِ غَيْرِه) الذي من جملته الوارد **(دَليلٌ عَلى عَدَمِ وَجْدانِكَ لَهُ)** إذ هو المطلوب، وما سواه يُطلَب لأجل القرب إليه، ومنْ شاهد المدلول لا يحتاج إلى الدليل، فلذلك من وجد ربّه لم يطمع في غيره، ومن طمع في غيره ـ ولو كان من دلائله ـ فهو غير واجِد له؛ إذ لو وجَده لاستغنى به عنه.

(وَاسْتيحاشُكَ بفُقْدانِ ما سواهُ) من الأولاد والأزواج والإخوان والآباء والأمهات والأصحاب والأموال وما تهواه النفس **(دَليلٌ عَلى عَدَمِ وصْلَتِكَ بِهِ)** لأنّ من وصل إليه لا يستوحش بفقدان غيره، إذ وصلته تغنيه عن ما سواه.

ألا يرى أنّ من وصل إلى من يعشقه ويحبه ويهواه لا يستوحش بفقدان ما خلاه؟! بل لا يحس ما عداه ما دام هو في صحبته ونجواه.



(**النَّعيمُ**) الذي في الجنة (**وإنْ تَنَوَّعَتْ مَظاهِرُهُ**) من مناكح وملابس ومشارب وغيرها (**إنَّما هُوَ**) أي: التنعم والتلذذ به (**بِشُهودِهِ**) حيث يشاهده أهل الجنة في جناتهم، وذلك ألذّ لذّاتهم وأعلى محبوباتهم، (**وَاقْتِرابِهِ**) من أهل ثوابه، وهذا أعظم نعيم عندهم.

(**وَالعَذابُ وَإنْ تَنَوَّعَتْ مَظاهِرُهُ**) في الجحيم من نار أو زمهرير وحيّات وعقارب وغسلين وضريع وزقوم وغيرها (**إنَّما هُوَ**) التعذب به (**لِوجودِ حِجابِهِ**) عنهم، وذلك أشد عذاب في حقهم.

(**فَسَبَبُ العَذابِ**) لأهل العقاب (**وُجودُ الحِجابِ**) عن مشاهدة الوهاب، (**وإتْمامُ النَّعيمِ**) الأخروي (**بِالنَّظَرِ إلىٰ وَجْهِ اللهِ الكَريمِ**) وما سواه بالنسبة إليه كأنه ليس بشيء وإن كان هو مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.



(**ما تَجِدُهُ القُلوبُ**) التي ليس لها دوام شهود الرحمٰن (**مِنَ الهُمومِ**) مما يتوقع (**وَالأحْزانِ**) على ما فات (**فلِأَجْلِ ما مُنِعَتْ مِنْ وُجودِ العَيانِ**) للمنان، فإنها لو عاينته لسلاها شهوده عن همومها وأحزانها لتلذُّذِها بكمال جماله، ولعِلْمِها أن ما يوجب الهموم والأحزان صادر منه على وجه عدله وجلاله.



(**مِنْ تَمامِ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ**) في أمر المعاش والدين (**أنْ يَرْزُقَكَ ما يَكْفيكَ**) من الأقوات الجسمانية والروحانية، (**وَيَمْنَعَكَ ما يُطْغيكَ**) من العطيات الظاهرية والباطنية؛ لأنّ عند مَنْعِ ما يكفي يُخَافُ القلق والاضطراب والطمع في المخلوق والفقرُ الذي يُخَافُ منه الكفر، وعند إعطاء المطغي هلاكُ الأولى والعقبى.



(**لِيَقِلَّ ما تَفْرَحُ بِهِ**) من الأمور التي لا تقرِّبُك إلى مولاك، (**يَقِلّ ما تَحْزَنُ عَلَيْهِ**) لأنّ الحزن على قدر فوات المحبوب الذي يُفرَح به على قدر الفرحة به، فمن كان ما يفرح به قليلاً كان ما يحزن على فواته قليلاً.

أي: لا تحب ما لا يقربك إلى ربك لئلا تبتلى بالأحزان عند الفقدان. ألا ترى من يفقد درهماً فهَمُّه وحزنه على قدره، ومن يفقد ألفاً منه همُّهُ على قدره؟! ولذا يقال: الهَمُّ على قدر الدرهم.



(**إنْ أرَدْتَ أنْ لا تُعْزَلَ**) عن ولايتك (**فَلا تَتَولَّيَنَّ**) فلا تقبلن (**ولايَةً لا تَدومُ**) بل عن قريب تذهب، وهي ولاية الدنيا، فإنها قلّ ما تدوم، بل تصبح عند قوم وتمسي عن آخرين، وتغر بإقبالها قوماً وتخزي بإدبارها آخرين، فما أخسها وأحقرها.

واقبلنَّ ولاية الله التي قل ما يُعزَل صاحبها عنها، بل هي عز الدارين له. ألا ترى أن ولايات أهل الدنيا تتلاشى عند عزلهم أو موتهم، وولايات أهل الله تبقى بعد موتهم؟! ما كان من الله يدوم.



(**إنْ رَغَّبَتْكَ**) في الأمور التي لا تقرِّبُك إلى الله (**البِداياتُ**) التي لا تنكشف عندها حقائق الأمور كما ينبغي انكشافها، فترغِّب فيها في ما لا ينبغي الرغبة فيه، كطمعك في ولاية لا تدوم لقصور كَشْفِك وهِمَّتك، (**زَهَّدَتْكَ**) في ما لا يقربك إلى سيدك (**النِهاياتُ**) التي تتضح عندها حقائقها على ما هي عليه، ويعرف فيها الواصلون قدر معروفهم، فلا ترغبن فيها إلا في ما يدنيك إلى الله تعالى، ولا تطمع إلا في ولاية تدوم.

(**إذا دَعاكَ إلَيْها**) إلى ولاية لا تدوم (**ظاهِرٌ**) لأنّ ظواهرها تخدع الناس وتجذبهم إليها وتوقعهم في التهالك عليها، (**نَهاكَ عَنْها باطِنٌ**) إذ بواطنها تنادي إنما هي فتنة فلا تقربها. لو علمت باطنها لما أحببت أن تكون لك بلا شيء، بل فررت منها فرارك من الأسد لقبحها وعدم وفائها.

(إنَّما جَعَلَها) أي: ولاية الدنيا، أو الدنيا، **(مَحَلاًّ للأَغْيارِ)** الحاجبة عن الأسرار، **(وَمَعْدِناً لِوُجودِ الأكْدارِ)** المانعة عن الأنوار، قل ما يفارقانها، **(تَزهيداً لَكَ فيها)** أراك قبحها بأغيارها وخستها بأكدارها لئلا ترغب فيها، وأراك معايبها لئلا تطمع في مناصبها، وهي أحقر من أن يرغب فيها العاقل، ولذا روي عن أعرف الخلق ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له»[1].



(عَلِمَ) في عِلْمِه القديم **(أنَّكَ لا تَقْبَلُ النُّصْحَ المُجَرَّدَ)** في تزهيدِهِ إياك عنها وعن ولايتها؛ لأنك مجبول على حُبِّها، **(فَذَوَّقَكَ مِنْ ذَواقِها)** المرة ودواهيها الشديدة وبلاياها العدية **(ما يُسَهِّلُ عَلَيْكَ وُجودَ فِراقِها)** لعِلْمِك بحقيقتها وخستها وذلتها وعدم وفائها وكثرة بلائها ولأوائها، فلا يثقل عليك فراقها، بل يستوي عندك إقبالها وإدبارها، بل تكره إقبالها وتحب إدبارها.

هذا، وأمّا العاشقون لها فلا يزهدون فيها ولو ذاقوا من بلاياها ما هو كالموت، بل يزدادون شوقاً إليها عند كثرة بلاياها.



(العِلْمُ النّافِعُ) الذي ينفع صاحبه في عقباه وأولاه، ويقربه إلى مولاه: **(هَوَ الَّذِي يَنبَسِطُ في الصَّدْرِ)** الذي هو وعاء القلب **(شُعاعُهُ)** فيزيل ظلمات الجهل وشهوات النفس عنه، **(ويكَشَفُ عَنِ القَلْبِ)** الذي هو محل نزول الأنوار ومنبع الأسرار **(قِناعهُ)** الذي حجَبه عن شهود الحقائق وفَهْمِ الدقائق، فيرى الأمور على ما هي عليه ويتوصل به إلى الله تعالى.



(خَيرُ عِلْمٍ ما كانتِ الخَشيَةُ) من الله **(مَعَهُ)** لأنّ من أورثه عِلْمُه بالله خشيَته سعى في ما يرضي ربه، وتبعّد عن ما يكرهه، وتحصل له بسبب ذلك

(١) رواه أحمد في «المسند» والبيهقي في «شعب الإيمان».

أمدادات إلهية تُخرِجُه عن قَعْرِ الفراق إلى مشاهدة الخلّاق، وعن مصاحبة الأغيار إلى مصاحبة الأسرار، ومن ملاحظة الآثار إلى ملاحظة العزيز الغفار، ومن النار إلى دار القرار.



(العِلْمُ إنْ قارَنَتْهُ الخَشْيَةُ) من عظمة الله ونقمته، مع العمل على مقتضاه **(فَلَكَ)** فهو عِلْمٌ نافع لك في الدارين، **(وَإلّا)** وإن لم تقارنه **(فَعَلَيْكَ)** حيث تزداد به عقوبةُ ذنبك، وحسرتُك على ما فاتك، ولومُك نفسك على حرمان فائدَةِ ما هو أعظم سببٍ في الوصول إلى أجلّ المأمول، بل لست عالماً في الحقيقة، بل أنت جاهل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨].



(مَتى آلَمَكَ) أوقعك في الألم **(عَدَمُ إقْبالِ النّاسِ)** الذين إقبالهم من أعز مطلوبات أرباب النفوس الأمّارة بالسوء **(عَلَيْكَ، أوْ)** آلمك **(تَوَجُّهُهُمْ بِالذَّمِّ إلَيْكَ)** وذمُّهم من أشد الأشياء إيلاماً في القلوب الفارغة عن معرفة علام الغيوب، **(فَارْجِعْ إلى عِلْمِ اللهِ فيكَ)**؛ فإن كنت في عمله سعيداً أو كريماً فلا يضرك عدم إقبال الناس إليك وذمهم إياك، فإنهم لا عبرة بإقبالهم وذمهم. ألا يرى لو قال أحد لِدُرٍّ إنه مدَرٌ لا يصير مدراً بمجرد قوله؟! وإن كنت في عِلْمِه شقيّاً أو لئيماً فلم ينفعك إقبالُ الناس ولا مدحهم؛ لعدم الاعتبار بما يتفوهون به. ألا يرى هل يصير الحجَرُ دُرّاً بمجرد قول القائل إنه درٌّ؟!

(فَإنْ كانَ لا يُقْنِعُكَ عِلْمُهُ) ولا تعتمد عليه **(فَمُصيبَتُكَ بِعَدَمِ قَناعَتِكَ بِعِلْمِهِ)** الذي عليه المدار كله **(أشَدُّ مِنْ مُصيبَتِكَ بِوُجودِ الأذى مِنْهُمْ)** لأن الأول مصيبة في الدين، والثاني في أمر الدنيا، ومصيبة الدين في الواقع أشد من مصيبة الدنيا.



(إنَّما أجْرى الأذَى عَلى أيْديهِمْ لِئَلا تَكونَ ساكِناً إلَيْهِمْ) وركونك إليهم

مُضِرٌّ في أمر الدين. ولله تعالى إذا سلط عباده بالأذى حِكَم، منها هذا الذي ذكره المصنف وهو أن لا يركن إليهم لأنهم إذا أقبلوا إليه ربما استعبدوه فجعلوه عبداً لإقبالهم، والله لا يرضى أن يكون عبداً لغيره. ومنها أنه ربما عصى ربه فسلط عليه خلقه بالأذى جزاءً له. ومنها أن في ذلك إهانة وإذلالاً للنفس الخبيثة التي لا تطاوع في طريق الحق إلا بعد إذلالها.

(أرادَ أنْ يُزْعِجَكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ) لتسليطه على أذاك **(حَتى لا يَشْغَلَكَ عَنْهُ)** عن القرب **(شَيْءٌ)** إذ لو أقبلوا إليك بالإكرام لجعلوك عبداً لإكرامهم وقطعوك عن كونك خالصاً لربك، بخلاف إذا أقبلوا عليك بالأذى وأدبروا عنك فإنهم يخرجون عبوديتك لهم عن قلبك، فترجع إلى مولاك وتصير خالصاً له.



(إذا عَلِمْتَ أنَّ الشَّيْطانَ) الذي جعل الله بينه وبين الإنسان عداوة ذاتية يجري منه مجرى الدم، ومسلط على قلبه يوسوسه بالسوء، **(لا يَغْفُلُ عَنْكَ)** ولا يقصر في آنٍ من الأوان في إضلالك وإغوائك وجَعْلِك من أهل النيران.

(فَلا تَغْفُلْ أنْتَ عَمَّنْ ناصِيَتُكَ بِيَدِهِ) وهو الله لأنك في قبضة قدرته يتصرف فيك كيف يشاء بإرادته، ولا يقدر عليك الشيطان إلا بمشيئته، ولا يُطرَد عنك إلا بإعانته، فارجِع إليه، وعوِّل في طَرْدِه عنك عليه.



(جَعلَهُ لَكَ عَدُوّاً) مُبيناً يسعى في إهلاكك **(لِيَحُوشَكَ)** ـ من حاش الصيد: إذا جاءه من حواليه ـ **(بِهِ عنه)** فتفر منه إليه، فإنه الحافظ، وإليه الأمر، وهو المسلط، وهو الهادي والمضل، والشيطان أحقر من أن يكون منه شيء بغير إرادته.

(وَحَرَّكَ عَلَيْكَ النَّفْسَ) الأمّارة بالسوء **(لِيَدومَ إقْبالُكَ عَلَيْهِ)** لأنها لا تخلو في آنٍ من الأوان من نزعها إلى العصيان والطغيان وأفعال أهل النيران، وأنت إذا علمت أنّ الذي ابتلاني بها هو الذي يعصمني من شرها تُقبِل إليه في

كل زمن من الأزمان ليحفظك من شرها، وبهذا يدوم إقبالك إلى مولاك.



(**مَنْ أثْبَتَ لِنَفْسِهِ**) التي تتكبر بما يثبت لها من موجبات رفعتها عندها (**تَواضُعاً فَهُوَ المُتَكَبِّرُ حَقّاً**) لأنه إذا أثبت لها صفة التواضع ـ وهي من أجلّ ما يتشرف به ـ أثبت لها ما يكبرها، ومن أثبت لنفسه ما يكبرها فهو المتكبر.

فتواضع حتى ترى نفسك أذل الأشياء، ومع ذلك لا تثبت لها التواضع؛ إذ تواضعها لا يتم إلا بعدم إثبات التواضع لها؛ (**إذْ لَيْسَ التَّواضُعُ**) في الحقيقة (**إلّا عَنْ رِفْعَةٍ**) وإثبات التواضع رِفعَةٌ، وإثباتُ الرفعة تكبُّرٌ. (**فَمَتى أثْبَتَّ لِنَفْسِكَ تَواضُعاً فَأنْتَ المُتَكَبِّرُ حَقّاً**)؛ إذ تكبَّرْتَ في نفسك بتواضعك.



(**لَيْسَ المُتَواضِعُ الَّذي إذا تَواضَعَ رَأى أنَّهُ فَوْقَ ما صَنَعَ**) أي: أنّ مرتبته أعلى مما فعل من التواضع، ولكن كسر نفسه به، إذ ليس مرتبة الإنسان فوق ما يصنعه من التواضع.

(**وَلكِنَّ المُتَواضِعَ الَّذي إذا تَواضَعَ**) لله (**رَأض أنَّهُ دُونَ ما صَنَعَ**) من التواضع، وكان ينبغي له من التواضع أكثر مما فعل.

والحاصل أنه لا ينبغي له أن يكون بتواضعه مفتخراً، بل ينبغي له أن يرى نفسه في تواضعه مقصِّراً.



(**التَّواضُعُ الحَقِيقيُّ**) الذي يتلاشى معه التكبر والأنانية وإثبات التواضع (**هُوَ ما كانَ ناشِئاً عَنْ شُهودِ عَظَمَتِهِ**) العلية (**وَتَجَلّي صِفَتِهِ**) الجلية لأن من شاهد عظمته وتجلى عليه بصفته يرى نفسه أوضع الأشياء وأحقرها، بل لا يرى نفسه شيئاً.

ألا يُرَى لو قوبل قطرة من البحار أين تكون القطرة في جنبها؟! بل وجودها بالنسبة إليها كعدمها. فكذلك إذا قوبل بين عظمة العظيم وعظمة غيره

الذي أعطاه إياها كأنها ليست بشيء في جنب عظمة الله وكبريائه. ولذا كل من كان بالله أعرف فهو أشد تواضعاً له.

ألا ترى إلى سيد الخلق محمد ﷺ كان أشد الخَلْقِ تواضعاً، مع كونه فرداً في الفضل؟! وكل من كان به أجهل فهو أشد تكبراً. ألا ترى إلى فرعون ادّعى الربوبية لنهاية جهله بربه؟!.



(**لا يُخْرِجُكَ عَنِ الوَصْفِ**) الذي تُثبِتُه لنفسك من أوصاف الكمال (**إلا شُهودُ الوَصْفِ**) لله تعالى، فشهودك عظمتَه يخرجك عن عظمتك، وشهودك قدرتَه يخرجك عن قدرتك، وشهودك عِلْمَه يخرجك عن علمك، وهكذا في باقي الأوصاف. ألا يرى أنّ الثعلب لا يعرف قصورَه إلا إذا رأى كمال الأسد وظهورَه؟!



(**المُؤْمِنُ**) الذي نوّر الإيمن قلبه وعرف مقصوده (**يشْغلهُ الثَّناءُ عَلى اللهِ**) تعالى الذي لا يقدر أحد على إحصاء ثنائه فضلاً عن أدائه، (**أنْ يَكونَ لِنَفْسِهِ شاكِراً**) من حيث إنها نفسه، أمّا لو شكرها من حيث إنها خلقه ربّه فهو من كمال الإيمان، وذلك أنه لا يجد وقتاً يفرغ فيه عن ثناء الله تعالى لشكر نفسه؛ إذ استحقاقه تعالى للثناء مستغرق لجميع الأزمان. فإذا رأيت من يشكر نفسه من حيث إنها نفسه فاعلم أنه بطال عن ثناء الله تعالى.

(**وَتشْغَلُه حُقوقُ اللهِ**) الموظفة والمتجددة (**عَنْ أنْ يَكونَ لِحُظوظِهِ ذاكِراً**) إذ ما من آن من الأوان إلا ولله تعالى حَقٌّ جديد على الإنسان بالنِّعم التي يجددها عليه في الأزمان، وينبغي له شكر كل نعمة، فمتى يفرغ عن ذكر نِعَم الله وشكرها حتى يذكر حظوظ نفسه من حيث إنها حظوظها؟!

أمّا من حيث إنها خَلْقٌ من مخلوقات الله، ولها حقوق على الإنسان، وإعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه امتثالاً لله تعالى مطلوب، فذِكْرُ حظوظها وإعطائها إياها لله بالوجه الذي يرضاه من جملة أداء حقوق الله تعالى.

(**لَيْسَ المُحِبُّ**) الصادق في حبه (**الَّذي يَرْجو مِنْ مَحْبوبِهِ عِوَضاً**) يبادله به، فمن بادله فهو كاذب في دعوى الحب، (**أَوْ يَطْلُبُ مِنهُ**) على خدمته إياه (**غَرَضاً**) إذ خدمته لحبه إيّاه، لا لغرض آخر، فمن طلب من محبوبه غرضاً من حيث إنه غرَضٌ في نفسه، لا من حيث إنه هدية محبوبه يتقرب بها إليه، فهو مُدَّعٍ في حبه وليس بصادق؛ إذ ليس للمحب الصادق غرَضٌ غير محبوبه؛ (**فَإِنَّ المُحِبَّ مَنْ يَبْذُلُ**) مالَه وجسَدَه، بل روحَه لحبيبه، (**لَيْسَ مَنْ يُبْذَلُ لَهُ**) بل عند الهجرن يزداد تقرباً إلى حبيبه بأي وجه أمكن، يرى إذلاله إياه إكراماً، وتحقيرَه إياهُ إعزازاً، ويرى عطاءه هدية، وحرمانه نعمة.



(**لَوْلا مَيادينُ النُّفوسِ**) الهائمة في فيافي شهواتها وأقفار هفواتها وأودية لذاتها، حتى صار بينها وبين الوصول إلى ربها مفاوِزَ لا تُقطَع إلا بشق الأنفس (**ما تَحَقَّقَ سَيْرُ السّائِرينَ**) إلى ربِّ العالمين؛ إذ لو لم يتباعدوا بشؤم نفوسهم لوجدوه أقرب شيء إليهم، لكن لمّا تباعدوا بشؤمها احتاجوا إلى قطع المفاوز الكائنة بينهم وبينه.

وإيضاح هذا المقام أن الباري خلق الإنسان وجعل فيه قلباً مستعدّاً لمعرفته والتقرب إليه، وجعل فيه نفساً مائلة إلى ما يُردِيها، مستعدة للجهل به والبعد منه، حاجبة للقلب عن ما هو مستعد له، والسالِك لا يخلو إمّا أن تكون نفسه لم تتلطخ بعدُ بكدورات ما تهواه، أو تلطخت به، فإن كان الأول فلا بد من قَطْعِ استعداد النفس للجهل والبعد عن الله، وقَهْرِها حتى تصير مستعدة للعلم بالله والتقرب إليه، وتطاوع القلب فيما هو مستعد له من المعرفة والتقرب، فإذا توجه القلبُ بعد إذعانها له إلى الله تعالى وَجَده أقرب إليه من نفسه.

وإن كان الثاني فلا بد له من إزالة كدوراتها وجعلها منقادة للقلب، وهذا هو السَّيْرُ إلى الله، وليس هو قطع المسافة؛ (**إِذْ لا مَسافَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَطْوِيَها رِحْلَتُكَ**) إليه؛ إذ لا يكون ذلك إلا بين الأجرام، والله ليس بجرم ولا

جوهر ولا عَرَضٍ، بل هو القدُّوس الأقرب إلى عباده قرباً يليق به.

(وَلا قَطيعَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ) في الواقع **(حتى تَمْحُوَها وَصْلَتُكَ)** وإنما خَلَقَ نَفْسَك غير قابلة لمشاهدته حتى تخرج عن نقصانها وتُجعَل قابلة لمشاهدته، فقَطْعُك مفاوِزَ نَفْسِك هو سَيْرُكَ إلى ربك، فإذا قَطَعْتَ وَصَلْتَ.

ألا يرى أنه إذا قوبل شيء لمرآة متكدرة لا يُرَى فيها، لا لأنه بعيد، بل لأنها ليست قابلة لظهوره؟! ولو أزيل كدرها لرأي فيها.



(جَعَلَكَ) يا أيها الإنسان الذي أنت موضع خلافة الرحمٰن **(في العالَمِ المُتَوَسِّطِ بَينَ مُلْكِهِ)** وهو ما تحتك **(وَمَلَكوتِهِ)** وهو ما فوقك **(لِيُعْلِمَكَ جَلالَةَ قَدْرِكَ بَيْنَ مَخْلوقاتِهِ)** لأنّ أجلّ الأشياء يُجعَلُ في الأوساط، فالمُلْكُ مِهادُك، والمَلكُوت سَقْفُك، وأنت عروس المملكة بين ذلك.

(وَأَنَّكَ جَوْهَرَ) لا قيمة له لعلوّه، **(تَنْطَوي عَلَيْكَ أَصْدافُ مُكنوناتِهِ)** فالملك صدفك الأسفل، والملكوت صدفك الأعلى، وأنت بينهما الدر الأجلى والجوهر الأسنى، فاشكر مولاك على ما أولاك، وتقرّب إليه بما أعطاك، ولا تضيع استعدادك الذي حباك، ولا تخلع خلعة الكرامة بما يهوى هواك فيخزيك ويرديك.



(إنَّما وَسِعَكَ الكَونُ مِنْ حَيْثُ جُثْمانِيَّتُكَ)، بل جسمك شيء صغير يسعه أدنى شيء من الكون، **(وَلَمْ يَسَعْكَ مِنْ حَيْثُ ثُبوتُ رُوحانِيَّتكَ)** الجائلة في المعارف الربانية.



(الكائِنُ في الكَونِ) بجسدك في الأرض، وروحك عند الرب؛ **(وَلَمْ تُفْتَحْ لَهُ مَيادينُ الغُيوبِ)** الموصلة إلى العلام ما في القلوب: **(مَسْجونٌ بِمُحيطاتِهِ)** لا تتعدى فكرته إلى ما سواها، بل هائمة فيها، فيتكدّر بأكدارها ويتعذب بأقذارها، **(وَمَحْصورٌ في هَيْكَلِ ذاتِهِ)** لا يتجاوز إلى ما هو كامل في صفاته ليفوز بمشاهداته، هو كالأنعام بل أضل سبيلاً.

(**أَنْتَ مَعَ الأَكْوانِ**) مشغول بها تابع لها راغب فيها محجوب بها عن ربها (**ما لَمْ تَشْهَدِ المُكَوِّنَ**) الذي كوَّنها وجعلها دلائل الوصول إليه، (**فَإذا شَهِدْتَهُ كانَتِ الأَكْوانُ مَعَكَ**) تابعةً لك. من كان لله كانت الكوائن له معينة إياه إلى التقرب إليه تعالى، فانتقل منها إليه، ولا تحتجب بها عن ربها.



(**لا يَلْزَمُ مِنْ ثُبوتِ الخُصوصِيَّةِ**) التي يخص الله بها من يختاره من خلقه كالأنبياء ﷺ والأولياء (**عَدَمُ وَصْفِ البَشَرِيَّةِ**) عند ثبوتها، (**إنَّما مَثَلُ الخُصوصِيَّةِ كإشْراقِ شَمْسِ النَّهارِ ظَهَرَتْ في الأُفُقِ وَلَيْسَتْ**) هي جزء (**مِنْهُ**) بل هي شيء طارئ ينوِّرُه، ولا يلزم من ظهورها فيه انتفاؤه، بل هو باقٍ على كونه أفقاً، كذلك الخصوصية نورٌ إلٰهيٌّ يظهر في أفق بشرية من يشاء من خَلْقِه، فيُنَوَّر ويرى حقائق الأسرار، ويُقَرَّب من الغفار، ولا يلزم من حصولها انتفاءُ البشرية، بل هي باقية لا تُعدَم بظهور الخصوصية، ولكنها تنور وتذهب أكدارها.

(**تارَةً تُشْرِقُ شمسُ أوصَافِهِ**) العلية (**عَلى لَيْلِ وُجودِكَ**) فيصير منوّراً مضمَحِلاً في أنوارها. وإشراقُها عليه تجليه تعالى عليه بها.

(**وَتارَةً يُقْبِضُ ذلِكَ عَنْكَ فَيَرُدُّكَ إلى حُدودِكَ**) ألا يُرى أنّ ظلمة الليل تضمحل عند طلوع الشمس وتظهر عند غروبها؟! كذلك يضمحل الوجود عند طلوع أنوار أوصاف الله عليه ويظهر عند احتجابه عنها.

(**فَالنَّهارُ**) النورُ المذهب لظلماتك (**لَيْسَ مِنْكَ إلَيْكَ، وَلكِنَّهُ وارِدٌ**) من مولاك وَرَدَ (**عَلَيْكَ**) ليوصِلَك إليه.



(**دَلَّ بِوُجودِ آثارِهِ**) الدالة على مُظهرها (**عَلى وُجودِ أَسْمائِهِ**) وذلك أن المخلوق يدل على الخالق، والمرزوق يدل على الرازق، والمُحيَى على الحي وهلم جراً.

(**وبِوجودِ أَسْمائِهِ**) الدالة عليها آثارُهُ (**عَلى ثُبوتِ أوصَافِهِ**) التي اشتقت

منها الأسماء؛ إذ لا بد للفاعل أن يكون موصوفاً بالوصف الذي اشتق منه، كالضارب لا بد أن يكون موصوفاً بالضرب الذي اشتق منه؛ إذ لو لم يكن موصوفاً به لم يشتق منه، وهذا بديهي.

(**وَبِوُجُودِ أوْصافِهِ**) التي دلت عليها أسماؤه (**على وُجودِ ذاتِهِ**) التي قامت بها هذه الأوصاف التي اشتق منها الأسماء التي دلت عليها الآثار؛ (**إذْ مُحالٌ أنْ يَقومَ الوَصْفُ بِنَفْسِهِ**) إذ ليس من شأنه أن يقوم بنفسه، وإنما من شأنه أن يقوم بغيره.

(**فأرْبابُ الجَذْبِ**) الذين سُلِبُوا من عالَم الأغيار إلى حضرة الغفار، وخُطِفوا بغتة عن الآثار إلى الستار (**يَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ كَمالِ ذاتِهِ**) حين يجذبهم إليه، (**ثُمَّ يَرُدُّهُمْ إلى شُهودِ صِفاتِهِ**) القائمة بذاته، (**ثُمَّ يُرْجِعُهُمْ إلى التَّعَلُّقِ بأسْمائِهِ**) التي هي مأخوذة من صفاته، (**ثُمَّ يَرُدُّهُمْ إلى شُهودِ آثارِهِ**) التي دلّت على أسمائه، ومثلهم مثل من يغمض عيناه ويحضر عند شخص لم يره ولم يعلم بالتفصيل ما له، وقد يتيقن بوجوده قبل رؤيته، فلمّا رأى ذاته كشف له عن أوصافه وبيّن له أسماءه المأخوذة منها وأراه آثارها.

(**وَالسّالِكونَ عَلى عَكْسِ هذا**) فإنهم ينتقلون من الآثار إلى الأسماء، ومنها إلى الأوصاف، ومنها إلى الذات، (**فَنِهايَةُ السّالِكينَ بِدايَةُ المَجْذوبينَ، وَبِدايَةُ السّالكينَ نِهايَةُ المَجْذوبينَ؛ لكِنْ لا بِمَعْنًى واحِدٍ**) فإنّ المجذوبين في بدايتهم ونهايتهم واصلون إلى مقصودهم، بخلاف السالكين فإنهم في بدايتهم لم يصلوا بعد، وهم يطمعون.

(**فَرُبَّما التَقَيا في الطَّريقِ**) كأن يكون المجذوب رجع إلى التعلق بالأسماء بعد الوصول إلى الذات، والسالك ارتقى إلى التعلق بها بعد صعوده عن عقبة الآثار، (**هذا**) السالك (**في تَرَقّيهِ**) إلى مقصوده ولم يصل إليه، (**وهذا**) المجذوب (**في تَدَلّيهِ**) بعد وصوله إلى مأموله.

قيل: المجذوب أسرع وصولاً وسيراً، لكنه قلّما ينتفِعُ به غيرُه. والسالك أبطئ وصولاً وسَيْراً، لكنه أنفع وَلرسوخ قدَم السالكين في التحقيق يوضِّحُون الطريق إيضاحاً تامّاً ويرشدون إرشاداً جليّاً، ولسرعة سير المجذوبين لا يقدر

كثير منهم على إيضاحه كإيضاح السالكين الواصلين، ولا يرشدون إرشادهم، ولكن من يصل بهم يصل بسرعة.

❖ ❖ ❖

(لا يُعْلَمُ قَدْرُ أنْوارِ القُلوبِ والأسْرارِ إلّا في غَيْبِ المَلَكوتِ) لأنها تطلع عليه وتظهره، **(كَما لا تَظْهَرُ أنْوارُ السَّماءِ)** كالشمس والقمر والنجوم **(إلّا في شَهادَةِ المُلْكِ)** أي: بين السماء والأرض.

❖ ❖ ❖

(وُجْدانُ ثَمَراتِ الطّاعاتِ) كالحضور، والنشاط للعبادة، ونور القلب، والكف عن الآثام، وسعة الأرزاق، وثناء الناس **(عاجِلاً بَشائِرُ العامِلينَ)** يبشَّرُون **(بِوُجودِ الجَزاءِ عَلَيْها آجِلاً)** لأنّ البداية عنوان النهاية، يُفرِحُ الله بها قلوبَهم ويظهر لهم صِدْقَ ما يَعِدُهم.

❖ ❖ ❖

(كَيْفَ تَطْلُبُ) يا أيها الزاعم أنك تستحق لعملك عوضاً **(العِوَضَ عَلى عَمَلٍ هُوَ مُتَصَدِّقٌ بِهِ عَليكَ؟!)** إذ هو الذي أنشأك وقوّاك عليه وخلقه فيك بمجرد جُودِه عليك، فلا تطلب عوضاً لما لست له فاعلاً.

(أمْ كَيْفَ تَطْلُبُ الجَزاءَ عَلى صِدْقٍ) في معاملة الله تعالى **(هُوَ مَهْديهِ إلَيْكَ؟!)** لولا فَضْلُه عليك لما صدقتَ في معاملته، فاحْمَد مولاك على ما حباك، واطلب من كرمه وجُودِه خير الدارين، ولا تَرَيَنّ أنك بعملك تستحق حصول الثواب والنجاة من العقاب.

❖ ❖ ❖

(قَوْمٌ تَسْبِقُ أنْوارُهُمْ) التي تكشف لهم الأسرار **(أذْكارَهُمْ، وَقَوْمٌ تَسْبِقُ أذْكارُهُمْ أنْوارَهُمْ)**[1].

❖ ❖ ❖

(١) وَقَوْمٌ تَتَساوى أذْكارُهُمْ وَأنوارُهُمْ، وَقَوْمٌ لا أذْكارَ وَلا أنْوارَ. نَعوذُ بِاللهِ مِنْ ذلِكَ. (لم يشرح الشيخ السندي هذا النص).

(ذاكِرٌ ذَكَرَ) الله تعالى **(لِيَسْتَنيرَ قَلْبُهُ)** وذلك لأنّ للذِّكرِ نُوراً لا يظهر إلا في قلبٍ طاهر نظيف، فإذا كان متكدِّراً لا يزال الذِّكْرُ يذهب كدره شيئاً فشيئاً حتى يتنظف، فيظهر فيه نورهُ ويتصل نورُه بنور الشكور، ويصل العبد إلى الغفور.

(وَذاكِرٌ اسْتَنارَ قَلْبُهُ) أوّلاً لسَبْقِ نورِه ذكرَه **(فَكانَ ذاكِراً)**[1] ومعلوم أن من يَسْبِقُ نورُه ذكرَه أعلى من الذي يَسْبِق ذكرُه نورَه، ذِكْرُ الأوّل نتيجة نورِه، ونورُ الثاني فائدة ذِكْرِه.

(ما كانَ ظَاهِرُ ذِكرٍ) خالصٍ له تعالى**(إلا عَنْ باطِنِ شُهودٍ وَفِكْرٍ)**؛ إذ لو لم يشاهد القلب المذكور بنور الإيمان ولم يتفكر في فوائد الذِّكر لما ظهر الذِّكْرُ على اللسان؛ إذ الأعضاء توابع للقلب، لا يكون منها إلا ما فيه.



(أشْهَدَكَ) جعلك شاهداً بإيجادك وبما وضع فيك على وَحدانية ذاته وصفاته وأفعاله وكماله في جلاله وجماله **(مِنْ قبْلِ أن اسْتَشْهدَكَ)** طلب منك الشهادة بلسانك بتوحيده، **(فَنَطَقَتْ بِالإلٰهية)** للوَاحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد **(الظَّواهِرُ)** فما من شيء منها إلا وينطق بلسان حاله بأن موجِدَه هو الموصوفُ بالألوهية المنفرد بها، **(وَتَحَقَّقَتْ بأَحَدِيَّتِهِ القُلوبُ والسَّرائِرُ)** فما من قلب وما من سرٍّ إلا وهما متحققان بأحديته.



(أكْرَمَكَ) يا أيها الذاكر بذِكْرِه الذي هو المقصود الأكبر **(كراماتٍ ثَلاثٍ)** عظيمة:

- **(جَعَلَكَ ذاكِراً لَهُ)** بأن خَلَقَ فيك ذِكْرَه ووفّقك له، **(وَلَوْلا فَضْلُهُ لَمْ تَكُنْ أهْلاً لِجَرَيانِ ذِكْرِهِ)** الجليل **(عَلَيْكَ)** أنّى لذي الحدوث والذل والهوان

---

(١) وَالَّذي اسْتَوَتْ أذْكارُهُ وَأنْوارُهُ فَبِذِكْرِهِ يُهْتَدَى وَبِنورِهِ يُقْتَدى. (لم يشرح الشيخ السندي هذا النص أيضاً).

المملوء في ظاهره وباطنه من القاذروات أن يكون أهلاً لذِكْرِ الله العظيم؟! ولولا تأهيله إياه لذكره لاستحيى أن يذكر الجليل بلسانه الذليل وقلبه العليل، فما أكرم هذا الكريم حيث جعل أخس التراب أهلاً لذِكْرِ العلي الوهاب.

- **(وَجَعَلَكَ مَذْكوراً بِهِ؛ إذْ حَقَّقَ نِسْبَتَهُ لَدَيْكَ)** قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

- **(وَجَعَلَكَ مَذْكوراً عِنْدَه)** قال الله تعالى في الحديث القدسي: «من ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه»(١).

(فَتَمَّمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) وأيّة نعمة أعلى من هذه النعم؟!



(رُبَّ عُمُرٍ اتَّسَعَتْ آمادُهُ) أزمانُه بطوله، **(وَقَلَّتْ أمْدادُهُ)** فلم يحصل لصاحبه شيءٌ من المدد الإلٰهي الذي يُعِينُه على صَرْفِه إلى ما يقربُ إليه، أو لم يحصل له منه إلا شيء قليل.

(وَرُبَّ عُمُرٍ قَليلَةٌ آمادُهُ) أزمانه لقصره **(كَثيرَةٌ أمْدادُهُ)** بأن وُفِّق صاحبه بتحصيل ما يقرِّبه إلى ربِّه في زمن قليل ما لا يحصل في أزمان كثيرة. قِسْ هذا على طيران الطير ومشي الإنسان، فإنّ الطير يقطع في ساعة ما يقطعه الإنسان في اليوم.



(مَنْ بُورِكَ لَهُ في عُمُرِهِ) بأن وُفِّق لما يقرِّبه إلى مولاه **(أدْرَكَ في يَسيرٍ مِنَ الزَّمَنِ مِنْ مِنَنِ اللهِ تَعالى ما لا يَدْخُلُ تَحْتَ دَوائِرِ العِبارَة)** لعدم حصرها إياه لعدم انحصاره، **(وَلا تَلْحَقُهُ الإشارَة)** إذ ليس من باب المحسوس حتى يشار إليه، بل هو سِرٌّ مكتوم يعلمه أهله.



---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

(**الخُذْلانُ**) يا أيها الإنسان (**كُلُّ الخُذْلانِ**) عند الديّان (**أَنْ تَتَفَرَّغَ**) بتفريغ الله (**مِنَ الشَّواغِلِ**) عن ما يقرِّب إلى الله (**ثُمَّ لا تَتَوَجَّهَ إلَيْهِ**) لأنّ الحسرة على فَوتِ المحبوب الذي لم يكن مانِعٌ منه، أكثر مما منه مانع، فإذا فرغت فانصب، فاجتهد في القربات وإلى ربك فتقرَّب.

(**وَتَقِلَّ عَوائِقُكَ**) موانعك عن ما يدنيك إلى مولاك (**ثُمَّ لا تَرْحَلُ إلَيْهِ**) فما أخْذَلكَ وما أجبنك، أما تستحيي من قلة حيائك حيث لا تتقرب إلى ذي آلائك في أوقات رخائك؟!

❖ ❖ ❖

(**الفِكْرَةُ سَيْرُ القَلْبِ في مَيادينِ الأَغْيارِ**) ليعرف حقائقها، وعدمَ وفائها، وقلة فائدتها، وكثرة ضررها، وأنها ليست بأهل أن يشتغل بها، فيُعرِضَ عنها إلى بارئها.

ومن أعرض عن الشيء قبل أن يعرف حالَه ربما يرجع إليه، ومن أعرض عنه بعد أن عرفه فهو أبعدُ رجوعاً إليه وتعلُّقاً به بعد إعراضه.

❖ ❖ ❖

(**الفِكْرَةُ سِراجُ القَلْبِ**) يميز بها بين ما ينبغي التعلُّقُ به والتوجه إليه وتحصيله، وبين ما ينبغي الإعراض عنه وقَطْعُ التعلق به، (**فَإذا ذَهَبَت**) الفكرة (**فَلا إضاءَةَ لَهُ**) أي: للقلب، بل يصير أعمى يتخبط خبط العشواء، وينشبك في شبكة الأغيار، ويتكدر بأكدار الآثار، محجوباً عن الأنوار والأسرار.

❖ ❖ ❖

(**الفِكْرَةُ**) في حقائق الأمور (**فِكْرَتانِ: فِكْرَةُ تَصْديقٍ وَإيمانٍ**) وذلك أن يتفكر من صدَّقَ بالله وآمن به وبما قال بنور الإيمان أنّ ما يُقرِّبُ إليه هو الأحقُّ بالتحصيل، وما يُبعد عنه أجدر بالإعراض والاجتناب عنه، فيسعى فيما يقرِّبه، ويتبعّد عن ما يبعده.

(**وَفِكْرَةُ شُهودٍ وَعِيانٍ. فَالأُولى لِأَرْبابِ الاعْتِبارِ**) الذين صدقوا بالله ورسوله ولم يصِلوا بعدُ إلى مرتبة العيان، (**وَالثّانِيَةُ لِأَرْبابِ الشُّهودِ**

وَالاسْتِبْصارِ) الذين يعاينون الأمور على ما هي عليه. والفَرْقُ بين الفكرتين كالفرق بين المرتبتين.



(وَقال ﷺ) رسالة مما كتب به **(لِبَعْضِ الإخوان) في** الإيمان:

(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْبِدَايَاتِ مَجْلَاتُ النِّهَايَاتِ) يُستدَلُّ بها على نهاياتها، **(وَإِنَّ مَنْ كَانَتْ بِاللهِ)** وَحده - لا بحوله وقوته - **(بِدَايَتُهُ)** بأن يعلم في بدايته أنّ المعين هو الله تعالى، ويجعله هو المقصود لا غيره، **(كَانَتْ إِلَيْهِ نِهَايَتُهُ)** لقَطْع نظره عن ما سواه في بدايته، ومن كانت بالنفس بدايته كانت إليها نهايته، وما غُرس في البدايات جُني ثمرُه في النهايات.

(وَالمشْتَغَلُ بِهِ) ظاهراً وباطناً **(هُوَ الَّذِي أَحَبَّهُ)** إذ لو لم يحبه لم يشتغل به لأنّ الإنسان لا يشتغل بغير محبوبه، **(وَسَارَعَ)** من غيره **(إِلَيْهِ)** وآثره عليه.

(وَالْمُشْتَغَلُ عَنْهُ هُوَ الْمُؤْثِرُ) غيرَه **(عَلَيْهِ)** إذ لو لم يُؤْثِرْهُ عليه لما اشتغل به؛ لأن الإنسان لا يشتغل إلا بما يؤثِرُه على غيره. فواحسرة من آثَرَ غيرَه عليه، ولم يُقِرَّ بالخير الذي لديه.

(وَإِنَّ مَنْ أَيْقَنَ أَنَّ اللهَ) الكريم العظيم **(يَطْلُبُهُ)** إليه ويريد منه أن يحضر بين يديه لِيَنْثُرَ هدايا الإقبال عليه **(صَدَقَ الطَّلَبَ إِلَيْهِ)** لينال التُّحَف التي لديه، وكيف لا يَصْدُق وهو يُوقِنُ أنّ الكريم يناديه إلى حضرته ليكرمه بقربه ومعرفته؟!

(وَمَنْ عَلِمَ) علماً يقينيّاً **(أَنَّ الأُمُورَ)** كلها **(بِيَدِ اللهِ)** تعالى وليس بيد غيره منها شيء، وإنما الأغيار وسائط، **(انْجَمَعَ)** عنِ الكلّ **(بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ)**، وهو الفائز بما لديه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

(وَأَنَّهُ لا بُدَّ لِبِنَاءِ هَذَا الْوُجُودِ) الحادث القائم بالغير **(أَنْ تَنْهَدِمَ دَعَائِمُهُ)** فينقض، **(وَأَنْ تُسْلَبَ كَرَائِمُهُ)** فيتلاشى، **(فَالعَاقِلُ)** الذي يعقل حقائق الأمور ويختار ما هو أهل للاختيار، ويفرح بما هو أجدر بالفرح **(مَنْ كَانَ بِمَا هُوَ أَبْقَى)** وهو الآخرة وما يوصل إلى كرامتها من طاعة الرحمٰن

(**أَفْرَحَ مِنْهُ بِمَا هُوَ يَفْنَى**) لعلمه فائدة ما يبقى على ما يفنى، وعديمُ العقل من كان بما يفنى أفرح منه بما هو يبقى، والعقلاء أقل قليل في كل زمن.

(**قدْ أَشْرَقَ نُورُهُ**) الذي عرف به رِفْعَة ما يبقى وخِسَّة ما يَفْنَى، (**وَظَهَرَتْ بَشائِرُهُ**) بشائر نوره، (**فَصَدَفَ**) فأعْرَضَ (**عَنْ هَذِهِ الدَّارِ**) الفانية المملوءة من المصائب والبلايا والمحن والفتن، (**مُغْضِياً**) كارِهاً إياها لخستها وحقارتها وسرعة زوالها، (**وَأَعْرَضَ عَنْهَا مُولِّياً**) هارباً من دواهيها لئلا تلحقه قبل أن يبعد منها (**فَلَمْ يَتَّخِذْها وَطَناً**) وكيف يتخذها وطناً وهو يعلم أنها مع خستها عن قريب تفنى؟! (**وَلا جَعَلَهَا سَكَناً**) فلم يسكن بقلبه إليها، (**بَلْ أَنْهَضَ**) أقام (**الهِمَّةَ فِيهَا إِلى اللهِ**) تَعالَى الدائم الباقي المكرِم لمن يَفِد عليه، (**وسار فيها**) إليه بالإعراض عنها والاشتغال بما يقرِّبه إلى ذي العزة والكمال (**مُسْتَعِيناً بِهِ**) معتمداً عليه في سيره، قاطعاً نَظَرَه عن ما سواه، وهو المعين لما يرضاه (**فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ**) وسيعلم نتيجة سَيْره حين يحضر بين يديه:

(**فَمَا زَالَتْ مَطِيَّةُ عَزْمِهِ لَا يَقَرُّ قَرَارُهَا**) لشدة شوقها إلى مقصدها، (**دائِماً تِسْيَارُها**) سَيْرُهَا (**إِلَى أَنْ أَنَاخَتْ بِحَضْرَةِ الْقُدْسِ وَبِسَاطِ الأُنْسِ**) مع الله تعالى (**ومَحَلِّ الْمُفَاتَحَةِ**) مع الرب (**وَالْمُوَاجَهَةِ وَالْمُجَالَسَةِ وَالْمُحَادَثَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ وَالْمُطَالَعَةِ**) لجمال ذي الجمال والإفضال، وهناك يلقى من النوال ما لا يجيء في الخيال. وفي فعل هذا وفائدته فليتنافس المتنافسون، وعلى هذه الكرامة فليزدحم المزدحمون، وعلى فوات هذه البغية فلْيَبْكِ الباكون. وهذا العاقل هو الإنسان الكامل، ومن سواه غثاء زائل.

(**فَصَارَتِ الْحَضْرَةُ**) الإلٰهية التي لا حضرة مثلها، بل لا حضرة تدانيها، بل ليست بشيء بالنسبة إليها (**مُعَشَّشَ**) مرْجِعَ (**قُلُوبِهِمْ**) أي: العارفين، (**إِلَيْهَا**) لا إلى غيرها (**يَأْوُونَ**) ليفوزوا بما يشاهدون، (**وَفِيهَا يَسْكُنُونَ**) ومن غيرها يرتحلون، (**فَإِن نَزَلُوا**) من تلك الحضرة العلية (**إِلَى سَمَاءِ الْحُقُوقِ**) التي جعلها الله تعالى عليهم لعباده ليطيعوه بها، (**أو**) نزلوا إلى (**أَرْض الحظُوظِ**) التي أوجبها عليهم لأنفسهم (**فَبِالإِذْنِ**) ينزِلون، (**وَالتَّمَكِينِ**) يؤدون الحقوق إلى أهلها والحظوظ لأهلها من غير أن يختل شهودهم حضرة ربهم،

(**وَالرُّسُوخِ فِي الْيَقِينِ**) فلا يختل يقينُهم عند نزولهم إلى ذلك، بل يزداد لأنهم في ذلك متقرِّبون إلى ربهم، (**فَلَمْ يَنْزِلُوا**) من الحضرة العلية (**إِلَى الْحُقُوقِ بِسُوءِ الأَدَبِ**) حتى يُخِلَّ ذلك في مرتبتهم، (**وَالْغَفْلَةِ**) حتى يخل ذلك في معرفتهم، بل هم في نزولهم في عين الأدب والمعرفة، (**وَلاَ**) ولم ينزلوا (**إِلَى الْحُظُوظِ**) النفسانية (**بِالشَّهْوَةِ وَالْمُتْعَةِ**) من حيث إنها شهوة النفس ومتعتها، فيُخِلُّ ذلك في كمالهم، (**بَلْ دَخَلُوا فِي ذَلِكَ**) الذي مرّ (**كُلِّهِ بِاللهِ**) مستعينين غير معتمدين على غيره، (**وَللهِ**) لا لحظوظ أنفسهم، (**وَمِنَ اللهِ**) بإذنه، (**وَإِلَى اللهِ**) لأنهم في أداء الحقوق والحظوظ، سائرون إليه، متقربون بما لديه.

(﴿وَقُل﴾) يا أيها المتقرب إلى الرب (﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾) معك (﴿وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾) أي: اجعلني صادقاً معك في جميع أحوالي (**لِيَكُونَ نَظَرِي إِلَى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ إِذَا أَدْخَلْتَنِي فِي حضرتك**) ولا يبقى لي نظر إلى ما سواك (**وَاسْتِسْلاَمِي وَانْقِيَادِي إِلَيْكَ إِذَا أَخْرَجْتَنِي**) من حضرتك لأطيعك فيما تحب عني.

مَثَلُ هذا الداخلِ الخارجِ مَثَلُ من دخل على الملك تعظيماً له وتشرفاً بملاقاته، فأكرَمه الملك وشرَّفه وقال له: اذهب عن حضرتي إلى الموضع الفلاني، وافعل لي ما آمرك به. ومثل هذا لا يُنقِصه رجوعُه عن الحضرة في مرتبته، بل يزيد. وهذا مقام الأنبياء والكُمَّل من الأولياء الذين يوفون لكل ذي حقٍّ حقَّه ويقومون في المقام الذي يقيمهم الله، فما أعظم هذه المرتبة وأجلّها.

(﴿وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ﴾) يا كريم (﴿سُلْطَانًا﴾) قاهراً ما يصدني عنك (﴿نَّصِيرًا﴾) [الإسراء: ٨٠] لي على أعدائي (**يَنْصُرُنِي**) على من ناوأني، (**وَيَنْصُرُ بِي**) من تحب نصرَه من عبادك، (**وَلاَ يَنْصُر عَلَيَّ**) ما يصدني عنك، (**تنْصُرُنِي عَلَى شُهُودِ نَفْسِي**) فأفنى عنها، (**وَتفْنِيِنِي عنْ دَائِرَةِ حِسِّي**) حتى لا أشاهد سواك. والحاصل: اجعلني خالِصاً لك، ساعِياً فيما يرضيك أينما كنت.

❖ ❖ ❖

(و) قال ﷺ (مِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ: إِنْ كَانَتِ عَيْنُ الْقَلْبِ تَنْظُرُ إِلَى أَنَّ اللهَ واحِدٌ فِي مِنَّتِهِ) لم يشاركه فيها أحد غيره، وهل أحد يساويه أو يدانيه حتى يشاركه فيها؟! بل هو المنفرد في التصرف فلا يستحق الشكر أصالةً على المنة غيره.

(فَالشَّرِيعَةُ) التي أذنت أنّ للوسائط دخلاً ظاهرياً لا بد من مراعاتها (تَقْتَضِي أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ شُكْرِ خَلِيقَتِهِ) التي تَصِلُ مِنَنُه بأيديها، قال أعرف الخلق ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[1] وشكرهم لله من شكره.

(وَإِنَّ النَّاسَ فِي ذَلِكَ) الذي تقدم (عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

ـ غَافِلٌ) عن المؤثر الحقيقي (مُنْهَمِكٌ فِي غَفْلَتِه) بحيث لا يرفع رأسه، قد (قَوِيَتْ دَائِرَةُ حِسِّهِ، وانْطَمَسَتْ حَضْرَةُ قُدْسِهِ، فَنَظَرَ الإِحْسَانَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ) الذين هم في الواقع وسائط، (وَلَمْ يَشْهَدْهُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمَّا) من اعتقد ذلك الإحسان منهم (اعْتِقَاداً فَشِرْكُهُ جَلِيٌّ) وهو كافر بالله حيث جعل لغيره تأثيراً في الإحسان، (وَأَمَّا) من أسند ذلك الإحسان إليهم (اسْتِنَاداً فَشِرْكُهُ خَفِيٌّ) حيث شابَه من أشرك معه حقيقة، ولا يخرج بذلك عن دائرة الإيمان، لكنه وقع في النقصان، ومثل هذا شكره للخلق.

ـ (وَصَاحِبُ حَقِيقَةٍ) حيث أدرك حقائق الأمور على ما هي عليه، (غَابَ عَنِ الْخَلْقِ بِشُهُودِ الْمَلِكِ الْحَقِّ) فلا يشاهد شيئاً إلا منه، (وَفَنِيَ عَنِ الأَسْبَابِ) التي هي وسائط الإحسان (بِشُهُودِ مُسَبِّبِ الأَسْبَابِ) فلا يشكر إلا إياه، (فَهذا عَبْدٌ) جليلٌ (مُوَاجَهٌ بِالْحَقِيقَةِ، ظَاهِرٌ عَلَيْهِ سَنَاهَا) نورُها حيث لم يرَ شيئاً إلا من الخالق، (سَالِكٌ لِلطَّرِيقَةِ) الموصلة إلى المعرفة، (قَدِ اسْتَوى عَلَى مَدَاهَا) غايتها (غَيْرَ أَنَّهُ غَرِيقُ الأَنْوَارِ) الموجبة للأسرار (مَطْمُوسُ الآثَارِ) لم يبق لها فيه أثر، (قَدْ غَلَبَ سُكْرُهُ) الذي حصل له بمعاينة الحقيقة (عَلَى صَحْوِهِ) يقظه (وَجَمْعُهُ) وهو رؤية الأمور كلها من

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع الصحيح»؛ الذبائح؛ أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ؛ باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك.

الخالق (**عَلَى فَرْقِهِ**) الذي ينبغي له، وذلك أنّ الله تعالى وإن كان هو الفاعل حقيقة لكنه قد جعل بعض خلقه أسباباً ونَسَب الأمور إليها، وأمر شكر الواسطة، لا لذاته، بل امتثالاً لمن جعله واسطة. (**وَفَنَاؤُهُ**) في الحق (**عَلَى بَقَائِهِ**) لغير الله (**وَغَيْبَتُهُ**) عن ما سوى الحق (**عَلَى حُضُورِهِ**.

ـ **وَأَكْمَل مِنْهُ**) مقاماً (**عَبْدٌ شَرِبَ**) كؤوسَ كَشْفِ الحقائق (**فَازْدَادَ صَحْواً**) لكماله، (**وَغَابَ**) عن الغير (**فَازْدَادَ حُضُوراً**) له لله، (**فَلَا جَمْعُهُ**) لعلوِّ إيقانِه وعرفانه (**يَحْجُبُهُ عَنْ فَرْقِهِ، وَلَا فَرْقُهُ يَحْجُبُهُ عَنْ جَمْعِهِ، وَلَا فَنَاؤُهُ**) عن غير الله (**يَصرِفُه عَنْ بَقَائِهِ**) لآداء حقٍّ له تعالى، (**وَلَا بَقَاؤُهُ**) لأداء حقه (**يَصُدُّهُ عَنْ فَنَائِهِ، يُعطي كُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ**) بإذن الله لَهُ، (**وَيُوَفِّي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**) من الله ومن خلْقِه، فحقوقُ الله تعالى لا تشغله عن حقوق خَلْقِه، وحقوقهم لا تشغله عن حقوقه، وهذا مقام الإنسان الكامل الجامع للكمالات كلها.

(**وَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ**) الذي هو أعلى هذه الأمة بعد نبيها ﷺ (**لِعَائِشَةَ**) التي لم تبلغ رتبتَه (**رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَتُهَا مِنَ الإِفْكِ**) من الكذب الذي كُذِبَ عليها وهو قَذْفُها بما لا يليق بها ولا ببعلها (**عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**) الذي هو الواسطة في ذلك، إذ لو لم يوجد لما وُجِدَ الوحي المنزّل من الحق، ولم تتشرف عائشة رضي الله عنها بهذه البراءة ببركته: (**يَا عَائِشَةَ اشْكُرِي رَسُولَ اللهِ**) ﷺ الذي أنزل الله فيك كلامه الذي يُتلَى إلى يوم القيامة ببركته، وقومي إليه وقبّلي رأسه، (**فَقَالَتْ**) لفنائها في الله تعالى حيث لم يبق فيها لغيره شيء: (**وَاللهِ لَا أَشْكُرُ إِلَّا اللهَ**) الذي أنزل براءتي بجوده وفضله.

(**دَلَّهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ عَلَى الْمَقَامِ الأَكْمَلِ مَقَامِ الْبَقَاءِ الْمُقْتَضِي لِإِثْبَاتِ الآثَارِ**) من غير أن تكون حائلةً عن الغفار، أرشدها على قدر مقامه، ومشت على قدر مقامها، وشتان ما بين المقامين، لو شكرته ﷺ لله تعالى لكان ذلك زيادة في شكرها لمولي نعمتها.

(**وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى**: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي﴾) لأني أنا الخالق الموجِد حقيقةً

(و) اشْكُرْ ﴿وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] اللذين كانا سببين ظاهرين في وجودك وأَعْطِ كل ذي حقٍّ حَقَّه.

(**وَقَالَ** ﷺ:) وهو أعرف الخلائق بالخالق وأعلى مقاماً في إدراك الحقائق («**لَا يَشْكُرُ اللهَ**) أي: لا يؤدي شكره كما ينبغي أداء شكره (**مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**») الذين هم وسائط نعمه من حيث هم وسائطها، فتمام شكره موقوفٌ على شكرهم له تعالى، فمن لم يشكرهم لم يؤد شكرَه كما ينبغي أداءه وافياً.

(**وَكَانَتْ**) رضي الله عنها (**فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ**) الذي انقطع رجاؤها في براءتها من غير مولاها، (**مُصْطَلَمَةً**) فانيةً (**عَنْ شَاهِدِها**) عمن كان حاضراً عندها، (**غَائِبَةً عَنْ الآثَارِ**) لفنائها في الستار (**فَلَمْ تَشْهَدْ**) في ذلك الوقت (**إِلَّا الْوَاحِدَ الْقَهَّارِ**) المنفرد في التصرف، وهذا مقام عالٍ، لكن أعلى منه إعطاءُ الآثار حقوقها.

❖ ❖ ❖

(و) قال رضي الله عنه (**لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ** ﷺ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[1] **هَلْ ذَلِكَ**) أي: كونها قرة (**خَاصٌّ بِهِ** ﷺ) لعلو شأنه، (**أَو**) له و(**لِغَيْرِهِ مِنْهُ شِرْبٌ**) حظٌّ على قَدْرِ حَالِهِ (**ونَصِيبٌ؟ فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: إِنَّ قُرَّةَ الْعَيْنِ**) فيها حاصلة (**بِالشُّهُودِ**) للحق المعبود (**عَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ بِالْمَشْهُودِ**) فمن كان شهوده أعلى فقُرَّته أعظم وأجلى، ومن كان شهوده أدنى فقُرَّته على قدر ذلك، (**فَالرَّسُولُ** ﷺ) الذي هو المفرَدُ في باب القرب والعرفان والعطايا والإحسان، (**لَيْسَ لأَحَدٍ مَعْرِفَةٌ**) بالله (**كَمَعْرِفَتِهِ**) إذ لم يبلغ أحد مرتبته حتى تكون معرفتُه كمعرفته، بل ولا داناه أحد، (**فَلَيْسَ قُرَّةُ عَيْنٍ**) لأحدٍ في الصلاة (**كَقُرَّتِهِ**) ﷺ لعلوّ شهوده لمقصوده. والحاصل إن لغيره قرة عين في الصلاة لكن على قدر شهوده لمعبوده.

(**وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ قُرَّةَ عَيْنِهِ**) ﷺ (**فِي صَلَاتِهِ بِشُهُودِ جَلَالِ مَشْهُودِهِ لأَنَّهُ قَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ**) الذي عيناه (**بِقَوْلِهِ: «فِي الصَّلَاةِ»، وَلَمْ يَقُلْ: بِالصَّلَاةِ**) وهو يدل على أن قُرَّةَ عَيْنِه ليس بالصلاة، بل بما في الصلاة؛ (**إِذْ هُوَ** ﷺ) لعلوِّ برهانه وعِظَم عِرْفانه برحمانه (**لَا تَقَرُّ عَيْنُهُ بِغَيْرِ رَبِّهِ**) الذي هو مقصودُه ومعبودُه.

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم؛ كتاب النكاح.

(وَكَيْفَ) لا يكون قُرَّته كذلك **(وَهُوَ يَدُلُّ)** غيره **(عَلَى هَذَا الْمَقَامِ)** الجليل **(وَيَأْمُرُ بِهِ مَنْ سِوَاهُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»**[1]**)** الحديث، فسّر الإحسانَ بشهوده في عبادته، فعُلم أنه روحُ العبادة، **(وَمُحَالٌ أَنْ يَرَاهُ)** تعالى في عبادته **(وَيَشْهَدَ مَعَهُ من سِوَاهُ)** لأن من رآه لا يشهد ما عداه لاستغراقه في جماله ونجواه.

والحاصل أنه ﷺ أخبر أنّ روح العبادة رؤيةُ المعبود فيها، ومعلوم قطعاً أنه كان يرى مولاه فيها، فعُلِمَ أن شهوده قُرَّةُ عينه في صلاته.

(قَالَ لَهُ القَائِلُ: قَدْ تَكُونُ قُرَّةُ الْعَيْنِ بِالصَّلَاةِ) وتكون «في» بمعنى «الباء» **(لأَنَّهَا فَضْلٌ مِنَ اللهِ)** حيث تفضل بها على عبده تُقرّبه إليه، **(وَبَارِزَةٌ مِنْ عَيْنِ مِنَّةِ اللهِ)** على عبيده، **(فَكَيْفَ لَا يَفْرَحُ بِهَا)** وهي هدية الحبيب؟!

(وَكَيْفَ لَا تَكُونُ قُرَّةُ العَيْنِ بِهَا) وهي تحفة المطلوب؟! **(وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وتعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾** [يونس: ٥٨]**)** وهي فَضْلُه ورَحمَتُه، وهو ﷺ أوّلُ عامل بما يأمره به ربه، **(فَاعْلَم أَنَّ الآيَةَ قَدْ أَوْمَأَتْ إِلَى الْجَوَابِ لِمَنْ تَدَبَّرَ سِرَّ الْخِطَابِ، إِذْ قَالَ: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾، وَمَا قَالَ: فَبِذَلِكَ فَافْرَح)**.

ومراده ـ والله أعلم ـ أن لو كان هذا الأمر شاملاً له ﷺ ولغيره لخصَّهُ بالخطاب الذي فيه غاية الإكرام، والله تعالى يكرم حبيبه ﷺ بخطاباته، ودخل فيه غيرُه تبعاً له؛ إذ خطابه خطاب أمته ما لم يدل دليل على الخصوص، فلمّا ترك خطابه وصرَف الأمر إلى الناس عُلِمَ أنه ليس شاملاً له، بل المطلوب منه أعلى مما طُلِبَ منهم، وبعدُ للمتأمّل موضع تأمل.

(يَا مُحَمَّدُ قُلْ لَهُمْ فَلْيَفْرَحُوا بِالإِحسَانِ وَالتَّفَضُّلِ) عليهم على قدر مقامهم، **(وَلْيَكُنْ فَرَحُكَ أَنْتَ بِالْمُتَفَضِّلِ)** لعلوّ مقامك، **(كَمَا قَالَ فِي الآيَةِ الأُخْرَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾** [الأنعام: ٩١]**)** خصَّه بهذا الخطاب لعلوِّ مرتبته، ولم يأمر غيره بما أمره لنزول مرتبتهم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل؛ مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

هذا، وفي حمله نظر، بل المراد بهذا الخطاب النبي ﷺ وغيره لأن خطابه خطاب أمته، بل غيره أحق بهذا الخطاب لشغلهم عن الله تعالى، بخلافه ﷺ فإنه واذِرٌ لما سواه متبتِّلٌ إليه عن ما عداه، ويكون الأمر له للتثبيت على ما هو عليه، ولغيره لإحداث الفعل الذي يعبر عنه بالتأسيس، وهو خير من التأكيد، والله أعلم.

❖ ❖ ❖

(وَقَال) رضي الله عنه **(مِمَّا كَتَبَ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ: النَّاسُ)** الذين هم مختلفوا الأجناس **(فِي وُرُودِ المِنَنِ عليهم عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ)**:

- قسمٌ **(فَرِحٌ بِالمِنَنِ لَا مِنْ حَيْثُ مُبدِيهَا وَمُنْشِيهَا)** أي: لا من حيث ورودها من الله الكريم، **(وَلَكِنْ)** فرِحٌ **(لِوُجُودِ مُتْعَتِهِ)** النفسانية **(فِيهَا، فَهَذَا مِنَ الْغَافِلِينَ)** عن الفرحة بالمنعم، **(يَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى)** إشارة: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]).

- (وَ) **قِسْمٌ (فَرِحٌ بِالمِنَنِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ شَهِدَهَا مِنَّةً مِمَّن أَرْسَلَهَا وَنِعْمَةً مِمَّنْ وصَّلَهَا)** والمحِبُّ يفرح بمِنَن المحبوب من حيث إنها مِنَنُه، لا من حيث ذواتها، **(يَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ﴾)** المذكور من الفضل والرحمة (﴿فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]) من الدنيا التي يفرحون بها.

- **(وَفَرِحٌ بِاللهِ تعالى)** من حيث كمال ذاته وصفاته وأفعاله، ومن حيث معرفته به وقربه إليه، **(مَا شَغَلَهُ)** عن الله تعالى **(مِنَ المِنَنِ)** الواردة عليه من مولاه **(ظَاهِرُ مُتْعَتِهَا)** كما شغل بها عنه الطائفة الولى، **(وَلَا بَاطِنُ مِنَّتِهَا)** كما شغل بها عنه الطائفة الثانية، **(بَلْ شَغَلَهُ النَّظَرُ إِلَى اللهِ)** ذي الجمال والكمال **(عَن ما سِوَاهُ، وَانْجَمَعَ)** انحصر نظره **(عَلَيْهِ، فَلَا يَشْهَدُ)** لكمال استغراقه فيه **(إِلَّا إِيَّاهُ، يَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾** [الأنعام: ٩١].

وما ذكره المصنف من هذه الأقسام فكلامٌ عالٍ، لكن في صدق هذه

الآيات عليهم مقال كما لا يخفى على أهل الكمال، والله أعلم بحقيقة الحال.

(وَقَدْ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ ﷺ: يَا دَاودُ قُلْ لِلصِّدِّيقِينَ) الذين صفت قلوبهم عن غير الله وخلصت له: **(بِي فَلْيَفْرَحُوا)** لا بغيري لأني أنا النعمة الكبرى لهم، **(وَبِذِكْرِي فَلْيَتَنَعَّمُوا)** لا بذكر غيري، فإنّ ذكري هي البُغْيَة العظمى لهم.

(فاللهُ تَعَالَى) بجوده **(يَجْعَلُ فَرَحَنَا وَإِيَّاك بِهِ، وَالرِّضَى مِنْهُ)** بأن يرضى عنا، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، أو نرضى منه بما يتصرف فينا، **(وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الْفَهْمِ عَنْهُ)** الذين يفهمون مقصوده منا، فيسعون في تحصيله، **(وَأَنْ لَا يَجْعَلَنَا مِنَ الْغَافِلِينَ)** لا في ظواهرنا ولا في ضمائرنا، **(وَأَنْ يَسْلُكَ بِنَا)** بفضله **(سَبِيلَ الْمُتَّقِينَ)** الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] **(بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ)** فإنه المنان الكريم.



(وقَالَ ﷺ فِي بَعْضِ مُنَاجَاتِهِ) مع ربه: **(إِلَهِي)** وفي هذا التخصيص سِرٌّ جليل يعلمه أهله، **(أَنَا الفَقِيرُ فِي غِنَايَ)** فلو ملّكتني الكونَ كله لم أخرج من فقري الذي هو لازم ذاتي، **(فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيراً فِي فَقْرِي)** حيث لا أملك شيئاً، أو أملك بتمليكك إياي شيئاً يسيراً لا يعبؤ به إلى جنب ملكك.

(إِلَهِي: أَنَا الجَاهِلُ) الذي جهلي مقتضى ذاتي **(فِي عِلْمِي)** لو علمتني المعلومات كلها لم أخرج من جهلي الذاتي، **(فَكَيْفَ لَا أَكُونُ جَهُولاً فِي جَهْلِي)** حيث لا أعلم إلا شيئاً زهيداً ليس بشيء بالنسبة إلى علمك.

(إِلَهِي: إِنَّ اخْتِلَافَ تَدْبِيرِكَ) تارة تدبير جلال وأخرى تدبير جمال، **(وَسُرْعَةَ حُلُولِ مَقَادِيرِكَ)** التي قدَّرتها بعِلْمِك في الأزل، وما قدَّرْتَ يكونُ، **(مَنَعَا عِبَادَكَ العَارِفِينَ بِكَ عَنِ السُّكُونِ إِلَى عَطَاءٍ)** لأنك تُخرجُ من عطاء إلى بلاء في لحظة، فكيف يكون السكونُ إليه مع أنه يحتمل أن يكون استدراجاً. وقد قلت: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩].

(وَاليَأْسِ مِنْكَ) من فرجك **(فِي بَلَاءٍ)** لأنك تُخرِجُ منه إلى عطاء في

لمحة، فكيف يكون اليأس وقد قلت: ﴿وَلَا تَاْيْـَسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧].

(إِلَهِي: مِنِّي مَا يَلِيقُ بِلُؤْمِي) لانغراقي في موجِبات اللؤم لا أنفك عنها، وكيف أنفك عنها وقد أُرْكِزْتُ فيها.

(وَمِنْكَ مَا يَلِيقُ بِكَرَمِكَ) لأنك المتصف بصفات الكرم والجود والفضل، فعاملني على مقتضى كرمك، لا على موجب لؤمي.

(إِلَهِي: وَصَفْتَ نَفْسَكَ) الجليلة (بِاللُّطْفِ وَالرَّأْفَةِ) حيث اتصفتَ بهما (قَبْلَ وُجُودِي) لأنك مع صفاتك قديم، وليس مظهر لطفك ورأفتك إلا لمثلي (أَفَتَمْنَعُنِي مِنْهُمَا بَعْدَ وُجُودِ ضَعْفِي) رجائي فيك جميل، أرجو منك لطفك ورأفتك بضعف حالي.

(إِلَهِي: إِنْ ظَهَرَتِ المَحَاسِنُ) الظاهرية والباطنية (مِنِّي فَبِفَضْلِكَ) ظهرت لأنك خلقتني وخلقتها فيّ وحسّنتني بها، (وَلَكَ المِنَّةُ عَلَيَّ) فيها حيث مَنَنْت عليَّ بها بمنّك وَجُودك وكرمك من غير استحقاق منّي إياها.

(وَإِنْ ظَهَرَت المسَاوِئُ) القالبية والقلبية (مِنِّي فَبِعَدْلِكَ) ظهرت لأنك أقمت عَدْلَك بخَلْقِها فِيَّ، (وَلَكَ الحُجَّةُ عَلَيَّ) فإن أخذتني بها فأنت عادل في ذلك، وليس لي حجة عليك، وقد قطعت حجتي بمنعك إياي عنها، وإن غفرتها لي فإنك أنت الغفور الرحيم تغفر الذنوب.

(إِلَهِي: كَيْفَ تَكِلُنِي) تُفوِّضُني (إِلَى نَفْسِي) أو إلى غيرك (وَقَدْ تَوَكَّلْتَ لِي) أي: إنك لم تَكِلْني إلى غيرك، بل أنت وكيلي ومعتمدي في أموري كلها، فاحفظني عن ما يرديني، ووفقني لما يرضيك عني.

(وَكَيْفَ أُضَامُ) بظلم ضَيْم النفس والشيطان وغيرهما (وَأَنْتَ النَّاصِرُ لِي) على من ظلمني فانصرني عليه وأنت خير الناصرين.

(أَمْ كَيْفَ أَخِيبُ) في آمالي (وَأَنْت الحَفِيُّ) المعتني (بِي) ومن كنتَ حفياً به لا يخيب في آماله.

(هَا أَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ) يا سيدي (بِفَقْرِي) وخير ما يتوسل به الفقير إلى عطاء الغني فَقْرُه، (وَكَيْفَ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ مُحَالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ) لعلو

شأنك وعظيم سلطانك، ولا بد للوسيلة أن تصل إلى المتوسَّل إليه.

(**أَمْ كَيْفَ أَشْكُوا إِلَيْكَ حَالِي وَهُوَ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ**) وكيف يخفى عليك وأنت الذي خلقته فيَّ، فعِلْمُك بحالي يكفيني عن سؤالي.

(**أَمْ كَيْفَ أُتَرْجِمُ**) أوضِّحُ (**لَكَ**) حالي (**بِمَقَالِي وَهُوَ مِنْكَ بَرَزَ**) حيث أوردته عَلَيَّ، (**وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَيْكَ**) يرشدني إلى أن أتذلل بين يديك، فالعبد ابن عبيدك حاضر لديك، فافعل به ما أنت له أهل.

(**أَمْ كَيْفَ تَخِيبُ آمَالِي**) التي أملتها فيك (**وَهِيَ قَدْ وَفَدَتْ إِلَيْكَ**) والكريم لا يخيب ما يَفِدُ عليه، بل يكرمه وينعم عليه.

(**أَمْ كَيْفَ لَا تَحْسُنُ أَحْوَالِي وَبِكَ قَامَتْ**) لأنك خالقها فيَّ، راجعة (**إِلَيْكَ**).

(**إِلَهِي: مَا أَلْطَفَكَ بِي**) لا أقدر أن أعدّ ألطافك عليَّ (**مَعَ عَظِيمِ جَهْلِي**) الذي يستأهل الحرمان، (**وَمَا أَرْحَمَكَ بِي**) وما أستطيع أن أحصر ما رحمتني به (**مَعَ قَبِيحِ فِعْلِي**) الذي يوجب عقوبتي.

(**إِلَهِي: مَا أَقْرَبَكَ مِنِّي**) حيث أنت أقرب مني إلى نفسي، مُدِيمٌ عليَّ نِعَمَك، (**وَمَا أَبْعَدَنِي عَنْكَ**) حيث لا أقدر على ذِكْرِك، فضلاً عن شهودك، (**وَمَا أَرْأَفَكَ بِي**) يا رؤوف، (**فَمَا الَّذِي يَحْجُبُنِي عَنْكَ**)، لا يحجبني إلا عدَمُ قابليتي لشُهودِك.

(**إِلَهِي: قَدْ عَلِمْتُ بِاخْتِلَافِ الآثَارِ**) لا تزال تنتقل من حالٍ إلى حال، (**وَتَنَقُّلَاتِ الأَطْوَارِ أَنَّ مُرَادَكَ**) يا عظيم (**مِنِّي أَنْ تَتَعَرَّفَ**) تصير معروفاً (**لِي فِي كُلِّ شَيْءٍ**) لأنّ اختلاف الاثار وتنقُّلات الأطوار يدلان على من يَفْعَلُ ذلك بِهِمَا، وليس الفاعِلُ إلا أنت، (**حَتَّى لَا أَجْهَلَكَ فِي شَيْءٍ**) من الأشياء، بل أعرفك في كل شيء لظهورك فيه، سبحانك ما أعظم برهانك على عرفانك.

(**إِلَهِي: كُلَّمَا أَخْرَسَنِي**) من السؤال منك (**لُؤْمِي**) الذي كنتُ به غير أهل لذلك (**أَنْطَقَنِي كَرَمُكَ**) الذي يطمع به فيك من لم يكن أهلاً للسؤال منك، وهو الذي جرأني على ذلك.

(**وَكُلَّمَا آيَسَتْنِي أَوْصَافِي**) الذميمة الناقصة في عطاياك لعدم قابليتي لها لنقصانها (**أَطْمَعَتْنِي**) في إحسانك (**مِنَّتُكَ**) ورجحت مِنَّتُكَ على أوصافي فطمعت في كرامتك يا كريم.

(**إِلَهِي: مَنْ كَانَتْ مَحَاسِنُهُ مَسَاوِي**) نظراً إلى ذاته، (**فَكَيْفَ لَا تَكُونُ مسَاوِيه مَسَاوِي. وَمَنْ كَانَتْ حَقَائِقُهُ دَعَاوى**) لا طائل تحتها (**فَكَيْفَ لَا تَكُونُ دَعَاوِيهِ دَعَاوى**) والحاصل أن العبد غرق في الهوان والنقصان، وأنت ذو الجود والإحسان، فمُنَّ عليه بمجرد الامتنان.

(**إِلَهِي: حُكْمُكَ النَّافِذُ**) في كل شيء، (**وَمَشِيئَتُكَ القَاهِرَةُ**) كلَّ شيء، تنفذ حكمَك كيفما تريد، وتفعل ما تشاء ولا تبالي (**لَمْ يَتْرُكَا لِذِي مَقَالٍ مَقَالاً**) وأنى يكون له المقال يا ذا العزة والجلال، (**وَلَا لِذِي حَالٍ**) من الأحوال (**حَالاً**) وأي شيء ينفع الحال عند إنفاذك أحكامك وقهرك كل شيء بإرادتك.

(**إِلَهِي: كَمْ مِنْ طَاعَةٍ بَنَيْتُهَا**) فَعَلْتُها، (**وَ**) كم من (**حَالَةٍ شَيَّدْتُهَا**) أحكمتها وزَعَمْتُ أنهما تحكمان لي فضلك (**هَدَمَ اعْتِمَادِي عَلَيْهَا عَدْلُكَ**) الذي تقيمه في من تريده، ولو أقمت عدلك فيّ كانت طاعاتي وحالاتي هباء منثوراً، (**بَلْ أَقَالَنِي مِنْهَا فَضْلُكَ**) لأنك إذا أكرمت وأعطيت الإحسان تعطي بفضلك من غير استحقاق أحد عليك بعمل من الأعمال، فلم تكن طاعتي وحالتي موجِبةً لشيء من الثواب، وإنما هي هِبَتُك يا وهاب.

(**إِلَهِي: إِنَّكَ تَعْلَمُ وَإِنْ لَمْ تَدُم الطَّاعَةُ**) التي تُحِبُّها (**مِنِّي فِعْلاً وَحَزْماً**) ولا أقدر على ذلك (**فَقَدْ دَامَتْ**) طاعتك مني (**مَحَبَّةً وَعَزْماً**) لأني حين آمنت بك أحببت طاعتك وعزمت عليها على مقتضى الإيمان لأن إيماني يأمرني بذلك، وإن كنت أغفل عن ذلك.

(**إِلَهِي: كَيْفَ أَعْزِمُ**) على تحصيل ما تأمرني به لترضى به عني (**وَأَنْتَ القَاهِرُ**) إن شئت وفَّقتني لما تأمرني، وإن شئت عنه صرفتني، ولا أقدر على شيء ما بحولي وقوتي.

(**وَكَيْفَ لَا أَعْزِمُ**) على فِعْلِ ما تُحِبُّ (**وَأَنْتَ الآمِرُ**) الجليل الجميل.

والحاصل أعزم عليك امتثالاً لأمرك، وأعتقد أنه لا يتأتى مني إلا بإرادتك.

(**إِلَهِي: تَرَدُّدِي فِي الآثَارِ**) بأن أرتحل بالتأمل فيها إليك، وأجعلها لعرفاني دلالَتها عليك مطايا الوصول إليك، (**يُوجِبُ بُعْدَ المَزَارِ**) لا أَصِلُ إليك إلا بعد زمن كثير لكثرتها مع شغلها، (**فَاجْمَعْنِي عَلَيْكَ بِخِدْمَةٍ**) أي: وفقني لطاعة من طاعاتك (**تُوصِلُنِي إِلَيْكَ**) عن قريب، فإن الوصول بنور الطاعات أقرب من الوصول بدلالة الآثار.

(**إِلَهِي: كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ**) على وجودك (**بِمَا هُوَ مُفْتَقِرٌ فِي وُجُودِهِ إِلَيْكَ**) لو لم توجده لم يُوجَد، (**أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ**) مع أنك الظاهر (**حَتَّى يَكُونَ هُوَ المُظْهِرُ لَكَ**) مع أنك الذي أظهرته، ولكن بطنت مع ظهورك، ولذا يُستَدَلُّ بآثارك عليك.

(**مَتَى غِبْتَ**) عن الخَلْقِ (**حَتَّى يُحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ**) لكنك لشدة قربك خفيت، ولذا يحتاج الضعيف منا إلى دليل يدل عليك.

(**وَمَتَى بَعُدْتَ**) عن عبيدك (**حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ**) بل أنت أقرب إلينا منا، لكنا بُعْدُنا عن شهودك لقصورنا، فاحتجنا إلى أن نتوصل بآثارك عليك.

(**إِلَهِي: عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً**) فتعمل على مقتضى ما تحب، ولو كانت بصيرة لرأتك رقيباً عليها فلم تلتفت عنك إلى غيرك ولم تفعل في حضرتك ما تكرهه أو يحجبها عنك.

(**وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ**) الذي هو أعظم الحظوظ وألذها (**نَصِيباً**) وابتُلي بحبّ غيرك. وهذا الخاسر ظاهر الخسران.

(**إِلَهِي: أَمَرْتَ**) بنحو قولك: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] (**بِالرُّجُوعِ إِلَى الآثَارِ**) لنتقرب بأداء حقوقها ودلالتها عليك، (**فَارْجِعْنِي إِلَيْهَا بِكُسْوَةِ الأَنْوَارِ**) التي توضّحُ دَلالتها عليك، وتبين لي ما وضعت فيها من الأسرار، (**وَهِدَايَةِ الاسْتِبْصَارِ**) فأُبْصِرُ ما فيها من الحِكَم والفوائد (**حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا**) واستدللت بها عليك

حال كوني (**مَصُونَ**) محفوظَ (**السِّرِّ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا**) من حيث هي هي، (**وَمَرْفُوعَ الهِمَّةِ عَنِ الاعْتِمَادِ عَلَيْهَا، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) تقدر أن تفعل فيّ ما سألت منك.

(**إِلَهِي: هَذَا ذُلِّي ظَاهِرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ**) حيث انغمستُ فيه في ظاهري وباطني لا أنفك عنه أبداً، (**وَهَذَا حَالِي**) الضعيف العاجز (**لَا يَخْفَى عَلَيْكَ**) وكيف يخفى عليك وأنت الذي أوردته.

(**مِنْكَ أَطْلُبُ**) لا من غيرك، بمجرد جودك وإحسانك (**الوُصُولَ إِلَيْكَ**) وأنت القادر على ذلك، وأنا أضعف مما هنالك، فأوصلني إليك.

(**وَبِكَ**) لا بغيرك (**أَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ**) أنت دليلي إليك، (**فَاهْدِنِي بِنُورِكَ**) الذي تنوّرُ به قلبي وتوضِّحُ لي به طريقي (**إِلَيْكَ، وَأَقِمْنِي بِصِدْقِ العُبُودِيَّةِ**) الذي تحبه مني (**بَيْنَ يَدَيْكَ**) فأكون عبداً لك لا لغيرك.

(**إِلَهِي: عَلِّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ المخْزُونِ**) الذي يوضِّحُ ليما يُوصِلُني إليك، (**وَصُنِّي بِسِرِّ اسْمِكَ المَصُونِ**) الذي لا يطلع عليه غيرُك، وكم لك من أسماء وأوصاف لا يعلمها غيرك.

(**إِلَهِي: حَقِّقْنِي بِحَقَائِقِ أَهْلِ القُرْبِ**) الذين يشاهدون الأمور على ما هي عليه، ويتوصلون بها إلى القرب إليك، (**وَاسْلُكْ بِي مَسَالِكَ أَهْلِ الجَذْبِ**) الذين توصلهم بَغْتَةً إليك، وتكشف لهم ما لديك، وتعلمهم بأوصافك، ثم تأمرهم بالتعلم بأسمائك، ثم تردهم إلى آثارك ليؤدوا حقوقها، وهم أسرع سَيْراً إليك.

(**إِلَهِي: اغْنِنِي بِتَدْبِيرِكَ**) الذي عليه المدار كله (**عَنْ تَدْبِيرِي**) الذي لا ينفع شيئاً، بل يوجب لي سوء الأدب معك، وتضييع عمري بلا فائدة، ويعذبني بمدبراته.

واغنني (**بِاخْتِيَارِكَ**) الذي عليه الأمر (**عَنِ اخْتِيَارِي**) الذي هو عبث ولغو، (**وَأَوْقِفْنِي عَلَى مَرَاكِزِ اضْطِرَارِي**) التي اركزتني فيها، فأكون دائماً مضطرّاً إليك، مُظهِراً عجزي وضعفي لديك، معتمداً في فقري وفاقتي عليك.

(**إِلَهِي: أَخْرِجْنِي مِنْ ذُلِّ نَفْسِي**) من الذل الذي توجبه لي نفسي برعيها في مراعي شهواتها وهفواتها وزلاتها وسيئاتها، واحفظني من شرها (**وَطَهِّرْنِي مِنْ**) أوساخ (**شَكِّي و**) أرجاس (**شِرْكِي**) التي تطفئ نور إيماني، وتحجب وتظلم عليّ طُرُقَ عرفاني، وتوجب لي أعظم الحرمان (**قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِي**) قبل أن أموت وأدخل القبر، فإني إذا دخلته قبل أن تطهرني منها ابتليت فيه بوَبالها.

(**بِكَ أَسْتَنْصِرُ**) على ما ناوأني، أو فيما أطلب، (**فَانْصُرْنِي**) في ما أريد نصري، (**وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ**) في أموري كلها (**فَلَا تَكِلْنِي**) إلى نفسي ولا إلى غيرها، فإنك إن وكلتني (**إِلَى غَيْرِكَ**) هَلَكْتُ.

(**وَإِيَّاكَ أَسْأَلُ**) خير الدنيا والآخرة وما يقربني إليك (**فَلَا تُخَيِّبْنِي**) في سؤالي، بل أسْعِف بجودك آمالي.

(**وَفِي فَضْلِكَ أَرْغَبُ فَلَا تَحْرِمْنِي**) عنه، بل أعطني منه حظّاً وافراً، (**وَلِجَانِبِكَ**) العالي (**أَنْتَسِبُ**) لأني عبدك (**فَلَا تُبْعِدْنِي**) عن حضرتك، والعبد وإن أساء الأدب فسيِّدُه الكريمُ لا يُبعِدُه لكرمه.

(**وَبِبَابِكَ**) الذي هو مفتوح لمن وَرَدَ إليك (**أَقِفُ**) ذليلاً حقيراً فقيراً مُهاناً (**فَلَا تَطْرُدْنِي**) لعصياني وعدم قابليتي للدخول في حضرة شهودك، إن كنت لست أهلاً لذلك فأنت قادر أن تجعلني أهلاً لذلك.

(**إِلَهِي: تَقَدَّسَ رِضَاكَ**) الذي هو المقصود للمساكين (**عَنْ أَنْ تَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنْكَ**) لأن أفعالك لا تُعَلَّلُ بالعِلَلِ؛ لتقدسك عن الانفعال الذي هو من خواص أهل الزوال، (**فَكَيْفَ تَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنِّي**). فارْضَ عني بمجرد جُودك عَلَيَّ، ولا تنظر إلى أفعالي، وانظر إلى إفضالك.

(**أَنْتَ الغَنِيُّ بِذَاتِكَ عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ النَّفْعُ مِنْكَ**) لعلوّ شأنك، (**فَكَيْفَ لَا تَكُونُ غَنِيّاً عَنِّي**) ومن أنا حتى لا تكون غنيّاً عني، فاعطني على قَدْرِ رحمتك ورأفتك، لا على قدر طاعتي لو كانت مني.

(**إِلَهِي: إِنَّ القَضَاءَ**) تَعَلُّقَ عِلْمِكَ بإيجاد ما يُوجَدُ، (**وَالقَدَرُ**) الذي قَدَّرْتَهُ لكل ما أردت وجودَه في الأزل، (**غَلَبَانِي**) فإنّ ما لم تَقْضِه ولم تُقَدِّرْهُ

مني لا يتأتى مني، وما قضيت وقدَّرت صدر مني بك لا بي، **(وَإِنَّ الهَوَى)** الذي جُبِلَتْ نفسي عليه **(بِوَثَايِقِ)** بقيود **(الشَّهْوَةِ)** المبعدة **(أَسَرَنِي)** فلا أقدر أن أصل إليك، **(فَكُنْ أَنْتَ النَّصِيرُ لِي حَتَّى تَنْصُرَنِي)** على ما أسرني فأَقْطَعُ قيودَه عني وأَهرُب منه واصلاً إليك، **(وَتَنْصُرَ بِي)** من شئت فأفُكَّ قيودَهم بقوَّتك وأتسبب لوصولهم إليك، وأنت ترضى غن من يوصِل بك عبادك إليك، **(وَاغْنِنِي بِفَضْلِكَ)** عن ما سواك **(حتَّى أَسْتَغْني بِكَ عَنْ طَلَبِي)** منك، وعلمك بآمالي يغنني عن سؤالي.

(أَنْتَ الذِي أَشْرَقْتَ الأَنْوَارَ) التي توجب الأسرار **(فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ)** الذين اخترتهم لك **(حَتَّى عَرَفُوكَ)** على قدر قابليتهم لعرفانك، وإلا فأنت أعلى من أن يعرفك أحد حق معرفتك، **(وَوَحَّدُوكَ)** حتى لم يبق فيهم شِرْكٌ لما سواك.

(وَأَنْتَ الذِي أَزَلْتَ الأَغْيَارَ) التي توجب الأكدار **(مِنْ قُلُوبِ أَحْبَابِكَ)** الذين اصطفيتهم لحبك **(حَتَّى لَمْ يُحِبُّوا سِوَاكَ)** وسعدوا بحبك عن وُدٍّ ما عداك، **(وَلَمْ يلْجَئُوا إِلَى غَيْرِكَ)** لشغلهم بك، وكيف يلتجئوا إلى غيرك وأنت محبوبهم؟!

(أَنْتَ المُؤْنِسُ لَهُمْ) بأُنْسٍ يُبْذَلُ في تحصيله الأشباح والأرواح **(حَيْثُ أَوْحَشَتْهُمُ العَوَالِمُ)** للتنفر الذي وقع بينهم لامتلاء قلوبهم بوُدِّكَ.

(وَأَنْتَ الذِي هَدَيْتَهُمْ) إلى ما جعلهم أولياؤك وأحبابك **(حَتَّى اسْتَبَانَتِ المَعَالِمُ)** التي يعلمون بها ما يقربهم إليك.

(مَاذَا وَجَدَ) من الخير **(مَنْ فَقَدَكَ)** وهل بعد فقدانك خير يعبئ به؟! فالفقير كل الفقر من افتقر بفقدانك.

(وَمَا الذِي فَقدَ) من الخير **(مَنْ وَجَدَكَ)** وصل إليك؟! وهل بعد وجدانك شيء يكون الإنسان بفقدانه فقيراً؟! فالغنيُّ كل الغِنَى من استغنى بوجدانك.

(لَقَدْ خَابَ) خيبةً كليةً **(مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلاً)** فاشتغل به عنك، هل

شيء مثلك حتى يكون بدلاً عنك؟! وكيف لا يخيب وقد فاته من هو المطلوب؟!

(**وَلَقَدْ خَسِرَ**) في صفقته (**مَنْ بَغَى**) طلب (**عَنْكَ مُتَحَوَّلاً**) يتحول إليه، وهل أحد مثلك حتى يتحول عنك إليه؟! إنما يتحول عنك إلى غيرك من يجهلك.

(**إِلَهِي: كَيْفَ يُرْجَى سِوَاكَ**) يا مولاي (**وَأَنْتَ مَا قَطَعْتَ الإِحْسَانَ**) حتى عن أهل العصيان والطغيان، (**وَكَيْفَ يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِكَ**) شيء (**وَأَنْتَ مَا بَدَّلْتَ**) بجودك (**عَادَةَ الامْتِنَانِ**) تمنُّ على أهل الطغيان كما تمنُّ على أهل الإيمان.

(**يَا مَنْ أَذَاقَ أَحْبَابَهُ**) الذين تجليت لهم في جمالك واتخذتهم لمحادثتك (**حَلَاوَةَ مُؤَانَسَتِهِ**) التي لا تُعلَم حقيقتها إلا بذوقها، (**فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْه**) متوجهين إليه، (**مُتَمَلِّقِينَ**) متقربين إليه بكلامه وأذكاره. (**وَيَا مَنْ أَلْبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مَلَابِسَ هَيْبَتِهِ فَقَامُوا بِعِزَّتِهِ**) في خلقه (**مُسْتَعِزِّينَ**) فلا يراهم أحد إلا ويهابهم ولا يسمع بهم إلا ويكرمهم.

(**أَنْتَ الذَّاكِرُ مِنْ قَبْلِ الذَّاكِرِينَ**) لو لم تذكرهم بإحسانك ما ذكروك، (**وَأَنْتَ البَادِئُ بِالإِحْسَانِ مِنْ قَبْلِ تَوَجُّهِ العَابِدِينَ**) إليك حيث خلقتهم ووفقتهم للتوجه إليك، ولو لم توفقهم لم يتوجهوا إليك وكانوا كغيرهم من المعرضين.

(**وَأَنْتَ الجَوَادُ بِالعَطَايَا مِنْ قَبْلِ طَلَبِ الطَّالِبِينَ**) وكيف لا وأنت الذي أخرجتهم من العدم، وجعلت فيهم الطلب منك، وأعطيتهم قبل طلبهم ما لا يحصى من النِّعم، فالكل منك وإليك.

(**وَأَنْتَ الوَهَّابُ**) لنا من هِباتك بجودك وكرمك، (**ثُمَّ أَنْتَ لِمَا وَهَبْتَنَا**) بفضلك (**مِنَ المُسْتَقْرِضِينَ**) من أموالنا وأعمالنا وأحوالنا لنا على أضعاف كثيرة. سبحانك، الهباتُ هباتُك والعبيدُ عبيدُك، ثم أنت تطلب منهم لهم القرض لتزيدهم من فضلك.

(**إِلَهِي: اطْلُبْنِي بِرَحْمَتِكَ**) كما طلبتني بأمرك أن أصل إليك (**حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ، وَاجْذُبْنِي إِلَيْكَ بِمِنَّتِكَ حَتَّى أُقْبِلَ عَلَيْكَ**) وأفوز بما لديك.

(**إِلَهِي: إِنَّ رَجَائِي لَا يَنْقَطِعُ عَنْكَ وَإِنْ عَصَيْتُكَ**) وكيف ينقطع عنك وأنت أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، (**كَمَا أَنَّ خَوْفِي لَا يُزَايِلُنِي وَإِنْ أَطَعْتُكَ**) إطاعة الكون كله لأنك لو أقمت ميزان عدلك لم يبق لطاعتي اعتبار.

(**إِلَهِي: قَدْ دَفَعَتْنِي الْعَوَالِمُ إِلَيْكَ**) حيث لا أشاهد ولا أدرك شيئاً منها إلا وهو بدلالة لسانه ينادين: أسرع عنّا بنا إلى من خلقنا، ولا تغفل عنه بنا، ويضربني بكف شهادته في ظهر قلبي لأتواضع إليك.

(**وَقَدْ أَوْقَفَنِي عِلْمِي بِكَرَمِكَ**) الذي لا نهاية له (**عَلَيْكَ**) فوفدت إليك وفوَّضت أمري كله إليك.

(**إِلَهِي: كَيْفَ أَخِيبُ**) في تحصيل ما أتمنى (**وَأَنْتَ أَمَلِي**) لا غيرك، ومن كنتَ أمله ومقصدَه لا يخيب بل يربح، (**أَمْ كَيْفَ أُهَانُ**) بإذلال النفس والشيطان (**وَعَلَيْكَ مُتَّكَلِي**) اتكالي، ومن كان اتكالُه عليك لا يهان.

(**إِلَهِي: كَيْفَ أَسْتَعِزُّ**) أرى لي عزّاً بنفسي (**وَفِي الذِّلَّةِ**) اللازمة لذاتي (**أَرْكَزْتَنِي**) لا انفكاك لي عنها، (**أَمْ كَيْفَ لَا أَسْتَعِزُّ**) بك (**وَإِلَيْكَ نَسَبْتَنِي**) علِمتني ثم خلقتني وجعلتني شاهداً عليك، وصيرتني محل إنفاذ أقدارك وإرادتك، وقلت لي: أنت عبدي، وأنا ربك. ومن كان كذلك كيف لا يستعز. عزي بك لا بي.

(**إِلَهِي: كَيْفَ لَا أَفْتَقِرُ**) لا أتصف بالفقر إليك (**وَأَنْتَ الذِي فِي الْفَقْرِ أَقَمْتَنِي**) أنت الغني المطلق وأنا الفقير المطلق، (**أَمْ كَيْفَ أَفْتَقِرُ**) إلى غيرك (**وَأَنْتَ الذِي بِجُودِكَ أَغْنَيْتَنِي**) أعطيتني من الآلاء ما لا يحصى ومن العطايا ما لا يقصى، وأظهرت عندي من جودك ما لا ينتهي، ووعدتني من فضلك ما لا يُعَد ولا يحصر.

(**أَنْتَ الذِي لَا إِلَهَ غَيْرُكَ، تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ**) من خلقك (**فَمَا جَهِلَكَ شَيْءٌ**) فما من شيء إلا وهو يعرفك أنك الإله الواحد المتصف بالكمال

المقدس عن الزوال، يسبحك ويحمدك على ما أعطيت، ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١].

(**وَأَنْتَ الذِي تَعَرَّفْتَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ**) حيث جعلته شاهداً لك برهاناً عليك (**فَرَأَيْتُكَ ظَاهِراً فِي كُلِّ شَيْءٍ**) تتصرف فيه كيف شئت، فأنت الظاهر لكل شيء لا تخفى عليه من حيث ظهورك، وإن كان بعض الأشياء لا يراك لعدم قابليته لرؤيتك فالنقصان منه.

(**يَا مَنِ اسْتَوَى بِرَحْمَانِيَّتِه**) استواءً يليق به (**عَلَى عَرْشِهِ**) الذي هو أعظم أفراد خلقه جِرْماً وأرفع أمكنته مَقَاماً، (**فَصَارَ العَرْشُ**) مع عظمته (**غَيْباً فِي رَحْمَانِيَّتِه**) غمرته رحمانيته لعظمتها حتى غاب فيها فلم يكن مقداره في جنبها كقدر ذرة، لو لم تغمره رحمانيته لما شم ريح الوجود ولم يتأهل أن يكون مستوى للرحمٰن المعبود، ولم يوضع في المقام الشريف الذي وضع فيه، ولم يكن موضع صدور أمر غيره من الخلق، فسبحانك ما أعظم شأنك.

(**كَمَا صَارِتَ العَوَالِمُ غَيْباً فِي عَرْشِهِ**) فإنها بالنسبة إليه كما روي كحلقة ملقاة في الفضاء.

(**مَحَقْتَ الآثَارَ بِالآثَارِ**) حيث جعلت بعضها بالنسبة إلى بعض آخر كأنه ليس بشيء، أو أفنيت بعضها ببعض، (**وَمَحَوْتَ الأَغْيَارَ**) عن قلوب الأبرار (**بِمُحِيطَاتِ أَفْلَاكِ الأَنْوَارِ**) الطالعة على قلب من اجتبيته من الأخيار.

(**يَا مَنِ احْتَجَب فِي سُرَادِقَاتِ عِزِّهِ**) الذاتيِّ (**عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصَارُ**) الفانية لأنها أعجز من ذلك، فاحتجابك عن غيرك لعظيم عِزِّك وغاية كبريائك حتى لا يقدر أحد على إدراكك، فالعقول فيك حائرة، والأوهام فيك بائرة، ولا يمكن للبصائر أن تكون حولك دائرة.

(**يَا مَنْ تَجَلَّى بِكَمَالِ بَهَائِهِ**) في كبريائه (**فَتَحَقَّقَتْ عَظَمَتَهُ الأَسْرَارُ**) وإن كانت لا تدركها الأغمار الذين قيدتهم الآثار بالأكدار.

(**كَيْفَ تَخْفَى**) على أحد (**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ**) الذي ليس شيء فوقه في الظهور، وإنما لا يراك من ليس له النور لأن النور لا يرى إلا بالنور، (**أَمْ**

كَيْفَ تَغِيبُ) حتى تحتاج إلى طلب (**وَأَنْتَ الرَّقِيبُ**) على خلقك (**الحَاضِرُ**) بل أقرب إليهم منهم، تعلمهم وتتصرف فيهم كيف شئت، فسبحانك ما أجل سلطانك، فَارْضَ عنَّا، وصَلِّ وسلم على حبيبك الذي به معرفتك رزقتنا، واجعلنا ممن فاز به فوزاً عظيماً.

يقول الفقير محمد حياة السندي ثم المدني عفا الله الكريم عنه: أمليت هذا الشرح على قلمي من خزينة خيالي في مدينة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأسنى السلام سنة ألف ومائة وخمسة وأربعين (١١٤٥هـ) في قدر سبعة من الأيام، مع عدم انتظامي في سلك أهل العلوم والأفهام، ولذا لا يخلو شرحي عن الاختلال والإلحان والأسقام، وعدم إيفائي لحق كلام الماتن الإمام.

اللهم ما كان من صواب فلك المنة علي في ذلك، وما كان من خطإ أو سهو وغلط وتحريف وسوء فهم فهو مني، فاعف عني يا الله أنت أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

وصلى الله على حبيبه محمد كما يحب ويرضى، وآله واصحابه وأمته وعلينا معهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً إلى يوم الدين.

كمل الشرح المبارك على يد العبد الفقير إلى ربه القدير عبد السلام ابن الحاج علي غفر الله له ولوالديه ولأحبته آمين.

وقد قرأت على مؤلف هذا الشرح بالمدينة المنورة أول كتاب[1] وأجازني بخطه على ظاهر شارحها[2] رحمه الله ورحمني به والمسلمين، وقراءتي عليه أوائل محرم سنة ١١٥٠هـ، وكتبي هذا أوائل محرم سنة ١١٦٦هـ والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

---

(١) اسم الكتاب ممحو.

(٢) اسم الشارح ممحو.

فهرس أطراف الحكم

الحكمة	الصفحة
ـ مَا أَرادَتْ هِمَّةُ سَالِكٍ أَنْ تَقِفَ	٢٧
ـ طَلَبُكَ مِنْهُ اتِّهَامٌ لَهُ	٢٨
ـ مَا مِنْ نَفَسٍ تُبْدِيهِ	٢٩
ـ لَا تَتَرَقَّبْ فُرُوغَ الأَغْيَارِ	٢٩
ـ لَا تَسْتَغْرِبْ وُقُوعَ الْأَكْدَارِ	٢٩
ـ مَا تَوَقَّفَ مطْلَبٌ أَنْتَ طَالِبُهُ بِرَبِّكَ	٣٠
ـ مِنْ عَلَامَاتِ النُّجحِ فِي النِّهَايَاتِ	٣٠
ـ مَنْ أَشْرَقَتْ بِدَايَتُهُ أَشْرَقَتْ نِهَايَتُهُ	٣٠
ـ مَا اسْتُوْدِعَ فِي غُيْبِ السَّرَائِرِ	٣٠
ـ شَتَّانَ بَيْنَ مَنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ أَوْ يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ	٣١
ـ (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِه) الْوَاصِلُونَ إِلَيْهِ	٣١
ـ اهْتَدَى الرَّاحِلُونَ إِلَيْهِ بِأَنْوَارِ التَّوَجُّهِ	٣٢
ـ تَشَوُّفُكَ إِلَى مَا بَطَنَ فِيكَ مِنَ الْعُيُوبِ	٣٢
ـ الْحَقُّ لَيْسَ بِمَحْجُوبٍ	٣٣
ـ اخْرُجْ مِنْ أَوْصَافِ بَشَرِيَّتِكَ	٣٣
ـ أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَغَفْلَةٍ وَشَهْوَةٍ الرِّضَا عَنِ النَّفْسِ	٣٣
ـ وَلأَنْ تَصْحَبَ جَاهِلاً لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ خَيرٌ لَكَ	٣٤
ـ شُعَاعُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ قُرْبَهُ مِنْكَ	٣٤
ـ كَانَ اللهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ	٣٥
ـ لَا تَتَعَدَّ نِيَّةُ هِمَّتِكَ إِلَى غَيْرِهِ	٣٥
ـ لَا تَرْفَعَنَّ إِلَى غَيْرِهِ حَاجَةً	٣٥
ـ إِنْ لَمْ تُحسِنْ ظَنَّكَ بِهِ لأَجْلِ حُسْنِ وَصْفِهِ	٣٦
ـ الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِمَّنْ يَهْرَبُ مِمَّنْ لَا انْفِكَاكَ لَهُ عَنْهُ	٣٦
ـ لَا تَرْحَلْ مِنْ كَوْنٍ إِلَى كَوْنٍ	٣٦
ـ لَا تَصْحَبْ مَنْ لَا يُنْهِضُكَ حَالُهُ	٣٧

الحكمة	الصفحة

الحكمة	الصفحة

الحكمة	الصفحة

الحكمة	الصفحة

الحكمة	الصفحة

الحكمة	الصفحة

الحكمة	الصفحة

الحكمة	الصفحة

الحكمة	الصفحة